القسم الثاني
التحقيق

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالكتاب .
الفصل الثاني : التحقيق .

الفصل الأول
التعريف بالكتـاب

وفيه مباحث :

المبـحــث الأول : وصف النسخ المخطوطة .

المبحث الثانــي : طبعات الكتاب .

المبحــث الثالث : تحقيق اسم الكتاب ، وصحة نسبته للمؤلف .

المبحث الرابــع : سبب تأليف الكتاب .

المبحث الأول : وصف النسخ المخطوطة

بعد البحث والتقصي وجدت للكتاب مخطوطتين :

الأولى : في جامعة أم القرى برقم (1263) ، وهي مصورة عن مكتبة خدا بخش في الهند ، وعدد أوراقها (287) ورقة ، في كل ورقة [26 – 28] سطراً، في كل سطر (14) كلمة تقريباً ، ليس عليها تاريخ نسخ ، ولا اسم الناسخ ، وعليها تصحيحات في الهوامش ، وهي نسخة كاملة ، كتب في نهايتها : " آخر ما وجدنا من هذا الكتاب المسمى بالمنهاج التقديس في الرد على داود ابن جرجيس الخبيث ". وفي الصفحة الأولى مثبت عنوان الكتاب: (منهاج التنزيه والتقديس في الرد على المبطل داود بن سليمان بن جرجيس) وقد رمزت لها بالرمز(خ) .

الثانية : في مكتبة الشيخ عبد العزيز بن مرشد ، وهي مقابلة على أصل المصنف، وعدد أوراقها (193) ورقة ، في كل ورقة [29 – 32] سطراً وتتراوح عدد الكلمات في كل سطر ما بين (15 – 20) كلمة ، وعليها تصحيحات في الهوامش ، وهي نسخة كاملة ، وهي التي اعتمدتها في التحقيق لأنها مقابلة على أصل المصنف . وقد رمزت لها بالرمز (م) .

وكتب في نهايتها : " آخر ما وجد ، بلغ مقابلة وتصحيح بحسب الطاقة والإمكان على أصل المصنف [بيد] الفقير إلى الله عبدالله بن علي بن سليم سنة 1298 هـ " . ثم الصفحة الاخيرة كتب عليها العنوان بشكل مثلث : " منهاج التنزيه والتقديس في الرد على المبطل داود بن سليمان بن جرجيس لشيخنا علامة الوقت مفتي الديار النجدية ناصر السنة قامع البدعة الشيخ البارع عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن بن حسن أوفر الله لهم الجزاء بمنه وكرمه آمين ".

ومثبت عليها في الأعلى (ملكه الفقير فوزان بن سابق ، ثم ختم عليها بختم مكتوب عليه فوزان بن سابق 1309) ثم كتب تحته : (ثم انتقل عنه الملك إلى حوزة الفقير إلى [مولاه] الحق عبد العزيز بن [مرشد] بالشراء الشرعي [صلى الله] على محمد وآله وصحبه وسلم) .

والذي ظهر في أثناء المقابلة ، قلة الفروق بين المخطوطتين مما يرجح كونهما نقلتا عن أصل واحد ، أو أن إحداهما منقولة عن الأخرى ، وقد كتب على كل منهما : " منهاج التنزيه والتقديس في الرد على المبطل داود بن سليمان بن جرجيس " لشيخنا علامة الوقت ، مفتي الديار النجدية ، ناصر السنة وقامع البدعة ، الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، أوفر الله لهم الجزاء بمنه وكرمه . آمين) مما يدل على ما ذكرت سابقاً ، والله أعلم .

المبحث الثاني : طبعات الكتاب

تم طبع الكتاب أربع طبعات :

1- الطبعة الأولى سنة 1300 هـ ، ، طبعت في مدينة بومباي – الهند ، وكتب عليها : " تم طبع الكتاب بخط كاتبه على الأصل الملا محمد بن الملا شيخ آدم مقدم الكوكني الشافعي " ، بتصحيح محمد بن إبراهيم بن جغيمان الأحسائي[1].

[1] معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، تأليف : على جواد الطاهر ، أشرف على الطبع : حمد الجاسر (2/ 850 – 852) . وانظر :

2- الطبعة الثانية سنة 1309 هـ في مطبعة ديرسات – بومباي – الهند ، وقد جاءت في 310 صفحات . وهي طبعة حجرية ، توجد في بعض المكتبات الخاصة[1].

3- الطبعة الثالثة سنة 1366 هـ في مطبعة أنصار السنة المحمدية – القاهرة ، مراجعة وتصحيح الشيخ محمد حامد الفقي ، وعدد صفحاتها 332 صفحة ، وألحق بها تتمة " المنهاج " " فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان " للشيخ محمود شكري الألوسي .

4- الطبعة الرابعة سنة 1407 هـ ، في مطبعة دار الهداية ، في الرياض واعتنى بها الشيخ إسماعيل بن عتيق ، وقد ذكر أنه اعتمد طبعة أنصار السنة ، إلا أنه حذف التتمة للألوسي .
وجاءت في (402) صفحة ، وهي الطبعة المتداولة ، وقليلة جداً . وهذه الطبعة عليها بعض الملاحظات تبينت من خلال مقابلتها مع مخطوطات الكتاب ، ويمكن إجمال بعض هذه الملاحظات بالآتي :

1- أخطاء مطبعية ، وهي كثيرة وقد أثر بعضها على المعنى فتبدل وتغير .
2- سقط يتراوح مابين كلمة أو كلمتين إلى سطر أو سطرين ونصف ، وهذا كثير .
3- أخطاء في الآيات ، ومنها أن يذكر المحقق آيات لم يذكرها المؤلف أو يسقط آيات استشهد بها المؤلف .
4- التصرف في أصل النص إما بالزيادة - وهذا كثير - ، أو بالنقصان ، أو تعديل بعض الكلمات .

المبحث الثالث : تحقيق اسم الكتاب ، وصحة نسبته للمؤلف

أما ما يتعلق بنسبة الكتاب للمؤلف ، فليس هناك أدنى شك في نسبته إليه ، ومما يزيد الأمر يقيناً ما يلي :

1- أن الشيخ قد أحال إليه في كتابه " مصباح الظلام " حيث قال : " فقد أشبعنا الكلام على أمر الخوارج وذكر مبدأ أمرهم

معجم المطبوعات العربية والمعربة ، جمعه ورتبه يوسف سركيس (1/ 168 – 169) .

[1] وحصلت عليها من مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وهي مصورة من مكتبة الشيخ محمد بن مانع ويوجد عليها بعض تصحيحاته .

وكيف كانت شبهتهم فيما كتبناه من الرد على داود بن جرجيس طاغية العراق "[1].

2- وكذلك الشيخ سليمان بن سحمان وهو من تلاميذ الشيخ عبد اللطيف نقل عن " المنهاج " ونسبه للشيخ حيث قال : " وأجابه على ذلك شيخنا عبد اللطيف فقال : والجواب أن يقال.." فذكر عدة صفحات من المنهاج[2].

وقال أيضا : " قال شيخنا – رحمه الله -..ونقل كلاماً طويلاً من المنهاج"[3].

3- مثبت على كلا المخطوطتين نسبة الكتاب للشيخ عبد اللطيف .

4- غالب من ترجم للإمام عبد اللطيف ذكر " المنهاج " من ضمن مؤلفاته ، وممن نسب الكتاب للمؤلف ممن ترجم له :

1- هدية العارفين (5/ 619) .

2 - إيضاح المكنون (2/ 585) .

3 - معجم المؤلفين (6/ 10) .

4- عقد الدرر (ص78) .

5 - مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص75) .

تحقيق اسم الكتاب

ورد للكتاب ثلاث تسميات :

1- " منهاج التنزيه والتقديس في الرد على المبطل داود بن سليمان بن جرجيس". وهذا هو المثبت على كلا المخطوطتين .

2- " منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس " ، وهذا هو المثبت على جميع النسخ المطبوعة ، وذكره بهذا الاسم : رضا كحالة في " معجم المؤلفين " ، والزركلي في " الأعلام " ، وحاجي خليفة في "كشف الظنون".. وغيرهم ، قال حاجي خليفة في " كشف الظنون " (5/ 498) : " منهاج التأسيس في كشف شبهات ابن جرجيس "

---

[1] مصباح الظلام ص336 .

[2] الضياء الشارق ص488 .

[3] الضياء الشارق ص523 .

رد فيه كتاب " صلح الإخوان " للشيخ داود البغدادي في حدود سنته 1280 هـ .

وقال عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (2/ 215) : " ومن مؤلفاته : "منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس "

3- " تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس " ذكره بهذا الاسم صاحب كتاب مشاهير علماء نجد[1] ، وصاحب كتاب روضه الناظرين[2] ، وغيرهم .

أما صاحب " تذكرة أولي النهى والعرفان " (1/ 226 – 227) ، فقال : "ومن مؤلفات الشيخ – رحمه الله – رده على داود بن جرجيس ، وكان داعية للكفر وعبادة الأوثان ، فرد عليه بما شفى وكفى ، ولما وقف الشيخ عبد القادر أفندي البغدادي الحنفي على رده على داود بن جرجيس أثنى عليه ثناءا جميلاً وقرظ عليه بهذه الأبيات .

عبد اللطيف جزاه الله خالقنا يوم الجزاء بأجر غير ممنون

وهذه الأبيات كما هو معلوم قرظّ فيها الشيخ " دلائل الرسوخ " لقوله :

دلائل تعتلي كالشهب أرسلها عبد اللطيف رجوماً للشياطين

وقال صاحب معجم المطبوعات العربية : " اسم كتاب الشيخ عبد اللطيف "منهاج التأسيس.." ، ولكنه ورد لدى الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ في كتابيه "علماء الدعوة" (ص49) ، و " مشاهير علماء نجد " (ص75) : " تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس ".

فهو يرجح تسمية الكتاب : " بمنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود ابن جرجيس " وهو المثبت على جميع النسخ المطبوعة كما مرَّ معنا .

هذا مجمل ما ذكر حول عنوان الكتاب ، وليس بين هذه التسميات تباين واضح، والعنوان الذي أرجحه هو : " منهاج التنزيه والتقديس في الرد على المبطل داود بن سليمان بن جرجيس " ؛ لأنه الاسم المثبت على كلا المخطوطتين.

---

[1] مشاهير علماء نجد (75) .

[2] روضة الناظرين لمحمد بن عثمان القاضي (1/ 340) .

المبحث الرابع : سبب تأليف الكتاب

عندما ألف داود بن سليمان بن جرجيس كتابه (صلح الإخوان من أهل الإيمان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفران ، وبيان الدين القيم في تبرئة الشيخين ابن تيمية وابن القيم) نشره بين العامة ، وصحح فيه ما هم عليه من شرك وعصيان ، تصدى له الشيخ عبد اللطيف نصحاً للعامة ، وقياماً بالميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم .

فبدأ بكتابة هذا الرد ، وأثناء ذلك علم بكتاب عثمان بن منصور (جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة) فقطع الشيخ الرد على ابن جرجيس ، وبدأ بالرد على ابن منصور ، وألف كتاب (مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام) لما رأى من قرب ديار ابن منصور ، وعلو منصبه فكانت الفتنة فيه أشد، والذي يدل على ذلك ما كتبه في (مصباح الظلام) (335-336).

وقد يكون الشيخ قد رأى أنه رد على أهم ما جاء في (صلح الإخوان) ، ولأن صاحب " الصلح " يكرر شبهه واستدلالاته تكثراً ، وتلبيساً على العوام كما مرَّ معنا .

فتوقف عن إتمامه ، وبدأ بالرد على ابن منصور - والله أعلم - .

فلما انتهى من تأليف " مصباح الظلام " وافته المنية قبل إتمام " المنهاج "[1].

يقول الشيخ عبد اللطيف : " وقد رُفع إلي رسالة سماها (صلح الإخوان) فيها من تحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على أهل العلم ، وعدم الفقه فيما ينقله ويحكيه من كلامهم مالا يحصيه إلا الله ... إلى أن قال .. وقد عن لي أولاً أن أطرح هذر كلامه ، وأن لا أعرج على رد إفكه وآثامه ، لظهور هجنته في نفسه، وأنه مما يتنزه العاقل عن إفكه وحدسه ، ثم بدالي أن لكل ساقطة لاقطة " .

---

[1] انظر : عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، حياته وآثاره ، للشيخ إبراهيم الفارس– رسالة علمية (ص178) .

الفصل الثاني

التحقيق

فصـــل

قال العراقي النقل السادس[1] : قال ابن قدامة[2] الحنبلي[3] تلميذ الشيخ ابن تيمية، في كتاب " الصارم المنكي في الرد [على][4] السبكي[5] "[6]، ناقلا عن شيخه ابن تيمية ما نصه : " وإنما يعرف هذا في حكاية ذكرها الفقهاء عن أعرابي أتى القبر ، وتلا هذه الآية (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ) (النساء :64) - الآية وأنشد:

---

[1] أخر الشيخ عبداللطيف –رحمه الله- الرد على النقل السادس ، وقدم الرد على النقل السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر ؛ لأن تلك النقول كانت من كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية ، وموضوعها واحد وهو عن البدع المكانية ، فجمعها مع النقل الخامس ورد عليها جملة واحدة ، لأن عادة الشيخ في الرد يرجع إلى الكتاب المنقول عنه ، ويأتي بالنقل الصحيح ويبين تحريف ابن جرجيس . أما النقل السادس فهو من كتاب (الصارم المنكي) فأخره ليرد عليه منفردا .

[2] في المطبوع ابن عبد الهادي .

[3] هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ابن قدامة المقدسي الحنبلي ، الفقيه، المحدث ، الحافظ ، الناقد ،عني بالحديث ومعرفة الرجال والعلل ، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، له عدة مؤلفات منها (الصارم المنكي في الرد على السبكي) و (تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق) و(العقود الدرية في مناقب ابن تيمية) وغيرها كثير . توفي سنة 744 هـ ، وعمره 39 سنة .
انظر : البداية والنهاية لابن كثير 14/ 243 ، تذكرة الحفاظ للذهبي 4/158 ، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب 4/437 .

[4] (على) ساقطة من (خ) .

[5] هو : علي بن عبدالكافي السبكي ، أبو الحسن الشافعي تقي الدين ، والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ألف كتاب : (شفاء السقام) لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام ليتقرب به إلى القاضي الذي عرف بعدائه لشيخ الإسلام ابن تيميه فخاب أمله ، و لم يلق القبول عنده ، توفي سنة (756 هـ) .
انظر : تذكرة الحفاظ (4/1507) ، الدرر الكامنة لابن حجر (3/63) ، الأعلام للزركلي (4/302) .

[6] هذا الكتاب ألفه ابن عبد الهادي للرد على كتاب : (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) للسبكي ، وقيل: (الصارم المبكي) . وقد توفي –رحمه الله - و لم يكمله .

يا خير من دفنت في القاع[1] أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم[2]

روحي الفــداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم[3]

وقد استحب طائفة من أصحاب الشافعي[4]، وأحمد[5] مثل ذلك، واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي، بل لقضاء حاجة هذا الأعرابي وأمثالها أسباب بسطت في غير هذا الموضع . وليس كل من قضيت له حاجة بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعا.

---

[1] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع (بالقاع) .

[2] الأكم : الهمزة و الكاف والميم أصل واحد ، و هي تجمع الشئ و ارتفاعه قليلا . والأكم : هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعا مما حوله . وتقرأ بفتح الألف والكاف، وضمهما . انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (1/125) ، لسان العرب لابن منظور (1/103) .

[3] انظر : الجامع لشعب الإيمان للبيهقي 3/495 ، المغني والشرح الكبير لابن قدامة 3/600 ، تفسير ابن كثير 1/787 ، وقد ذكر بعض العلماء أنها مدسوسة على تفسير ابن كثير ، وليست موجودة في جميع المخطوطات ، والله أعلم .

[4] انظر : الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي للماوردي (4/214-215) ، المجموع شرح المهذب للنووي (8/274) .

[5] انظر : المغني لابن قدامة (3/600) ، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (9/274) .

وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده، ويعفى عنه لعدم علمه ، وهذا باب واسع، ثم الفاعل قد يكون متأولا أومخطئا أو مجتهدا و مقلدا، فيغفر له خطؤه، ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع، كالمجتهد المخطئ وقد بسط هذا في غير هذا الموضع[1].

هذا ما حكاه العراقي عن الصارم المنكي – ثم قال : " والحكاية التي ذكرها الفقهاء من كافة أهل المذاهب: ما رواه العتبي[2] التابعي الجليل عن الأعرابي: إنه أتى قبر النبي وتلا الآية ثم قال: قد جئتك مستغفرا من ذنبي، مستشفعا بك إلى ربي. وأنشد البيتين . وقد استحسن ذلك كافة أهل العلم، وذكروه في المناسك في بحث الزيارة، واستحبوا ذلك، وكيف لا يثبت الاستحباب بهذه الحكاية، وهي واقعة في خير القرون، ولم تنكر، وارتضاها الفقهاء ؟ فهي دليل على الاستحباب.

---

[1] انظر: الصارم المنكي ص 352 .

[2] هو : أبو عبدالرحمن ، محمد بن عبيد الله بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، روى عن والده ، وعن سفيان ابن عيينة ، كان من أفصح الناس صاحب أخبار ، وله رواية للأدب ، توفي (سنة 228 هـ). انظر : تاريخ بغداد 2/324 ، سير أعلام النبلاء 11/96 ، وفيات الأعيان 4/398 .

ثم إن الشيخ رحمه [الله][1] فسر أن سؤال الحاجة من النبي وغيره [واقعة][2]، وأن المجتهد المخطئ والمقلد المتأول، مثابون على حسن قصدهم، فلا يكفرون في مثل هذا، ولا يشركون، ولا يؤثمون.

انتهى كلام العراقي[3] .

والجواب : إن هذا النقل قد اعتراه ما اعترى أمثاله، وأجر[4] التحريف عليه قلم إفكه وضلاله. فإن الحافظ محمد بن عبد الهادي لما تكلم على الحكاية التي احتج بها السبكي وعزاها[5] إلى مالك في جوابه لأبي جعفر المنصور[6]، وقرر أنها من الموضوعات، وأن إسنادها إسناد مظلم منقطع، مشتمل على من يتهم بالكذب، وساق كلام الحفاظ في جرح رواتها، واطراح حديثهم[7]. ثم قال بعد ذلك :" وقد قال شيخ الإسلام في " اقتضاء الصراط المستقيم " : " ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي، أوغير نبي لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي ، ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي وعلى صاحبيه.

واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي لا يستقبل قبرة ، وتنازعوا عند السلام عليه – وذكر كلامهم في استقباله عند السلام، وقرر رد الحكاية المذكورة عن مالك، وذكر نصوصه التي تخالفها[8]، وأطال الكلام [9]– ثم قال بعدها :

---

[1] لفظ الجلالة ساقط من : (م)
[2] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : واقع . وهو الصواب .
[3] انظر : صلح الإخوان (18) .
[4] في المطبوع : أجرى .
[5] في المطبوع : لم يثبت (الواو) .
[6] هو : عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي ، أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس ، وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة ، وكان قويا حازما ، كامل العقل ، بعيدا عن اللهو، ذا تدين ، توفي بمكة محرما بالحج سنة (158 هـ) . انظر:البداية والنهاية لابن كثير(10/129) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (7/83) .
[7] انظر: الصارم المنكي (ص 338) .
[8] في المطبوع : يخالفها .
[9] انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (2/753) .

" وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ[1] فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) (النساء :64)- الآية ، فهو – والله أعلم – باطل[2]. فإن هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم، ولم يذكر أحد منهم أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استغفارا ولا غيره، وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا – ثم قال : وإنما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن أعرابي أنه أتى قبر النبي وتلا هذه الآية وأنشد بيتين ، وذكرهما الشيخ – ثم قال : ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك ، واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به[3]من غيرهم ، بل قضاء الله حاجة مثل هذا الأعرابي وأمثاله لها أسباب قد[4]بسطت في غير هذا الموضع ، وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعا مأمورا به ، فقد كان رسول الله[5] يسأل في حياته المسألة فيعطيها، لا يرد سائلا ، وتكون المسألة محرمة في حق السائل ، حتى قال : " إني لأعطي أحدهم العطية ، فيخرج بها يتأبطها نارا[6]. قالوا : يا رسول الله . فلم تعطيهم ؟[7] قال: يأبون إلا أن يسألوني ، ويأبى الله لي البخل "[8] .

---

[1] في (خ) : وقف هنا .
[2] ذكر الحكاية القاضي عياض في " الشفاء في حقوق المصطفى " [فصل حرمة النبي بعد موته] (2/40-41) ، والبيهقي في " جامع شعب الإيمان " (3/495) ، وقد فندها شيخ الإسلام في كثير من المواضع، وبين أنها حكاية مكذوبة منقطعة عن مالك ، انظر مثلا : التوسل و الوسيلة (67-68-166) .
[3] [به] ساقطة من المطبوع .
[4] في المطبوع : وقد .
[5] في المطبوع : الرسول .
[6] أي يجعلها تحت إبطه . انظر : لسان العرب (1/8) ، معجم مقاييس اللغة (1/37) ، النهاية في غريب الحديث (1/15) .
[7] في كلا المخطوطتين : تعطهم .
[8] رواه الإمام أحمد في المسند (3/4، 16) عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – و فيه اختلاف يسير عن اللفظ الذي أورده المؤلف ، وقال المنذري في الترغيب و الترهيب (1/582): و رجال احمد رجال الصحيح ، ورواه الحاكم في المستدرك (1/46) وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بهذا السياق . ووافقه الذهبي . وأخرجه ابن حبان في صحيحه (8/203) [كتاب الزكاة / باب المسالة و الأخذ...] و قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق ابن حبان : إسناده قوي . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/426) .

وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده ، ويعفى عنه لعدم علمه ، وهذا باب واسع ، وعامة العبادات المبتدعة المنهي [عنه][9] قد يفعلها بعض الناس ويحصل له بها نوع من الفائدة ، وذلك لا يدل على أنها مشروعة ، ولو لم تكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهي عنها. ثم الفاعل قد يكون متأولا أو مخطئا مجتهدا[1] أومقلدا ، فيغفر له خطؤه، ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع؛ كالمجتهد المخطئ " انتهى .

فانظر إلى هذا التحريف والتبديل الذي لـم يسبقه إلى مثله من الأمة سابق، ولا يستحله إلا زنديق منافق . فحذف[2] أول الكلام وما سيق لأجله ، وحذف قول الشيخ: " فإن هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم ، ولم يذكر[3] أحد منهم أنه استحب أن يسأل[4] بعد الموت لا استغفارا ولا غيره ، وكلام مالك المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا ".

وبدل أيضا كلام الشيخ ، فإن الشيخ قال: " في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء " ، والعراقي نسبها عن الشيخ إلى كل الفقهاء . فقال : " في حكاية ذكرها الفقهاء " فاعرف إلحاده .

وحذف وسط العبارة ، وهي قوله : " لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به[5] من غيرهم ". وحذف من وسطها أيضا قوله : " فقد كان رسول الله ﷺ يسأل في حياته المسألة فيعطيها لا يرد سائلا . وتكون المسألة محرمة في حق السائل ، حتى قال : " إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا. قالوا : يا رسول الله فلم تعطيهم[6] ؟ قال: يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل" " .

---

[9] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : (عنها) وهو الصواب .
[1] في المطبوع : لم يثبت (مجتهدا) .
[2] في المطبوع : فقد حذف .
[3] في (خ) : يرد .
[4] في المطبوع زيادة : النبي ﷺ .
[5] في المطبوع زيادة : وأعمل .
[6] في كلا المخطوطتين : تعطهم .

وحذف أيضا قوله : " وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها قد يفعلها [بعض][1] الناس ويحصل له بها نوع من الفائدة ، وذلك لا يدل على أنها مشروعة، ولو[2] لم تكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهي عنها " .

كل هذا حذفه . فهل ترى يا ذا العقل السليم أكذب من هذا على الله، وعلى أولي العلم من خلقه ، وأشد جرآءة[3] على تبديل دينه وتغييره ؟

وكلام الشيخ من أوله إلى آخره صريح في المنع[4] من دعاء الله عند قبر النبي ﷺ وحكاه عن الأئمة ، وذكر اتفاقهم عليه، وأنه لم يذكر أحد منهم استحباب سؤال النبي ﷺ بعد موته لا استغفارا ولا غيره . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ، وحرفوا نصوص أهل العلم وألحدوا فيها ، وأحالوها عن صرائح نصوصها ، وظواهر كلماتها، وهل بدلت أديان الأنبياء إلا بمثل هذا ؟ والموعد قريب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ومن كان هذا غاية رده ، ونهاية ما عنده ، فلا يمتنع عليه تبديل ما اطلع عليه ورآه من كتب الشريعة ، ودواوين الإسلام ، ولو سلك هذا المسلك في كتاب الله ، وفي أحاديث رسول الله[5] ﷺ لهدم قواعدها ، واجتث أصلها ، وطمس أعلامها ، وغير حقائقها ، وقد قرأ بعض الجهمية[6] قوله تعالى :) وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) (النساء:164) ، بنصب الاسم الشريف على أنه معمول[7] ، ولم يتجاسر إلى هذه الغاية التي انتهى إليها العراقي .

---

[1] ساقطة من كلا المخطوطتين ، و المثبت من المطبوع والاقتضاء . وهو الذي يقتضيه السياق .

[2] في المطبوع : لم يثبت (الواو) .

[3] في المطبوع : جرأة .

[4] في المطبوع : المعنى .

[5] في المطبوع : الرسول .

[6] الجهمية : هم أتباع الجهم بن صفوان ، فرقة معطلة ، ينفون أسماء الله و صفاته ، جبرية خالصة في الأفعال ، نفوا القدرة عن العبد . و من ضلالات الجهم : قوله بفناء الجنة والنار ، وزعمه أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل ، وقد أخذ عن الجعد ، وأول ظهور بدعته بترمذ . و يطلق هذا اللقب عند السلف على نفاة الصفات عموما . انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري (ص 279) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص 211) ، الملل والنحل للشهرستاني (1/73).

[7] قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (2/12) : " كما روي أن عمرو بن عبيد قال لأبي عمرو بن العلاء : أحب أن تقرأ هذا الحرف : " وكلم الله موسى تكليما " ؛ ليكون موسى هو الذي كلم الله ، ولا يكون في الكلام دلالة على أن الله كلم أحدا . فقال له : فكيف تصنع بقوله : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " ؟ " . وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (1/177) .

فالحمد لله الذي كشف عن سوأته ، وأبدى خزيه لعباده المؤمنين.

فصـــــل

قال العراقي : النقل الثالث عشر: قال رحمه الله في كتاب "الفرقان": " ونجد كثيرا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله أنه صدر منه مكاشفة أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ، أو أن بعضهم استغاث به وهو غائب أو ميت، فرآه قد جاء فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم، أو مريض .

وليس شيء من هذه الأمور يدل على أن صاحبها ولي لله. بل اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار[1] في الهواء ومشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله[2] ﷺ وموافقته لأمره ونهيه . وكرامات أولياء الله أعظم من هذه الأمور"[3]. انتهى نقله[4].

---

[1] في (خ) : كتبت (طال) ثم كتب في الهامش تصحيحا : لعله : (ر) .
[2] في المطبوع : للرسول .
[3] انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان (ص 61) .
[4] انظر : صلح الإخوان (ص 21) .

ثم قال : فانظر إلى كلامه، ولا سيما قوله : " أو[1] أن بعضهم استغاث به وهو غائب، أو ميت، فرآه[2] قد جاء فقضى حاجته " . فإنه تسليم منه بأن هذا الأمر يقع على وجه الكرامة . ويستدل به على ولاية صاحبه، لكن بشرط أن يكون المستغاث به متابعا لأمر رسول الله[3] وموافقا له ولنهيه.

---

[1] في المطبوع : و .
[2] في (خ) : فرآ .
[3] في المطبوع : الرسول .

قال العراقي : فحينئذ تبين أن النبي ﷺ ، وأصحابه، والتابعين، ومن بعدهم من الأولياء العاملين، يجوز أن يعتقد فيهم الولاية ، بسبب الاستغاثة بهم ، سواء كانوا غائبين أو ميتين ، وأن هذا يقع على وجه الكرامة، وأن كرامات الأولياء أعظم من هذه الأمور ، بل قد تقرر في [كتب][1] العقائد باتفاق أهل السنة أن كرامات أولياء الله يجب اعتقادها كما ذكره الشيخ في التحفة العراقية[2]. بل قال : إن منكرها من الخوارج[3] والرافضة[4]، ومعلوم أن الكرامة لا تنشأ عن فعل محرم . فلو كانت الاستغاثة محرمة لما عدها الشيخ وغيره كرامة، بل حينئذ تكون استدراجا. على أن الشيخ ذكر أن المجتهد والمقلد والمؤول الذي له حسن قصد لا يكون

---

[1] ساقطة من (خ) .

[2] انظر : التحفه العراقية (ص 21) .

[3] الخوارج : هم الذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - و يقال لهم : الحرورية ، والحكمية ، والمارقة ، وهم أكثر من عشرين فرقه ، يجمعهم القول بتكفير علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل – رضي الله عنهم أجمعين - ، وكل من رضي بتحكيم الحكمين ، ويكفرون بارتكاب الكبائر ، ويرون وجوب الخروج على الحاكم الجائر حقا واجبا . انظر : مقالات الإسلاميين (ص 86) ، الفرق بين الفرق (ص 73) ، الملل و النحل (1/106) .

[4] الرافضة : هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين – رضي الله عنهم - لرفضه التبرأ من الشيخين ، يسمون : الجعفريه ، والإمامية الإثني عشرية ، كما يسمون بالرافضة ، أجمعوا على أن النبي نص على استخلاف علي بن أبي طالب ، وقالوا بوجوب الإمامة في كل زمن ، والعصمة لكل إمام ، وحصروا الإمامة في ولد الحسين بن علي-رضي الله عنهما- . وهذه الفرقة هي أكبر فرق الشيعة المعاصرة . انظر : مقالات الإسلاميين للاشعري (ص 16) , الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (5/35) ، الفرق بين الفرق (ص 29) ، مسالة التقريب بين أهل السنة والشيعة لناصر القفاري (1/171) .

ذلك بالنسبة إليه محرما، بل يكون جائزا أو مستحبا [النسبة][1] لاعتقادهم . وهذا ظاهر لا غبار عليه إلا على من طمس الله بصيرته . انتهى[2].

والجواب أن يقال : سياق الكلام ، ومقتضى التقرير في كلام الشيخ الذي نقله العراقي نفي الولاية بهذه المذكورات ، ونفي الاستدلال عليها بالمكاشفة وخوارق العادة ، ورؤية المستغاث به من الغائبين والأموات ، والإخبار بما سرق، وبحال الغائب والمريض . وقرر أن هذا ونحوه لا يدل على الولاية أصلا، وأن أولياء الله متفقون على أن الرجل لو طار في الهواء ، ومشى على الماء لم يغتر به حتى يتقيد بمتابعة الرسول ، وموافقته لأمره ونهيه . وهذا تصريح من الشيخ بنفي الاستدلال بهذا على الولاية وإبطاله ، وليس فيه تسليم مجيء المستغاث به الميت أو الغائب إلى المستغيث ، وأنه يقضي حاجته ، وأنه يستدل به على الولاية كما زعم العراقي .

بل هو قد ذكر قوله : "فرآه" ، فأسند الرؤية إلى المستغيث ، وقرر في هذا الكتاب[3]، وفي غيره : أن الإنسان قد يرى بواسطة الشياطين أشخاصا، وأشباحا يتراءون لمن يدعو غير الله ، ويستغيث به ، ويظهرون لهم في صورة من يعتقدونه من المشايخ والصالحين ، وأن المستغاث به لا شعور له ، ولا دراية له بذلك أصلا. وقد مر هذا فيما نقلناه من كلامه في كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم " ، ونزيده إيضاحا هنا.

فكلام الشيخ في نفي الاستدلال بهذا على الكرامة ، وأنه ليس منها. والعراقي صرف العبارة عن مدلولها، وصدف عنها، ونسب إلى الشيخ ما لا يحتمله كلامه بوجه من الوجوه . فبعدا لقوم لا يؤمنون .

---

[1] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع (لنسبته) ، وكلاهما تصحيف ، والصواب (بالنسبة) وهو المثبت في صلح الإخوان .

[2] انظر : صلح الإخوان (ص 22) .

[3] انظر: (ص 62) من كتاب الفرقان لابن تيمية .

قال[1] -رحمه الله- : " والطلب من النبي بعد موته ، وفي مغيبه ليس مشروعا قط . ولكن كثيرا من الناس يدعون[2] الموتى والغائبين من الشيوخ وغيرهم ، فتمثل لهم الشياطين تقضي بعض مآربهم ؛ لتضلهم عن سبيل الله ، كما تفعل الشياطين بعباد الأصنام ، وعباد الشمس والقمر تخاطبهم وتتراءى لهم . وهذا كثير يوجد في زماننا، وغير زماننا "[3].

وقال -رحمه الله- : " واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ، ولا يقبله[4]، وهذا كله محافظة على التوحيد ، فإن من أصول الشرك بالله : اتخاذ القبور مساجد . قال طائفة من السلف في قوله تعالى : (وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ) (نوح : 23) - الآية : " هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"[5]، وقد ذكر بعض هذا البخاري في صحيحه لما ذكر قول ابن عباس ، وذكره ابن جرير وغيره عن غير واحد من السلف[6] ، وذكره [رثيمة][7]وغيره ، في قصص الأنبياء من عدة طرق " انتهى[8].

---

[1] في المطبوع زيادة : الشيخ .

[2] في المطبوع : يدعو .

[3] انظر : الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص 105) .

[4] في المطبوع : يقبل .

[5] صحيح البخاري [كتاب التفسير / تفسير سورة نوح : باب " ولاتذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق "] (4/1873) .

[6] تفسير الطبري (29/99) .

[7] في (خ) : أثيمة . وكلاهما تصحيف . وفي المطبوع : (وثيمة) وهو الصواب .

ووثيمة هو : أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي ، الفسوي ، صنف كتابا في أخبار الرده، مات في مصر سنة (237هـ) . والوثيمة هي الصخرة و الحجر الذي يقدح النار ، تقول العرب في أيمانها : والذي اخرج العذق من الجريمة ، والنار من الوثيمة . انظر : الجرح والتعديل للرازي (9/51) ، الأنساب للسمعاني (5/604) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (13-2/12) .

[8] انظر : الرد على الإخنائي لابن تيمية (ص 47-48) .

وقال ابن القيم في الكلام على[1] قصة الطفيل بن عمرو الدوسي[2] : " ومنها وقوع كرامات الأولياء، وأنها إنما تكون لحاجة في الدين أو منفعة في الإسلام والمسلمين . فهذه هي الأحوال الرحمانية التي سببها متابعة الرسول ، ونتيجتها إظهار الحق ، وكسر الباطل . والأحوال الشيطانية ضدها سببا ونتيجة "[3].

---

[1] في المطبوع : كلامه عن .

[2] هو : الطفيل بن عمرو الدوسي ، صحابي جليل ، كان سيدا مطاعا من أشراف العرب ، أسلم قبل الهجرة بمكة ، و يسمى : ذو النور ، لأنه قال : يا رسول الله : إن دوسا قد غلب عليهم الزنا ، فادع الله عليهم . قال : (اللهم اهد دوسا) . ثم قال : يا رسول الله : ابعث بي إليهم، و أجعل لي آية . فقال : اللهم نور له . فوضع الله بين عينيه نورا كالشهاب . فقال اللهم في غير وجهي ، فتحول فوق رأس سوطه . استشهد في يوم اليمامة . انظر: طبقات ابن سعد (1/353) ، سير أعلام النبلاء (1/344).

[3] انظر : زاد المعاد (3/627) .

وقوله[1] –العراقي- : فحينئذ تبين أن النبي وأصحابه[2] يجوز أن يعتقد فيهم الولاية بسبب الاستغاثة بهم ، سواء كانوا غائبين أو ميتين.

[1] في المطبوع : وقول .
[2] ?في المطبوع : والتابعين و من بعدهم من الأولياء العاملين .

فهذا كلام باطل لم يدل عليه كلام الشيخ ، ولم يتبين منه ، بل هو كلام جاهل لا يدري شرع الله ، ولا يعرف دينه وما جاءت به رسله ، فإن ولاية رسول الله[1] ﷺ لله أظهر من أن يحتاج إلى دليل ، ورتبة النبوة فوق الولاية فضلا عن رتبة الرسالة فضلا عن رتبة أولى العزم . فهذه مراتب عالية لا يدركها آحاد الأولياء والمؤمنين . فكيف يقال : يجوز أن يعتقد في النبي ﷺ وأصحابه الولاية بسبب الاستغاثة ، وقد يستجاب للمستغيث[2] بالأصنام ؟ فإن ثبت[3] ولايتهم بأمر يكون للأصنام والأوثان مشاركة فيه فتعسا له ، وويل أمه ، ما أجهله ، وأكثف حجابه وأفحش خطابه . واعتقاد الولاية لا يسوغ ولا يجوز بسبب الاستغاثة ودعاء غير الله ، وصريح كلام الشيخ[4] ، وصريح الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة على أن الولاية لا تثبت بسبب من هذه الأسباب التي أنكرها الشيخ وألزمه إياها العراقي[5] جهلا وظلما. وإنما تثبت بالإيمان بالله واليوم الآخر والكتب والنبيين ، والقيام بالواجبات الدينية، والأركان الإسلامية ، قال تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) الآية – إلى قوله (الْمُتَّقُونَ) (البقرة: 177) ، وقال: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)(يونس: 62-63) ، وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً)(الأنفال: 2-4)، فهذا ونحوه هو الذي يستدل به على الولاية ، وتثبت به الولاية للعبد . وهذا معنى كلام الشيخ ، وهذا الذي يفيده[6] تقريره الذي مر، ولكن العراقي ألف الكذب والإلحاد ، فصار له سجية يتهيأ لها بغير فكر ولا رؤية[7] . ولو كانت الاستغاثة بغير الله سببا للولاية ودليلا عليها للزم القول بولاية كل معبود مع الله من الفاسقين والكهان والشياطين ، بل والأصنام؛ لأن عبادها[8] قد تقضى حوائجهم ، ويخاطبون منها ، كما ذكره الشيخ وغيره، وقرروا ما ورد في السير من سماع الخطاب من الأصنام والأوثان ، فجعل الاستغاثة بهم سببا للولاية جهل عظيم. ثم الأسباب لا توجب

---

[1] في المطبوع : الرسول .
[2] في (خ) : لمستغيث .
[3] في المطبوع : فأثبت .
[4] [وصريح كلام الشيخ] ساقط من المطبوع .
[5] في المطبوع : هذا العراقي .
[6] في (خ) : يفيد .
[7] في (خ) : روية .
[8] في المطبوع : عابديها .

وجود المسبب بنفسها ، وفرق بين الدليل والسبب[1]، لو كان هذا ممن يعقل الخطاب ، ويفرق بين الخطأ والصواب.

وأما قوله : بل قد[2] تقرر في كتب العقائد باتفاق أهل السنة أن كرامات أولياء الله[3] يجب اعتقادها، كما ذكر الشيخ في " التحفة العراقية ".

فكلام الشيخ في " التحفة العراقية " ، فكلام الشيخ[4] وكلام أهل السنة في إثبات الكرامة حق لا ريب فيه ، وإنما الذي ينكره المسلم ويرده بفطرته وضروريات دينه : اعتقاد أمثال هذا العراقي من أن الكرامة تحصل[5] بدعاء غير الله، والاستغاثة به ، وأن ذلك دليل إثباتها. هذا لا يقوله مسلم بل[6] ولا يقوله كتابي، ولا عاقل، يعرف ما يخرج من بين شفتيه . وحقيقة هذا الكلام قرمطة[7] لا تخفى على عقلاء الأنام . وليس في كلام الشيخ أن

---

[1] السبب هو : اسم لما يتوصل به إلى المقصود . أما الدليل فهو المرشد ، و قيل هو : ما يستدل به، وقيل : ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. انظر : التعريفات للجرجاني (131) ، المفردات للراغب (171،220) ، المصباح المنير (76) ، كشاف اصطلاحات الفنون (2/127، 315) .   ومعنى قول الشيخ : أي أن العراقي ينظر للأسباب نظرة جبرية ، فالأسباب عندهم ليست أسبابا مؤثرة ، ووجودها كعدمها ، وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي – بين الاسباب ومسبباتها – كاقتران الدليل بالمدلول ، والدليل لا يكون دليلا حتى يكون مستلزما للمدلول ، متى وجد وجد المدلول ، بخلاف السبب فهو غير كاف في التأثير بل لابد من انتفاء موانع ووجود الشروط . انظر: المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين (180-181) ، النبوات لابن تيمية (9) ، وانظر: المسألة الخامسة من مسائل الدراسة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فالشبع عندهم لا يكون بالأكل، ولا الطاعات سبب الثواب ... بل محض الإرادة الواحدة يصدر عنها كل حادث، و يصدر مع الآخر مقترنا به اقترانا عاديا ، لا أن أحدهما معلق بالآخر ، أو سبب له أو حكمة له ، ولكن لأجل ما جرت به العادة من اقتران أحدهما بالأخر يجعل أحدهما أمارة و علما و دليلا على الآخر ، بمعنى أنه إذا وجد أحد المقترنين عادة كان الأخر موجودا معه" منهاج السنة (5/361) . وقال: " ومما يوضح ذلك : أن اعتقاد المعتقد أن هذا الدعاء أو هذا النذر هو السبب أو بعض السبب في حصول المطلوب لا بد له من دلالة ، ولا دليل على ذلك في الغالب إلا الاقتران أحيانا ، أعني : وجودهما جميعا . وإن تراخي أحدهما عن الآخر مكانا أو زمانا مع الانتقاض أضعاف أضعاف الاقتران . ومجرد اقتران الشيء بالشيء بعض الأوقات مع انتقاضه ليس دليلا على العلة باتفاق العقلاء " الاقتضاء (2/228،238) .

[2] في المطبوع : لم يثبت (قد) .

[3] في المطبوع : الأولياء .

[4] في المطبوع : (وفي غيرها) .

[5] في (خ) : تحطل .

[6] في المطبوع : لم يثبت (بل) .

[7] أصل القرمطة : قصر الخطو في المشي ، أو دقة الحروف و تقارب الأسطر في الكتابة .   وهي نسبة إلى القرامطة ، و هم : فرقة باطنية من فرق الإسماعيلية ، تنسب إلى حمدان قرمط . وقوله هنا : قرمطة . كزندقة ، وهو

الاستغاثة بغير الله كرامة للمستغاث، فمن أين أخذ العراقي هذا البهت ، ونسبه إليه ؟

اصطلاح يدل على الرجل الذي يبطن الكفر و يظهر الايمان .
انظر : البداية والنهاية (حوادث سنة 278) , معجم المصطلحات التاريخية (ص 349 و 227) .

فصـــل

قال العراقي : النقل الرابع عشر: قال [أيضا][1] في " الفرقان ": والناس في هذا الباب أصناف، منهم من [إذا][2] اعتقد بشخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدثه[3] به قلبه عن ربه ، وسلم له جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه فعل[4] ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهدا مخطئا .

وخيار الأمور أوساطها: وهو أنه لا يجعل معصوما ولا مأثوما إذا كان مجتهدا مخطئا، فلا يتبع في كل ما يقول ولا يحكم عليه بالكفر والفسوق مع اجتهاده إذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين، لم يكن لأحد أن يلزمه قول المخالف ، ويقول : هو خالف الشرع[5].

---

[1] ساقطة من (خ) .
[2] ساقطة من كلا المخطوطتين و من المطبوع ، و المثبت من الفرقان .
[3] في (خ) : حدث .
[4] في (خ) : أو فعل . وفي (الفرقان) : قد قال أو فعل .
[5] انظر : الفرقان (ص 50-51) ، صلح الإخوان (ص22) .

والجواب أن يقال : ليس في الكلام[1] ما يدل على محل النزاع أصلا، وقد تقدم أنه لا يعذر المجتهد المخطئ إلا في المسائل الاجتهادية التي يقع فيها النزاع بين الفقهاء أو ما يخفى دليلها، وأما ما علم من الإسلام بالضرورة فليس من هذا القبيل، ويدل على هذا قول الشيخ هنا[2] : " إذا خالف قول بعض الفقهاء، ووافق قول آخرين"، وبهذا تعرف مراد الشيخ ، وأن هذا العراقي تراكمت عليه ظلمة[3] الجهل والطبع والهوى ، ظلمات بعضها فوق بعض.

---

[1] في المطبوع : هذا الكلام .
[2] في (خ) : هذا .
[3] في المطبوع : ظلمات .

فصـــــل

قال العراقي : النقل الخامس عشر: قال في كتاب ذكر فيه الانتصار للإمام أحمد[1]: إن الشيخ يحيى الصرصري[2] صاحب الشعر المشهور ذكر عن علي بن إدريس[3] أنه سأل الشيخ عبد القادر الجيلي[4]: هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد ؟ وذكر جواب الشيخ عبد القادر، ثم قال: والصرصري الذي أشار إلى شعره ما ذكره في قصيدته اللامية المعروفة، حيث قال:

وأخبرني من كان أصل طريقي[5]- وساق أبياتا من المنظومة :

---

[1] لم أتمكن من معرفة هذا الكتاب . والنقل موجود في : الاستقامة لابن تيمية (1/85) ، درء تعارض العقل والنقل (5/5) .

[2] هو : يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الأنصاري الحنبلي ، أبو زكريا جمال الدين الصرصري – نسبة إلى صرصر ، وهي قرية قريبة من بغداد – اشتهر بمدائحه للرسول صلى الله عليه وسلم ، حتي قيل إنها بلغت عشرين مجلدا ، و كان ضرير البصر ، قتله التتار في بغداد سنة (656هـ) وعمره 68 سنة . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (6/321) ، شذرات الذهب لابن العماد (5/286) ، ذيل مرآة الزمان لليونيني (1/257) .

[3] هو : علي بن إدريس اليعقوبي الزاهد ، صاحب الشيخ عبدالقادر ، متأله بعيد الصيت ، توفي في ذي الحجة سنه (619هـ) . انظر : العبر للذهبي (3/179) ، شذرات الذهب (5/85) ، النجوم الزاهرة (6/225) .

[4] هو : أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح عبدالله حكمي دوست الجيلي ، أو الجيلاني ، أو الكيلاني الحنبلي . شيخ بغداد ينتهي نسبه إلى الحسين بن على – رضي الله عنهما - ، من كبار الصوفية ، تصدر للتدريس في بغداد سنة (528هـ) له عدة مؤلفات منها : الفتح الرباني ، الغنية ، فتوح الغيب. قال ابن كثير : فيها أشياء حسنة وذكر فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة . وقال الذهبي : وفي الجملة الشيخ عبدالقادر كبير الشأن ، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه ، والله الموعد ، وبعض ذلك مكذوب عليه . توفي سنة (561هـ) . انظر: البداية والنهاية (12/313) ، سير أعلام النبلاء (20/439) ، شذرات الذهب لابن العماد (4/198) ، فوات الوفيات للكتبي (2/373) .

[5] في المطبوع : طريقتي .

ثم قال العراقي: فانظر إلى مدح ابن تيمية - رحمه الله - للصرصري، وقوله فيه : الفقيه الصالح صاحب الشعر المشهور، مع أن هذا الشعر الذي يعنيه شيخ الإسلام قد ذكر فيه أشياء تقتضي تكفيره على قول هؤلاء المبتدعة ، فإنه استغاث برسول الله[1] ﷺ بقوله:

لأنت إلى الرحمن أقوى وسيلة إليه بها في الحادثات تفصل[2]

وقوله:

وسل[3] رب العالمين بميتـة على السنة البيضاء غير مبدل

وهذا دعاء على قولهم .

وقوله: وأنت على كل الحوادث لي ولي.

وقوله: على [ترتيبـها][4] خديـك عفـر[5].

---

[1] في المطبوع : الرسول .
[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : تنصل . وفي صلح الإخوان : تنصلي .
[3] في المطبوع : وتسأل .
[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف ، وفي المطبوع (تربها) وهو الصواب.
[5] عفر : أي مرغه في التراب . انظر : القاموس المحيط (ص568) .

وكل هذا يقتضي الإشراك على قواعد مذهبهم الجديد، والشيخ ابن تيمية أثنى عليه بأنه فقيه صالح، ولم يعترض عليه، فانظر إلى هذه القصيدة وما فيها، وقابلها مع قول البوصيري[1] :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك : البيتين[2]

وقد صرح في البيت الثاني أن مقصوده الشفاعة يوم القيامة بجاهه مع أنه صادق ، كما في البخاري وغيره، وفي تفسير قوله تعالى: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) (الإسراء : 79) أنه الشفاعة العظمى[3].

---

[1] هو : محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي ، كان أحد أبويه من " بوصير " والآخر من " دلاص" فركبت له نسبة منهما ، و قيل الدلاصيري ، لكنه اشتهر بالبوصيري – نسبة إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر – وله في مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد أشهرها " البردة " ، فيها من الغلو و الشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى و نحوهم من صرف خصائص الربوبية والإلهية لغير الله . مات سنه (696هـ) . انظر : فوات الوفيات (3\362) ، الوافي بالوفيات (3/105) , بيان المحجة في الرد على صاحب اللجة للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص308) من مجموعة التوحيد .

[2] البيتان هما : يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تحلى باسـم منتـقـم

ويقول أيضا : فإن من جودك الدنيا و ضرتها   و من علومك علم اللوح و القلم .

[3] صحيح البخاري [كتاب التفسير / باب: " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا "] (4/1748) .

والجواب أن يقال : شيخ الإسلام رحمه الله[1] لم يتعرض شعر الصرصري في هذا النقل لا بمدح ولا بذم ، وإنما أثنى على نفس الصرصري، وحكى عنه هذه المقالة ، ولا يلزم من مدح شخص وحمده من جهة أن يكون محمودا ممدوحا[2] من كل جهة ، بل [لا][3] يلزم من الحكم عليه بالإسلام أو الإيمان أن لا يحكم عليه بما يوجب نقض[4] إيمانه ، وخلل إسلامه ، ويقتضي تأثيمه ببعض السيئات ، وعقابه عليها.

وقد ذكر الشيخ أن شعر يحيى الصرصري وقع فيه من الغلو والإطراء ما لا ينبغي أن يصدر مثله في حق المخلوقين[5] ، وأنكر على من استغاث بغير الله أو دعاه.

قال الشيخ -رحمه الله- في رده على ابن البكري[6] في مسألة الاستغاثة : "وأنه حرف الكلم عن مواضعه، وتمسك بمتشابهه وترك المحكم، كما يفعله النصارى، وكما فعل هذا الضال – يعني ابن البكري : أخذ لفظ الاستغاثة، وهي تنقسم إلى الاستغاثة بالحي [و الميت[7]. والاستغاثة بالحي][8] تكون فيما يقدر عليه، فجعل حكم ذلك كله واحدا ولم يكفه، حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة، ولم يكفه ذلك، حتى جعل الطالب منه إنما طلب من الله لا منه فالمستغيث به مستغيث بالله "[9].

---

[1] في (خ) : الله تعالى .
[2] في المطبوع : ممدوحا محمودا .
[3] ساقطة من (خ) .
[4] في المطبوع : نقص . وهو الأصوب .
[5] في المطبوع : المخلوق .
[6] هو : أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي ، له تصانيف ، كان من جملة من ينكر على شيخ الإسلام محاربته للبدع ، يقول ابن كثير : و ما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة =كدرة لاطمت بحرا عظيما صافيا .... وقد أضحك العلماء عليه . وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له : أنت لا تحسن أن تتكلم . يذكر عنه أنه كان أمارا بالمعروف ، توفي سنة (724 هـ) . انظر : البداية والنهاية (14/131) ، الوافي بالوفيات (22/331) .
[7] في المطبوع زيادة : وإلى الاستغاثة بالميت .
[8] ساقطة من (خ) .
[9] الرد على البكري (2/587) .

" ثم جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة ، فدخل عليه الخطأ من وجوه. - منها : أنه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغاثا به. وهذا لا يعرف في لغة أحد من[1] الأمم، لا حقيقة ولا مجازا، مع دعواه الإجماع على ذلك، فإن المستغاث هو المسؤول المطلوب منه لا المسؤول به .

الثاني : ظنه أن توسل الصحابة في حياته كان توسلا بذاته لا بدعائه وشفاعته، فيكون التوسل به بعد موته كذلك ، وهذا غلط .

الثالث : أنه أدرج السؤال أيضا في الاستغاثة به ، وهذا صحيح جائز في حياته، وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته ، وهنا[2] أصاب في لفظ الاستغاثة لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس ، مثل الشيخ يحيى الصرصري، ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان[3] له كتاب " المستغيث بالنبي في اليقظة والمنام"[4] ، وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الأحكام [الذي][5] يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام ، ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم دليل شرعي، ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها.

---

[1] في (م) يوجد حرف غير واضح بين كلمتي (أحد و من) . والكلام يستقيم بدونه .

[2] في المطبوع : وهذا .

[3] هو : أبو عبد الله محمد بن موسى المراكشي التلمساني الفاسي ثم المصري ، الصوفي ، من كبار الدعاة إلى عبادة القبور . توفي سنة (683هـ) . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة (7/363) ، =كشف الظنون لحاجي خليفة (2/575) ، الأعلام (7/118) . وانظر: جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني (2/1050) .

وكثيرا ما يلتبس بابن المفيد وهو : أبو عبدالله محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري البغدادي شيخ الرافضه المعروف بالشيخ المفيد ، و بابن المعلم ، فقيه متكلم صاحب اعتزال ، له نفوذ في الدولة البويهية ، كان أحد ائمة الضلال ، انتهت إليه رياسة الشيعة في وقته ، كثير التصانيف البدعية، قال الذهبي : " بلغت تواليفه مائتين ولم اقف على شيئ منها ولله الحمد " . مات سنة (413 هـ). انظر : سير اعلام النبلاء (17/344) ، شذرات الذهب (3/199) ، معجم المؤلفين (11/306).

[4] اسم الكتاب " مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام " ذكر أن سبب تأليفه للكتاب : "إن كثيرا من أئمة الإسلام قد صنفوا في الاستغاثة بالله وحده ، فقصدت أن أذكر ما وقع ممن استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولاذ به " . انظر: كشف الظنون (2/576) .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي "الرد على البكري" ، والمطبوع (الذين) وهو الصواب .

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة، واستغاث به. وهذا يفعله كثير من الناس. ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا، وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام، بل مشابهة[1] لعباد الأصنام "[2] انتهى.

وقال رحمه الله ، في أثناء كلام له : " ونحن نعلم بالضرورة[3] أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعو أحدا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك[4] من الشرك الذي حرمه الله ورسوله .

لكن[5] لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن[6] تكفيرهم بذلك حتى يتبين[7] لهم ما جاء به الرسول ؛ ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصلا[8] الإسلام إلا تفطن لها، وقال: هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بينت لنا، لعلمه أن هذه أصل دين الإسلام .

وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات، ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم ، وربما كان ما يفعلونه أعظم لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعون[9] دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه[10] أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره ، بخلاف عباداتهم لله ، فإنهم يفعلونها في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف ، حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام[11] لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف الضر ، وقال بعض الشعراء[12] :

يا خائفين من التتـر   لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

---

[1] في المطبوع : هو مشابهة .
[2] الرد على البكري (1/367) باختصار كثير .
[3] في المطبوع : أخر كلمة بالضرورة ، وجعلها بعد : يشرع .
[4] في المطبوع : ذاك .
[5] في المطبوع : ولكن .
[6] في المطبوع : يكن .
[7] في المطبوع : يبين .
[8] في المطبوع : أصل .
[9] في المطبوع : فيدعونه .
[10] في (خ) : بدعائهم به .
[11] في المطبوع زيادة : التتر .
[12] في المطبوع : شعرائهم .

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكمو من الضرر[1]

فقلت لهم : إن هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد ؛ ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة، لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين والاستغاثة بالله، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل، فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا لم يتقدم نظيره[2]، ولم تهزم التتار[3] مثل هذه الهزيمة قبل ذلك ، لما صح من تحقيق التوحيد لله وطاعة رسوله ما[4] لم يكن قبل ذلك ، فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"[5]. انتهى ما نقلته[6]من كلامه رحمه الله ، ولم يقتصر فيه على مجرد الإنكار، بل جعله شركا وكفرا بعد قيام الحجة والعلم بكفر فاعله، وجعله من ضرورات الدين، بل جعله أصل الدين، وجعل وجود هذا الشرك مانعا من القتال الشرعي، وسببا للهزيمة وعدم النصر، فأي إنكار أبلغ من هذا ؟ وقد أنكر الشيخ[7] شعر الصرصري ، ونص على أنه يقع منه[8] ما لا يسوغ ولا يجوز.

---

[1] لم أجد قائل هذا البيت – فيما اطلعت عليه من مراجع - .
أما المقصود بأبي عمر فقد قال شمس الدين الأفغاني : " لعله أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد ابن قدامة ، توفي (سنة 607هـ) وقد نسج الناس حوله خرافات حتى جعلوه قطبا ، وهو أخو الموفق ابن قدامة صاحب المغني " جهود علماء الحنفية (1/458) ، وانظر في ذكر نماذج من هذه الكرامات المزعومة : شذرات الذهب (3/27) ، النجوم الزاهرة (6/201) .

[2] في المطبوع : لهم نظيره .

[3] التتار : اسم يطلق على شعب خليط من عدة قبائل بدوية ، مغولية وتركية وسلجوقية بآن واحد ، يرجح أنهم جاؤوا من شرق وسط آسيا وسيبيريا وبعض المناطق المجاورة لشمال الصين ، وهم على درجة كبيرة من التخلف والوحشية ، سماهم بهذا الاسم أهل الصين ليدلوا من خلاله على بدائيتهم ، وقد اجتاحوا بلاد المسلمين في القرن السابع الهجري . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (1/418) ، الموسوعة العربية الميسرة (490/l) ، التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (6/346) ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية (101) .

[4] في المطبوع : مما .

[5] الرد على البكري (2/629-632) ، باختصار .

[6] في (خ) : نقله .

[7] في المطبوع زيادة : ابن تيمية .

[8] في المطبوع : فيه .

وقوله : لأنت إلى الرحمن أقوى وسيلة – ليس فيه استغاثة كما زعم العراقي، بل المقصود أنه ﷺ هو الواسطة بين العباد وبين الله في إبلاغ شرعه ودينه، وبيان ما يحب ويرضى ، وما يكرهه وعنه ينهى ، فهو وسيلة لمن سار[1] على سبيله، وتمسك بهديه ، وقبله . و[2]قوله: سل[3] رب العالمين يميتني على السنة البيضاء غير مبدل

ليس صريحا في أن السائل لله هو النبي ﷺ ، إذ يحتمل أنه أراد : سل أيها المذنب، وأيها العبد . ولكنه التفت عن التكلم إلى الخطاب ، وإحسان الظن بمثله أولى.

وأما قوله : وأنت على كل الحوادث لي ولي – فالمراد أنه يوالي رسول الله[4] ﷺ ، ويتولاه على كل الحوادث ، في اليسر والعسر والرخاء والشدة ، والضيق والسعة ، لا يوالي غير أولياء الله ، قال تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا[5] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ) (المائدة: 55-56).

فليس المراد بالولي المستغاث المعبود ، فإن هذا فهم جاهلي شركي ، وأهل الإسلام يفهمون من موالاة رسول الله[6] ﷺ محبته وتعزيزه وتوقيره[7] وطاعته والتسليم لأمره ، والوقوف عند نهيه ، وتقديم قوله على قول كل أحد ، هذه موالاة[8] أهل الإسلام ، وما قاله العراقي موالاة عباد[9] الأصنام .

---

[1] في المطبوع زيادة : إلى الله .
[2] لم تثبت في المطبوع .
[3] في المطبوع زيادة : الله . وهو الأصوب .
[4] في المطبوع : الرسول .
[5] في (خ) وقف هنا .
[6] في المطبوع : الرسول .
[7] في المطبوع : وتوقيره وتعزيره .
[8] في المطبوع : هي موالاة .
[9] في المطبوع : عبادة .

إذا عرفت هذا عرفت جهل هذا العراقي بمعاني الخطاب ، وموضوع الكلام، وأنه أجنبي عن مدارك الأحكام ، والعلم بشرائع الإسلام ، وأن قول البوصيري أشنع وأبشع من قول الصرصري ؛ لما تضمنه من الحصر؛ ولما فيه من اللياذ بغير الله في الخطب الجلل[1]، والحادث العمم : وهو قيام الساعة ، وقد قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ[2] أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ) (الأنعام :40) ، فدعاء غير الله في الأمور العامة الكلية أبشع من دعاء غيره في الأمور الجزئية ؛ ولذلك أخبر أن عباد الأصنام لا يدعون غيره عند إتيان العذاب، أو إتيان الساعة التي هي الحادث العمم .

وأما قول العراقي : إن مقصوده الشفاعة والجاه . فهذا لا يفيده[3] شيئا ؛ لأن عامة المشركين إنما يقصدون هذا ، ولم يقصد الاستقلال إلا معطلة الصانع[4]، وعامة المشركين إنما قصدوا الجاه والشفاعة كما حكاه القرآن في غير موضع ، وأما تشبيه العراقي بأنه ﷺ أعطي الشفاعة يوم القيامة ، وأنزل عليه (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) (الإسراء :79) ، فهذا تلبيس منه ، وتشبيه على من لا يدري الحقائق ، ولم يتفطن لمسألة النزاع ، فإن الخصومة والنزاع في طلب الشفاعة أو غيرها من الشفعاء في حال مهماتهم[5] ، وقصدهم لذلك ، ونحوه من المطالب المهمة.

وأما حصول الشفاعة وسؤاله[6] ﷺ[7] يوم القيامة فهذا لا ينكر، وهو من جنس ما كان يطلب منه في حياته ﷺ ، وأما بعد موته فلم يعرف عن أحد من أصحابه ، ولا عن[8] أئمة الإسلام بعدهم أنه دعاه وطلب منه شفاعة ، أو غيرها، وإنما فعله بعض

---

[1] في المطبوع : الجليل .
[2] في (خ) وقف هنا .
[3] في (خ) لا يفيد .
[4] هم : المنكرون لوجود الله ، ويسمون معطلة الصانع ؛ لأنهم عطلوا المصنوعات عن صانعها .
انظر : (ص391) من هذا البحث .
[5] في المطبوع : مماتهم . وهو الصواب .
[6] في المطبوع : بسؤاله .
[7] في المطبوع زيادة : إياها .
[8] في المطبوع زيادة : أحد من .

الخلوف[9] الذين لا يرجع إليهم في مسائل الأحكام.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

[9] الخلَف : في اللغة يطلق على كل من يجيء بعد من مضى ، يقال : خلَف صدق .

وإذا كان بإسكان اللام " خلف " فيطلق على من خلف بشر ، قال تعالى : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) (مريم : 59) .

وقال لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

انظر : تهذيب اللغة (7/393-394) ، معجم مقاييس اللغة (2/212) ، لسان العرب (2/1234) ، المفردات للراغب (155) ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (2/65-66) .

وقال شيخ الإسلام في تعريف الخلف : " والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم " . الفتوى الحموية (207) .

ويمكن القول : أن كل من خالف منهج السلف في الاعتقاد فهو من الخلف .

فصـــــل

قال العراقي : النقل السادس عشر: قال في الفتاوى في جواب سؤال ورد من كيلان[1] في مسألة خلق القرآن ما نصه : " فمسألة تكفير أهل البدع والأهواء[2] متفرعة على هذا الأصل ، وفي الأدلة الشرعية ما يوجب أن الله لا يعذب أحدا من هذه الأمة على خطئه[3] وإن عذب [عذاب][4] المخطئ من غيرها – ثم ساق حديث أبي هريرة[5] في الرجل الذي أمر أهله[6] بتحريقه ، وأن يذروه في البحر ، وأنه شك في قدرة الله ، ومع ذلك غفر[7] له لما معه من خوف الله والإيمان[8] .

---

[1] كيلان : كيل وكيلان لفظ أعجمي ، المعرب منه جيل ، وجيلان ، بالكسر : وهو اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان في فارس ، وليس في جيلان مدينة كبيرة ، إنما هي قرى في مروج بين جبال، وسميت جيلان باسم من بناها .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (1/201) ، اللباب لابن الأثير (1/ 324) ، الأنساب للسمعاني (2/146) .

[2] في (خ) والمطبوع : الأهواء والبدع .

[3] في المطبوع : خطأ .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين . وليست في المطبوع .

[5] ونص الحديث هو : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن البني صلى الله عليه وسلم قال : (كان رجل يسرف على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا مت فأحرقوني ، ثم اطحنوني ، ثم ذروني في الريح ، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً . فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه ، ففعلت ، فإذا هو قائم ، فقال : ما حملك على ما صنعت، فقال : يا رب خشيتك ، فغفر له ، وقال غيره : مخافتك يا رب) . رواه البخاري في عدة مواضع منها: (3/1283) [كتاب الأنبياء ، باب (52) (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم)] ، ومسلم (4/2210) [كتاب التوبة / باب في سعة رحمة الله ، وأنها سبقت غضبه] مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

[6] في المطبوع : أولاده .

[7] في (خ) : عفي .

[8] في المطبوع زيادة : به .

ثم ذكر كلام الشيخ في الخطأ في الفروع العملية[1]، وأنه قد وقع من بعض السلف – وساق قصة داود وسليمان وحكمهما في الغنم – .

ثم قال : انظر إلى كلامه وتأمله فإنه أنذر وأعذر، وتحاشى عن تكفير أهل البدع العظام القائلين بنفي قدرة الله أو عدم البعث.

هذا كلامه بحروفه ، ثم أطال الكلام في قصة داود وسليمان ، وزعم أن[2] معنى قوله تعالى: (وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) (الأنبياء: 79) تصحيح حكم كل منهما . فإن الله أقر حكمهما.

والجواب أن يقال :

قد أكثر هذا العراقي من التشبيه بعدم تكفير المخطئ، وعدم تأثيمه ، وقدمنا من[3] الجواب عن هذه الشبه ما فيه كفاية . وأكثر كلامه تكرير وإسهاب يوهم الجهال[4] به أنه قد قرر الصواب ، وأوضح الخطاب ، ولا يروج هذا إلا على العوام ، ومن لا بصيرة له بحقيقة دين الإسلام ، وقدمنا[5] أن طرد قول العراقي واستدلاله يفيد عدم التأثيم والتكفير في الخطأ في جميع أصول الدين، كالإيمان بوجود الله، وربوبيته، وإلهيته، وقدره وقضائه، والإيمان بصفات كماله الذاتية والفعلية[6]، ومسألة علمه بالحوادث والكائنات قبل كونها.

---

[1] في (خ) : العلمية .

[2] ? في المطبوع : أنه .

[3] في (خ) : وقدم من . وفي المطبوع : وقد مر من .

[4] 4 في (خ) : على الجهال .

[5] في المطبوع : وقد قدمنا .

[6] الصفات الذاتية هي : الصفات التي لا تنفك عن الرب عز وجل بحال من الأحوال ، فهي من لوازم الذات كالعين واليد والساق . والصفات الفعلية : هي الصفات التي تتعلق بالمشيئة والإرادة ، إن شاء الرب عز وجل فعلها ، وإن شاء امتنع عنها ، كالغضب والرضى . انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (ص41) ، مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/219) ، بدائع الفوائد لابن القيم (1/159) ، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (1/96) .

والمنع من التكفير والتأثيم بالخطأ في هذا كله رد على من كفر معطلة الذات ، ومعطلة الربوبية، ومعطلة الأسماء والصفات، ومعطلة إفراده تعالى بالإلهية[1]، والقائلين بأنه لا يعلم الكائنات قبل كونها، كغلاة القدرية[2] .

ومن قال بإسناد الحوادث إلى الكواكب العلوية[3] ، ومن قال بالأصلين النور والظلمة[4]، فإن [التزام][5] العراقي هذا كله فهو أكفر وأضل من اليهود[6]والنصارى[7].

---

[1] ? التعطيل في اللغة : من عطل ، وهو لفظ يدل على خلو وفراغ . والمعطلة على أصناف :

أولا- معطلة الذات : المنكرون لوجود الله ، ويسمون معطلة الصانع لأنهم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم : (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) (الجاثية:24) ، ويسمون الدهرية وهم طائفة من الأقدمين ، جحدوا الصانع المدبر العالم القدير ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، وكذلك كان ، وكذلك يكون أبداً . فهؤلاء أنكروا الخالق والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني .

ثانيا- معطلة الربوبية : ويدخل فيه جميع الطوائف التي أشركت بتوحيد الربوبية كالصابئة ، والثانوية ، والمجوس ، وسيأتي لهم زيادة تعريف وبيان – إن شاء الله تعالى - .

ثالثا- معطلة الأسماء والصفات : وهم الجهمية ، قال الإمام أحمد : " وزعم – أي الجهم – أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه ، أو حدث عنه رسوله كان كافراً ... ولا يوصف ، ولا يعرف بصفة " .

رابعا- معطلة إفراده بالإلهية : وهؤلاء هم المشركون الذين يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ، ويصرفون بعض أنواع العبادة لبعض المخلوقات مثل عُباد الأصنام والأشجار والملائكة .

قال الشهرستاني : وصنف منهم أقروا بالخالق ، وابتداء الخلق ، ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة ، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقربوا القرابين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وحللوا وحرموا، وهم الدهماء من العرب. انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص (90) ، الرد على الجهمية للإمام أحمد ص (104) ، التبيه والرد للملطي (106/110)، الملل والنحل للشهرستاني (3/651-652) (3/260-268) ، المفردات للراغب (338) ، إغاثة اللهفان لابن القيم (2/247، 255) .

[2] القدرية بالمعنى العام : هم الخائضون في علم الله تعالى، وكتابته، ومشيئته، وتقديره، وخلقه بغير علم، وبخلاف مقتضى النصوص وفهم السلف وهم طوائف : القدرية النفاة : وهم الذين أنكروا القدر، أو بعضه مثل المعتزلة .

القدرية الغلاة : وهم الذين أنكروا علم الله السابق ، وزعموا أنه تعالى لم يقدر أفعال العباد سلفاً ، ولم يعلمها ولم يكتبها في اللوح المحفوظ ، وأن الأمر أنف ليس بتقدير سابق من الله تعالى مما استقل العباد بفعلها . وأول من قال بالقدر : معبد الجهني ثم غيلان الدمشقي ، وكان بداية ظهورهم بعد سنة (63هـ) .

وإن زعم أن ثم فارقا بين هذا وبين مسألة النزاع التي هي دعاء الأموات والغائبين فيما لا يقدر عليه إلا رب العالمين ، فليوجدنا هذا الفرق ، وليوجدنا دليلا على صحته ، فإن لم يفعل – ولن يفعل – بطل تقريره وتأصيله ، وعلم أهل العلم والإيمان أنه مدلس مشبه، ليس من أهل الفقه والدين ، ولا من[1] يعرف الإسلام والمسلمين، ويفرق بين الموحدين والمشركين، بل هو [من][2] ظلمات الطبع والجهل والشرك المبين.

قال ابن تيمية : (وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم ، وكتابته السابقة ويزعمون أنه أمر و نهي ، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه) . انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (8/450) منهاج السنة لابن تيمية (1/309) القدرية والمرجئة لناصر العقل ص (23-25) .

[3] وهم الصابئة الذين أرسل إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكانوا يعظمون الكواكب السبعة، ويعبدونها ، ويقولون إنها مدبرة هذا العالم . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (2/258) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص (92) ، وإغاثة اللهفان لابن القيم (2/249) .

[4] ? وهم المجوس ، وقد اثبتوا أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد ، ويسمون أحدهما النور ، والثاني الظلمة ، ويزعمون أن النور أزلي ، والظلمة محدثة . أما الثانوية : فيزعمون أن النور والظلمة قديمان .وكلا الطائفتين من معطلة الربوبية .
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (2/257) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (120)،البرهان للسكسكي (90) ، إغاثة اللهفان (2/247) .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : (التزم) وهو الصواب .

[6] اليهود : هم قوم موسى عليه السلام ، وهم بنوا إسرائيل ، وهو يعقوب عليه السلام ، قيل في سبب تسميتهم باليهود عدة أقوال أشهرها :
من هاد :أي رجع وتاب ، لقول موسى عليه السلام (إنا هدنا إليك) الأعراف (156) .
وقيل نسبة إلى يهوذا بن يعقوب ، وهم يدعون أنهم شعب الله المختار ، حرفوا عقيدة التوحيد وانحرفوا إلى التجسيم وعبادة الأصنام ، وكتابهم المنزل التوراة . انظر: الملل والنحل للشهرستاني (2/230) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (111)، البرهان للسكسكي (88) ، إغاثة اللهفان (2/298) .

[7] النصارى : هم قوم عيسى عليه السلام ، وقد أرسل إلى بنى إسرائيل بالإنجيل ،ومن استجاب له منهم سموا النصارى ، غلوا في عيسى حتى زعموا أنه ابن الله ، وأنه ثالث ثلاثة . انظر: الملل والنحل للشهرستاني (2/244) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (115)،البرهان للسكسكي (91) ، إغاثة اللهفان (2/270) .

[1] في المطبوع : ممن .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : في . وهو الصواب .

وكلام شيخ الإسلام -رحمه الله- إنما يعرفه ويدريه من مارس كلامه ، وعرف أصوله ، فإنه قد صرح في غير موضع : أن الخطأ قد يغفر لمن لم يبلغه الشرع ، ولم تقم عليه الحجة في مسائل مخصوصة إذا اتقى الله ما استطاع واجتهد بحسب طاقته . وأين التقوى وأين الاجتهاد الذي يدعيه عباد القبور والداعون للموتى وللغائبين ! كيف والقرآن يتلى في المساجد والمدارس والبيوت، ونصوص السنة النبوية مجموعة مدونة معلومة الصحة والثبوت ! والحديث الذي ذكره الشيخ في رجل من أهل الفترات[1] قام به من خشيته لله[2]، وخوفه ، والإيمان بثوابه وعقابه ما أوجب له أن أمر أهله بتحريقه، [فأن][3] هذا من هؤلاء الضلال الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على دعاء غير الله ، والشرك برب العالمين .فسحقاً لهذا الجاهل المفتري، وبعداً لكل ضال غوي

---

[1] الفترة : هي ما بين الرسولين من رسل الله تعالى من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة ، ومنه فترة مابين عيسى ومحمد -عليهما السلام - ، وأهل الفترات : هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يُرسل إليهم الأول ، ولا أدركوا الثاني ؛ كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ، ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صار يطلق هذا اللفظ عند كثير من العلماء على كل من لم تبلغهم الدعوة بحال ولا سمعوا لها بخبر ، بما فيهم أطفال المشركين . انظر : تفسير القرطبي (10/156) طريق الهجرتين لابن القيم (387) ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (3/408) ، شرح الأبي على صحيح مسلم (1/369-370) الحاوي للفتاوى للسيوطي (2/365).

[2] في (خ) والمطبوع : خشية الله .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : (فأين) وهو الصواب .

ومن تأمل كلام الشيخ وسياقه عرف مقصوده ، وأن الكلام فيمن كفر العصاة وأهل الكبائر ، وذكر نزاع الناس في ذلك – ثم قال : " وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل، فيدخل في القول: قول القلب واللسان، وفي العمل: عمل القلب والأركان "[1]. قال : " وقال المنتصرون لمذهبهم: إن للإيمان أصولا و[فرعا][2] ، وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبات ، بمنزلة اسم الحج والصلاة ، فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه: من فعل وترك، مثل : الإحرام وترك محظوراته ، والوقوف بعرفة ، ومزدلفة ، ومنى ، والطواف والسعي . ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج ، كالوقوف بعرفه ، وعلى ترك محظور متى فعله[3] فسد[4] حجه . وهو الوطء . ويشتمل[5] على واجبات من فعل وترك. يأثم بتركها عمدا ويجب لتركها لعذر[6] أو غيره الجبران[7] بدم ، كالإحرام من المواقيت، والجمع بين الليل والنهار بعرفة ، وكرمي الجمار ، ونحو ذلك .

---

[1] مجموع الفتاوى (12/471-472) باختصار .
[2] في (خ) والمطبوع : وفروعا . وهو الصواب .
[3] في المطبوع : فعل .
[4] في (خ) : فسد فسد (مكررة) .
[5] في (خ) والمطبوع : ومشتمل .
[6] في المطبوع : العذر .
[7] في المطبوع : كالجبران .

مشتمل[1] على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها ولا يأثم بتركها، ولا توجب دما مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه، وسوق الهدي، وذكر الله في تلك المواضع ، وقل الكلام إلا في أمر ونهي، فمن فعل ذلك الواجب وترك المحظور فقد تم حجه وعمرته، وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل،لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل وأتم حجا وعملا ، وهو سابق مقرب ، ومن ترك المأمور وفعل المحظور؛ لكنه أتى [بالأركانه][2] وترك مفسداته فهو حج[3] ناقص، يثاب على ما فعله من الحج ، ويعاقب على [ما][4] تركه ، وقد سقط عنه أصل الفرض "[5] – إلى أن قال : " فمسألة [التكفير][6] أهل الأهواء والبدع
[متفرقة][7] على هذا الأصل "[8].

---

[1] ? في المطبوع ، ومشتمل ، ولعله الأصوب .
[2] في (خ) : بالأركان . وفي المطبوع : بأركانه .
[3] في المطبوع : فحجه .
[4] ساقطة من (خ) .
[5] مجموع الفتاوى (12/472-473) باختصار .
[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : تكفير . وهو الصواب .
[7] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع ، والفتاوى : متفرعة. وهو الصواب.
[8] الفتاوى (12/474) بمعناه ، وليس نصا .

ثـم ذكـر مذاهـب الأئمـة في ذلك ، وذكـر تكفيـر الإمـام أحمـد للجهميـة[1] ، وذكـر كلام السلف في تكـفيرهم وإخراجهـم من الثلاث والسبعين فرقـة[2]، وغلـظ القـول فيهـم ، وذكـر الروايتيـن في تكفيـر مـن لـم يكـفرهـم ، وذكـر أن أصـول هـذه الفـرق هـم : الخـوارج والشيعـة[3]، والمرجئة[4] والقدرية– ثم أطال الكلام في عدم تكفير هذه الأصناف ، واحتج بحديث أبي هريرة[5] – ثم قال : " وإذا كان كذلك فالمخطئ في بعض المسائل إما أن يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة أصول الإيمان[6] . فإن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرات[7] المتواترة، وتحريم المحرمات الظاهرة : هو من أعظم أصول الإيمان، وقواعد الدين .

---

[1] قال الإمام أحمد عن الجهمية : " وأما الجهمية فإنهم يسمون أهل السنة المشبهة ، وكذبت الجهمية أعداء الله بل هم أولى بالتشبيه والتكذيب افتروا على الله عز وجل الكذب وقالوا الافك والزور وكفروا بقولهم " .انظر : طبقات الحنابلة (1/32،35) . وانظر : مجموع الفتاوى (12/485) .

[2] يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة وأنس بن مالك : (افترقت اليهود على احدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على احدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) ، وفي بعض الروايات : (كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة) ، وفي رواية : (كلها في النار إلا واحدة . قالوا : ومن ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي) . رواه الترمذي (5/25) [كتاب الايمان باب ما جاء به افتراق هذه الإمة] وحسنه الألباني ، انظر الصحيح الجامع (1082-1083) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك
(1/28) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن ماجه (4/352) [كتاب الفتن /ج (3992)] .

[3] الشيعة : هم الذين شايعوا علياً – رضي الله عنه – وقالوا : إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنص الجلي أو الخفي ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن ولده ، وإن خرجت فبظلم ، أو تقية منه ، أو من أولاده ، وجعلوا الإمامة من أصول الدين ، وقالوا : الأئمة معصومون، وهم فرق كثيرة جداً وأصولها ثلاث : غلاة ، وزيدية ، وإمامية . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (1/144) ، اعتقادات فرق المسلمين (59) ، والبرهان (65) .

[4] المرجئة : مأخوذة من الإرجاء وهو التأخير ، وسموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقالوا : الإيمان هو الاعتقاد بالقلب فقط ، ومنهم من قال : الإيمان هو الاعتقاد والنطق فقط ، وهم =فرق شتى : منهم مرجئة خالصة ، ومنهم من يجمع مع الارجاء بدعة أخرى كالجبر أو القدر ونحو ذلك . انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ص (132) ، والفرق للبغدادي ص (190) ، البرهان للسكسكي ص(33) .

[5] مجموع الفتاوى (12/475-496) .

[6] ورد في الفتاوى بعد هذا الكلام : " وإما أن يلحق بالمخطئين في مسائل الإيجاب والتحريم ، مع أنها أيضا من أصول الإيمان " وبه يتضح معنى العبارة (12/496) .

[7] في المطبوع : الظاهرة .

وإذا كان لابد من إلحاقه – أي المخطئ – بأحد [الصفتين][1] ، فإلحاقه بالمؤمنين المخطئين أشد شبها من إلحاقه بالمشركين وأهل الكتاب، مع العلم بأن كثيرا من أهل البدع منافقون النفاق [الكبر][2]، فمـا أكثـر ما يوجد في الرافضـة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون[3]، وأولئك في الدرك الأسفل من النار"[4] .

---

[1] في المطبوع : الصنفين ، ولعله أقرب إلى الصواب .

[2] في المطبوع : الأكبر . وهو الصواب . والنفاق في اللغة : مأخوذ من نافقاء اليربوع ، فإن اليربوع له جحر يقال له : النافقاء ، وآخر يقال له القاصعاء ، فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء ، وكذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه ، ويظهر غير ما يضمر، فظاهر جحره تراب كالأرض ، وباطنه حفر ، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر .

أما النفاق في الاصطلاح الشرعي : فهو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد وهو مصطلح اسلامي لم تعرف العرب بالمعنى المخصوص به ، وإن كان أصله اللغة معروفا. وينقسم قسمين :

1- النفاق الأكبر وهو الذي ينقل عن الملة ويوجب الخلود في الدرك الأسفل من النار، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به.

2- النفاق الأصغر ، وهو النفاق في الأعمال ونحوها ، قال ابن رجب : (وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قال الحسن) وذلك مما هو دون الكفر .

انظر: النهاية لابن الأثير (5/98) ، المفردات للراغب (502) ، لسان العرب (8/4507) ، وانظر أيضا : عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي (10/97) ، فتح الباري شرح صحيح =البخاري (1/89) ، مجموع الفتاوى (28/434،435) . مدراج السالكين (1/376) ، جامع العلوم والحكم (406) .

[3] في المطبوع : من زنادقة منافقين .

[4] انظر :مجموع الفتاوى (12/496-497) .

فتبين بهذا مراد الشيخ ، وأنه في طوائف مخصوصة، وأن الجهمية غير داخلين، و[لذلك][1] المشركين، وأهل الكتاب لم يدخلوا في هذه القاعدة، فإنه منع إلحاق المخطئ بهذه الأصناف، مع مباينته لهم في عامة أصول الإيمان .

وهذا هو قولنا بعينه ، فإنه إذا بقيت معه أصول الإيمان ، ولم يقع منه شرك أكبر، وإنما وقع في نوع من البدع فهذا لا نكفره، ولا نخرجه من الملة[2] .

---

[1] في(خ) ، والمطبوع : كذلك ، وهو الصواب .

[2] ? وهذا بعد قيام الحجة ، أما قبل قيام الحجة فلا يكفر إلا بعد البيان . انظر : المسألة الثالثة (ص 198).

وهذا البيان ينفعك فيما يأتي من التشبيه بأن الشيخ لا يكفر المخطئ والمجتهد، وأنه في مسائل مخصوصة، وبين وأن الإيمان يزول بزول[1] أركانه وقواعده الكبار، كالحج يفسد بترك أركانه[2] . وهذا عين قولنا ، بل هو أبلغ من مسائل[3] النزاع.

---

1 ? هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : بزوال . وكلاهما صحيح .

2 في المطبوع : ركن من أركانه .

3 في المطبوع : مسألة .

ومن تأمل كلام الشيخ في هذا الباب عرف المراد ، ومن أزاغ الله[1] قلبه فلا حيلة فيه . وحديث الرجـل الـذي أمـر أهله بتحـريقه كـان موحـدا ليس من أهل الشـرك ، فقـد ثبـت مـن طـريق أبـي كامـل[2] عـن حمـاد[3] عن ثـابت[4] عن أبي رافع[5] عن أبي هريرة : " لم يعمل خيرا قط إلا التوحيد"[6] ، فبطل الاحتجاج به على[7] مسألة النزاع.

---

[1] في (خ) : الله الله .

[2] هو : فضيل بن حسين أبو كامل الجحدري ، ثقة حافظ ، توفي سنة (237هـ) . انظر : الكاشف للذهبي (2/330) ، تقريب التهذيب (ص785) .

[3] هو : حماد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة ، ثقة عابد أثبت الناس في ثابت ، توفي سنة (167هـ) . انظر : الكاشف (1/188) ، التقريب (ص268) .

[4] هو : ثابت بن أسلم البناني أبو محمد ، كان رأسا في العلم والعمل ، ثقة عابد ، توفي سنة (127هـ) . انظر : الكاشف (1/115) ، التقريب (185) .

[5] هو : نفيع بن رافع الصائغ ، أبو رافع المدني ، ثقة من كبار التابعين . (تهذيب التهذيب (10/420) ، الكاشف (2/425) .

[6] روى هذه الزيادة بهذا الإسناد الإمام أحمد في المسند (2/304) وقال محققوا المسند : " وهذا إسناد متصل صحيح ، ...ولم نجد من خرجه من هذا الطريق سوى المصنف " (13/408) .

وقال ابن عبد البر : " روي من حديث أبي رافع عن أبي هريرة في هذا الحديث أنه قال : " قال رجل لم يعمل خيرا قط إلا التوحيد"، وهذه اللفظة إن صحت رفعت الإشكال في إيمان هذا الرجل ، وإن لم تصح من جهة النقل فهي صحيحة من جهة المعنى ، والأصول كلها تعضدها ، والنظر يوجبها ؛ لأنه غير جائز أن يغفر للذين يموتون وهم كفار ؛ لأن الله عز وجل قد أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافرا ، وهذا ما لا مدفع له ولا خلاف فيه بين أهل القبلة ، وفي هذا الأصل ما يدلك على أن قوله في هذا الحديث : " لم يعمل حسنة قط " أو " لم يعمل خيرا قط " لم يعذبه إلا ما عدا التوحيد من الحسنات والخير وهذا سائغ في لسان العرب، جائز في لغتها أن يؤتى بلفظ الكل والمراد البعض ، والدليل على أن الرجل كان مؤمنا: قوله حين قيل له لم فعلت هذا ؟ فقال : من خشيتك يا رب . والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق ، بل ما تكاد تكون إلا لمؤمن عالم ، كما قال الله عز وجل : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ، قالوا : كل من خاف الله فقد آمن به ، وعرفه ، ومستحيل أن يخافه من لا يؤمن به ، وهذا واضح لمن فهم وألهم رشده " (18/40-41) .

[7] في المطبوع : عن .

وأما الخطأ في الفروع والمسائل الاجتهادية إذا اتقى المجتهد ما استطاع فلم نقل بتكفير أحد بذلك ولا بتأثيمه ، والمسألة ليست من[1] محل النزاع ، فإيراد العراقي لها هنا تكثر بما ليس له ، وتكبير لحجم الكتاب بما لا يغني عنه فتيلا.

وهل أوقـع الاتحادية[2] والحلولية[3] فيما هم عليه من الكفر البواح والشرك العظيم والتعطيل لحقيقة وجود رب العالمين إلا خطؤهم في هذا الباب الذي اجتهدوا فيه، فضلوا وأضلوا[4] عن سواء السبيل ؟

وهل قتل الحلاج[5] باتفاق أهل الفتوى على قتله إلا ضلال اجتهاده ؟ وهل كفر القرامطة[6] وانتحلوا ما انتحلوه من الفضائح الشنيعة، وخلع[7] ربقة الشريعة إلا باجتهادهم فيما زعموا ؟

---

[1] في المطبوع : في .

[2] هم القائلون بأن الله متحد بمخلوقاته كاتحاد الماء باللبن ، والنار بالحديد ، فوجود الخالق عين وجود المخلوق ، وحقيقة قولهم تعطيل الصانع بالكلية ، والقائلون بهذا القول هم غلاة الصوفية والفلاسفة كابن عربي وابن سبعين والتلمساني وغيرهم .

انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (3/75 ، 6/152-154) ، مختصر الصواعق لابن القيم (2/286) .

[3] هم الذين يعتقدون أن الله بذاته حل في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء ، وأنه تعالى بذاته في كل مكان والقول بالحلول والاتحاد مآلهما واحد . انظر : مجموع الفتاوى (2/141، 480) .

[4] في (خ) : وضلوا .

[5] هو : الحسين بن منصور الحلاج أصله من فارس وكان جده مجوسياً ، وظهر أمره سنة 299هـ، وكان ينشر طريقته سراً ، أظهر التشيع وكان من غلاة الصوفية يقول بحلول الالهية فيه ، سجنه المقتدر العباسي ، وقتل ونصب رأسه على جسر بغداد ، وادعى أصحابه أنه له كرامات حتى زعموا أنه لم يقتل – وكان مقتله سنة 309هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء (14/313) مرآة الزمان لليافعي (2/189) .

[6] القرامطة : فرقة من فرق الباطنية ينتسبون إلى حمدان قرمط ، وهو زعيمهم ، جحدوا الشرائع ، واستباحوا المحارم ، وتأولوا الأحكام ، خرجوا على المسلمين سنة 218هـ ، وحكموا البحرين وعاثوا في الأرض فساداً ، واستحلوا البيت الحرام واقتلعوا الحجر الأسود وذهبوا به إلى البحرين (الأحساء وما جاورها) .

انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ص (266) التنبيه والرد للملطي (20) ، البرهان للسكسكي ص(80) .

[7] في المطبوع : خلعوا .

وهل قالت الرافضة ما قالت ، واستباحت ما استباحت من الكفر والشرك وعبادة الأئمة الإثني عشر[7]، وغيرهم ، ومسبة أصحاب الرسول[8] ، وأم المؤمنين[9] ، إلا باجتهادهم فيما زعموا ؟

هؤلاء[10] سلف العراقي في قوله : إن كل خطأ مغفور. وهذا لازم له لا محيص عنه فقف هنا[11]، واستصحب ما ذكر هنا في رد ما يأتي ويمر عليك من نحو هذه الشبهة، وقد تقدم في أول الجواب ما فيه كفاية، وإنما كررنا الجواب لتكرير الشبهة. وإن عادت العقرب فالنعل حاضرة[12] .

---

[7] الإثنا عشرية : فرقة من فرق الشيعة تزعم أن الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم اثنا عشر إماما وهم : علي و الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري والمهدي المنتظر، ويسمون الإمامية .
انظر : الملل والنحل(1/171) ، الفرق بين الفرق(64) ، اعتقادات المسلمين(66) ، البرهان (68) .

[8] ? في (خ) : رسول الله .

[9] ? في المطبوع زيادة : الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما - .

[10] في المطبوع : وهؤلاء .

[11] ساقطة من المطبوع .

[12] في المطبوع : لها حاضرة .

فصـــل

قال العراقي : النقل السابع عشر: قال في الفتاوى أيضا، في جوابه له : " وأما هؤلاء القلندرية[1] المحلقين اللحى، فمن أهل الضلالة، وأكثرهم كافر بالله ورسوله، لا يرون في[2] وجوب الصلاة ولا الصيام ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون بدين الحق، بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى، وليسوا من أهل الملة، ولا من أهل السنة، وقد يكون فيهم من هو مسلم، لكنه[3] مبتدع ضال، أو فاجر فاسق – إلى أن قال : " ويجب عقوبتهم جميعهم ، ومنعهم من هذا الشعار الملعون ، كما يجب ذلك في كل معلن ببدعة وفجور ، وليس ذلك مختصا بهم، بل [كان][4] من كان من المتفقهة والمتعبدة والمتكلمة[5]

---

[1] هم فرقة صوفية تميز أتباعها بحلق رؤوسهم وشواربهم ولحاهم وحواجبهم ، وحقيقة القلندرية : أنهم قوم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخاطبات ، وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة ، وأول ظهورها في عهد الظاهر بيبرس ، وقيل : سنة بضع عشر وستمائة ، وكلمة قلندرية كلمة أعجمية معناها : المحلقون . انتشر أتباعها بمصر والشام والعراق ، وكان للفقهاء موقف متشدد منها لتحلل أتباعها من بعض الفرائض الدينية ، وكانوا يجتمعون في مكان خاص بهم يعرف باسم : القلندرخانة، ويسمون : الملامية، أو الملامتية ، أو اليونسية ، أو الحيدرية . والفرق بين الملامتي والقلندري : أن الملامتي يعمل في كتم العبادات ، حتى ينجو من الرياء ، والقلندري يعمل في تخريب العادات . انظر : خطط المقريزي (4/311-312) ، معجم المصطلحات التاريخية ص (353) .

[2] ساقطة من المطبوع .

[3] في المطبوع : (ولكنه) .

[4] في المطبوع : كل . وكذلك في الفتاوى (35/164) ولعله هو الصواب .

[5] نسبة إلى علم الكلام : وهو العلم الذي يقوم على إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية .

والمتفلسفة[1]، ومن وافقهم من أهل الديوان[2]، والملوك، والأغنياء، والكتاب، والأطباء، والعامة، خارجا عن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله[3]، ولا يقر بجميع ما أخبر الله به على لسان رسوله، ولا يوجب ما أوجب الله ورسوله، ولا يحرم ما حرم الله[4] ، أو يدين دينا[5] يخالف

وأهل الكلام : كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة : كالجهمية ، والمعتزلة، والأشاعرة، ونحوهم ، وقد يسمون أهل الأهواء ، يقول شيخ الإسلام في " درء التعارض " : " فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء " ، ويقول في موضع آخر: " وإنما عمدة الكلام عندهم =ومعظمه تلك القضايا التي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم ، وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثيرا مما جاءت به السنة ، ولا شك أن هؤلاء هم المتكلمة المذمومون عند السلف ؛ لكثرة بنائهم الدين على القياس الفاسد الكلامي ، وردهم لما جاء به الكتاب والسنة" . انظر : مجموع الفتاوى (2/8،7) ، درء التعارض (7/181) ، مقدمة ابن خلد ون (1/363)، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن (ص 21) .

[1] الفلسفة باليونانية محبة الحكمة ، والفيلسوف : مركب من مقطعين (فيلا) هو المحب ، و (سوفا) وهي الحكمة . والفلاسفة : اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها ، وقد صار هذا الأسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه ، وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو ، وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها .. وكان يقول بقدم العالم . انظر : إغاثة اللهفان لابن القيم (2/256-268) ، المعجم الفلسفي لصليبيا(138-139) ، درء التعارض (1/122) .

[2] الديوان : لفظ الديوان اختلف في اصل تسميته : فذهب قوم إلى أنه عربي مأخوذ من التدوين ، بمعنى التقييد والتثبيت ، وجمعه : دواوين ، دياوين ، وذهب آخرون إلى أنه فارسي معرب . والديوان : هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وأول من دون الدواوين عمر رضي الله عنه ، ثم صار يطلق اصطلاحا : على المكان الذي يجلس فيه الكتاب ، والذي كان معدا لحفظ دفاتر الدولة وسجلاتها ، و كان يشرف على الديوان أكثر الأشخاص قربا من الخلفاء، والملوك والسلاطين ، وكان يضاف إلى ألقابهم اختصاص الدواوين التي يشغلونها، فيقال : مثلا صاحب ديوان الخراج ، فالديوان بهذا المعنى هو ما يشبه ا لوزارة في مفهومها اليوم . انظر : المعرب للجواليقي (154) ، القاموس المحيط (1545) ط: الرسالة ، صبح الأعشى (1 / 123) ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية (191-192) .

[3] في المطبوع : رسله .

[4] في المطبوع زيادة : ورسوله .

[5] في المطبوع : بدين .

الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ ظاهرا و[1] باطنا، مثل : أن يعتقد أن شيخه يرزقه، أو ينصره، أو يهديه، أو يغيثه، أو كان يعبد شيخه، أو يدعوه، أويسجد له، أو يفضله على النبي ﷺ تفضيلا مطلقا، أومقيدا في شيء من الفضل الذي يقرب إلى الله[2]، وكان يرى هو[3] أو[4] شيخه مستغنيا[5] عن متابعة الرسول ﷺ، فكل هؤلاء كفار إن أظهروا و[6] منافقون إن [بطنوا][7] .

---

[1] في المطبوع : أو .
[2] في المطبوع : الله تعالى .
[3] في المطبوع : يرى نفسه .
[4] في (خ) غير واضحة .
[5] في المخطوطتين : مستغن . وكذا في الفتاوى .
[6] الواو ساقطة في المطبوع .
[7] هكذا في (م) . وفي (خ) ، والمطبوع : أبطنوا . وهو الصواب .

وهؤلاء الأجناس – وإن كانوا قد كثروا في هذه الأزمنة – فلقلة دعاة[1] العلم والإيمان ، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان .

وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة، وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك . وفي أوقات الفترات وأمكنة الفترات يثاب الرجل على ما معه من العلم، ويغفر له ما لم تقم [عليه الحجة[2] ما لا يغفر لمن قامت][3] عليه الحجة ، كما في الحديث المعروف: " يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة، ولا صياما، ولا حجا، ولا عمرة، إلا الشيخ الكبير[4]، والعجوز الكبيرة، يقولون: أدركنا آباءنا يقولون: لا إله إلا الله . فقيل لحذيفة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله؟ قال: تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار "[5] .

---

[1] في كلا المخطوطتين : دعات .
[2] في المطبوع : الحجة عليه . وكذلك في صلح الإخوان ص(26) .
[3] ساقط من (خ) .
[4] يوجد في (خ) كلمة غير واضحة ، وكأنه قد شطب عليها . وليس لها تأثير في المعنى .
[5] رواه : ابن ماجه (2/1344) برقم (4049) [كتاب الفتن / باب ذهاب القرآن والعلم] ، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (3/254) ، ورواه الحاكم في المستدرك (4/473) ، وقال صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (2/356) رقم (636) . وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (87) .

وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع، يقال: هي كفر قولا مطلقا، كما دل على ذلك الدليل الشرعي.

فإن الإيمان والتكفير[1] من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم . ولا يجب أن يحكم[2] في كل شخص قال ذلك أنه كافر، حتى يثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه، مثل من قال: شرب الخمر، والربا حلال لقرب عهده بالإسلام ، والنشاءة[3] ببلاد بعيدة أو سمع كلاما أنكره، ولم[4] يعتقد أنه من القرآن، ولا من أحاديث رسول الله[5] ﷺ ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حيث لم يثبت عنده أن النبي ﷺ قالها ، وكما كان الصحابة يشكون في أشياء مثل رؤية الله[6] وغير ذلك ، ومثل الذي قال لأهله : "إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم، فلعلي أضل عن الله "[7]، ونحو ذلك، فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة الرسالية ، وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ، وقد

---

[1] غير واضحة في (خ) وكأنها الكفر .

[2] في المطبوع : يحكي .

[3] في المطبوع : النشأة وكلا الوجهين صحيح ، جاء في لسان العرب : نشأ ينشأ نشأً ونشوءاً ونشاءً: أي " ربا " . (7/4418) .

[4] في المطبوع : ولا .

[5] في المطبوع : الرسول .

[6] ويقصد الشيخ رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله في الدنيا في حادثة الإسراء ، كما مر من حديث عائشة – رضي الله عنها - ، أما رؤية الله في الآخرة فلم يشك فيها أحد من الصحابة – رضي الله عنهم - .

[7] سبق تخريجه .

أشبعنا الكلام[1] في أماكنها . والفتوى لا [تحمل][2] البسط أكثر من هذا . انتهى[3] .

قال العراقي : بعد نقله لهذا : فتأمل كلام شيخ الإسلام في هذه [المقالة][4] القلندرية وأشباههم ، مع قوله : إن أكثرهم لا يؤمن بالله ورسوله . وقوله: لا يرون وجوب الصيام والصلاة[5] ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . وكثير منهم أكفر من اليهود والنصارى . وأنهم يخالفون الدين الذي بعث الله به رسوله باطنا وظاهرا . وأنهم يعتقدون أن شيخهم يرزقهم وينصرهم أو يهديهم أو يغيثهم[6] . ويعبدون شيوخهم ويدعونهم[7] ويسجدون لهم، ويفضلون شيوخهم على النبي ﷺ، وكل واحدة من الخصال[8] مكفرة ، إذا اعتقدوا أن الرزق والنصرة والإغاثة من شيوخهم استقلالا من دون الله من غير تأويل أنهم[9] بشفاعتهم، و[على][10] هذا كله عندهم لفتور آثار الرسالة.

---

[1] في المطبوع زيادة : عليها . وفي الفتاوى (في القواعد التي في هذا الجواب) .

[2] في (خ) ، والمطبوع : تحتمل . وهو الصواب .

[3] انظر : مجموع الفتاوى (35/163-166) .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : (الطائفة) ، وهو الأصوب .

[5] في (خ) ، والمطبوع : الصلاة و الصيام .

[6] في المطبوع : ويهديهم ويغيثهم .

[7] ساقطة من المطبوع .

[8] في المطبوع : هذه الخصال .

[9] في المطبوع : أنها .

[10] لم تثبت في المطبوع . وهو الصواب .

وكثير منهم لم يبلغهم ذلك ، وأنهم مثابون مغفور لهم على ما معهم من الإيمان . وإن كلمة لا إله إلا الله تنجيهم من النار حتى كررها الصحابي الجليل صاحب رسول الله ﷺ ، مع عدم إيجابهم الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة ، وأن حال هؤلاء كحال بعض الصحابة، وبعض السلف الشاكين في ثبوت بعض الآيات أو بعض الأحاديث ، ولم تبلغهم أولوها[1] ، ومثل الذي أمر أهله بإحراقه وذره في الهواء واعتقد أن الله لا يقدر عليه وعلى بعثه .

وصرح رحمه الله أن الكفر لا يثبت على معين ، وإن[2] أطلق عليه الكفر بالكتاب والسنة والإجماع ، حتى تثبت شروط التكفير، وتنتفي موانعه. و[من][3] جملة موانعه كما صرح به غير مرة : الاجتهاد في مسألة ولو مخطئا، والتقليد لمجتهد في هذه المسألة [أو][4] تأويل يعذره الله فيه ، أو شبهة أو جهلا أو[5] حسن قصد.

---

[1] هكذا في المخطوطتين ، وفي المطبوع : (ولم تبلغهم أو بلغتهم أولوها) . ولعل الأصوب : " أو بلغتهم أو أولوها " كما في صلح الإخوان .

[2] ساقطة من المطبوع .

[3] ساقطة من (خ) .

[4] ساقطة من (م) ، والمثبت من (خ) والمطبوع ، وهو ما يقتضيه السياق .

[5] في المطبوع : و .

وانظر إلى قوله: فإن الإيمان والتكفير من الأمور المتلقاة عن الله ورسوله ليس[1] ذلك مما يحكم الناس فيه بظنونهم وأهوائهم، فأنصف يا أخي ولا تجاسر[2] على من يقول لا إله إلا الله وأن محمداً[3] رسول الله[4] ومع ذلك يوجب ما أوجب[5] الله ورسوله، ويصلي، ويصوم، ويزكي، ويحج ويحب الله ورسوله، ويؤمن بكتبه وملائكته ورسله، والله يصلحنا[6] وأياك.

والجـواب أن يقال: هذا العراقي يتكثر بما ليس له ، ويخرج عن محل النزاع ، ويوهم الجهال أنه قد أفاد وأجاد ، وهو في ظلمات لا تنقشع ، ولا تكاد .

---

[1] في المطبوع : وليس .
[2] في المطبوع : تتجاسر .
[3] في المطبوع : محمد رسول الله .
[4] في (خ) زيادة : صلى الله عليه وسلم .
[5] في المطبوع : أوجبه .
[6] في المطبوع : يصلنا .

وهذا الكلام الذي حكاه عن الشيخ صريح في تكفير من خرج عن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله9، أولا[1] يقر بجميع ما أخبر الله به على لسان رسوله ، أولا يوجب8ما أوجب الله ورسوله ، أو لا يحرم ما حرم الله ورسوله ، أو كان يدين بدين يخالف ما بعث الله به رسوله ظاهرا وباطنا ، مثل أن يعتقد أن شيخه يرزقه، أو ينصره، أو يهديه، أو يغيثه، أو كان يعبد شيخه، أو يدعوه[2]، أو يسجد له، أو يفضله على النبي تفضيلا مطلقا أو مقيدا، أو كان يرى أنه هو أو شيخه مستغنيا[3]عن متابعة الرسول قال : " فكل هؤلاء كفار إن أظهروا منافقون[4] إن أبطنوا[5] " ، فجزم بكفرهم وقرره ، وهذا عين كلامنا ، ولم نزد على الشيخ حرفا واحدا ، بل كلامه أبلغ ، ويدخل تحته من التكفير بالجزئيات ما هو دون مسألة النزاع بكثير.

وأما قوله : " وإن كانوا قد كثروا في هذه الأزمنة ؛ فلقلة دعاة العلم، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة، وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك، وفي أوقات الفترات وأمكنة الفترات يثاب الرجل على ما معه من العلم، ويغفر له ما لم تقم الحجة عليه[6]، ما لا يغفر لمن قامت عليه الحجة " – إلى آخر كلامه.

---

[1] في المطبوع : ولا .

[2] كلمة (أو يدعوه) ساقطة من المطبوع .

[3] في كلا المخطوطتين (مستغن) .

[4] في المطبوع : ومنافقون .

[5] في (خ) : بطنوا .

[6] في (خ) : عليه الحجة .

فهذا هو الذي تمسك به العراقي ، أعني هذا[1] الكلام الأخير، أو[2] ظن أنه [له][3] لا عليه ، وهذا غلط ظاهر وجهل مستبين ، فإن النزاع فيمن قامت عليه الحجة، وعرف التوحيد، ثم تهين في عداوته ومسبته ورده، كما فعل هذا العراقي ، أو أعرض عنه ولم[4] يرفع به رأسا، كحال جمهور عباد القبور، أو[5] لم يعلم لكن[6] تمكن من العلم ومعرفة الهدى فأخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولم يلتفت إلى ما جاءت به الرسل، ولا اهتم به .

وكان شيخنا محمد بن عبد الوهاب يقرر في مجالسه ورسائله أنه لا يكفر إلا [ما][7] قامت عليه الحجة الرسالية ، ومن[8]عرف دين الرسول وبعد معرفته تبين في عداوته ومسبته ، وتارة يقول : " وإذا كنا لا نكفر من يعبد قبة الكواز[9] ونحوه؛ لعدم من ينبههم[10] فكيف نكفر من لم يهاجر [إلينا][11]"[12] ؟!

ويقول في بعضها : " وأما من أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فلا أدري ما حاله؟"[13]. وإذا كان هذا كلام شيخنا– رحمه الله-[14] وهذه طريقته ، فكيف يلزمه العراقي وينسب إليه التكفير بالعموم ، ويحتج عليه بقول الشيخ[15] : إن أهل الفترات ومن لم تبلغهم الدعوة يغفر لهم ما لا يغفر لغيرهم ؟

---

[1] في المطبوع : على هذا .

[2] في المطبوع : و .

[3] ساقطة من : خ .

[4] في المطبوع فلم .

[5] في المطبوع : و .

[6] في المطبوع : ولكن .

[7] هكذا في كلا المخطتوطتين ، وفي المطبوع : (من) . وهو الصواب .

[8] في المطبوع : وإلا من .

[9] ?نسبة إلى الكواز ، وهو اسم علم لم أعرف من هو ، ولم أجد من عرف قبة الكواز –فيما اطلعت عليه من مراجع-، والذي يظهر لي بالاطلاع على مؤلفات الشيخ التي ذكر فيها الكواز ، أو قبة الكواز أنها في العراق . والله أعلم .

[10] في المطبوع سقطت (لعدم من ينبههم) وأثبت بدلاً منها : (ونقاتلهم حتى نبين لهم وندعوهم) .

[11] ساقطة من كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع .

[12] ? لم أجد هذا النص فيما اطلعت عليه من مؤلفات الشيخ ، ووجدت نصا مقاربا ، وهو قوله -رحمه الله - : " وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر ، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي ، وأمثالهما ؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟! (سبحانك هذا بهتان عظيم) " مجموع مؤلفات الشيخ (2/الفتاوى/ 5).

[13] المرجع السابق (المسألة الخامسة/ 22) .

[14] ساقطة من المطبوع .

[15] ? يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - .

والعراقي لبس الحق بالباطل، وافترى على الشيخ، ونسب إليه ما ليس من مذهبه وما لم يقل، وألزمه ما هو بريء منه، ثم أخذ في رد ما افتراه ، وبهت الشيخ به، وبهذا تعرف أنه مخلط ملبس. قال ابن القيم رحمه الله [تعالى][1] في كتابه[2] " طبقات المكلفين" -بعد أن ذكر الطبقة السادسة عشر[3]- : رؤوس الكفر وأئمته ودعاته الذين كفروا وصدوا عباد الله عن الإيمان وعن الدخول في دينه[4] رغبة ورهبة، فهؤلاء عذابهم مضاعف، ولهم عذابان عذاب بالكفر وعذاب بصد الناس عن الدخول في الإيمان، قال تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ) (النحل : 88) -وأطال الكلام في تغليظ كفر هذه الطبقة ، ومضاعفة عذابهم[5] ، ثم ذكر الطبقة السابعة عشر[6]، فقال : " الطبقة السابعة عشر[7]: طبقة المقلدين وجهال الكفار وأتباعهم وحميرهم، الذين هم معهم تبع يقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة، ولنا أسوة بهم ، ومع هذا فهم[8] مسالمون لأهل الإسلام غير محاربين لهم، كنساء المحاربين وخدمهم وأتباعهم الذين لم ينصبوا أنفسهم لما نصب له أولئك أنفسهم من السعي في إطفاء نور الله، وهدم دينه، وإخماد كلماته، بل هم بمنزلة الدواب . وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالا مقلدين لرؤسهم[9] وأئمتهم ، إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار، وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهب لم يقل به أحد من الأئمة[10] المسلمين لا الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم ، وإنما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث في الإسلام ، وقد صح عن النبي أنه قال: ” ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه"[11] ، فأخبر أن أبويه ينقلانه[12] عن

---

[1] ساقطة من : (خ) .
[2] في المطبوع : كتاب .
[3] في المطبوع : عشرة .
[4] في المطبوع : دين الله .
[5] ? انظر : طريق الهجرتين (409) .
[6] في المطبوع : عشرة .
[7] في المطبوع : عشرة .
[8] في المطبوع : فإنهم .
[9] في المطبوع : رؤسائهم .
[10] في المطبوع : أئمة .
[11] ? رواه :البخاري في مواضع منها [كتاب الجنائز / باب ما قيل في أولاد المشركين] (1/465) ، ومسلم في (كتاب القدر / باب معنى كل مولود يولد على الفطرة) (4/2047) .
[12] في (خ) : ينقلا .

الفطرة إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية، ولم يعتبر[1] في ذلك غير المربأ[2] والمنشأ على ما عليه الأبوان ، وصح عنه ﷺ أنه قال : " إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة "[3] ، وهذا المقلد ليس بمسلم وهو عاقل مكلف ، والعاقل لا يخرج عن الإسلام أو الكفر.

---

[1] في المطبوع : يعتقد ، وهو تصحيف .

[2] في المطبوع : المربي .

[3] ? والحديث هو : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : شهدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- خيبر ، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام : " هذا من أهل النار " . فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله ، الذي قلت إنه من أهل النار ، فإنه قد قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : " إلى النار " . قال : فكاد بعض الناس أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت ، ولكن به جراحا شديدا ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله " . ثم أمر بلالا فنادى بالناس : " إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " رواه البخاري في عدة مواضع ، ومنها [كتاب الجهاد/ باب: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر] (3/1114) ، ومسلم [كتاب الإيمان/ باب : غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه..] (1/103) .

وأما من [لم][1] تبلغه الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال ، وهو بمنزلة الأطفال والمجانين ، وقد تقدم الكلام عليهم"[2] .

قلت : وهذا الصنف –أعني من لم تبلغهم الدعوة– هم[3] الذين استثناهم شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقل العراقي[4]، واستثناهم شيخنا الشيخ محمد -رحمه الله-[5] وصنف شيخ الإسلام رسالة في أن الشرائع لا تلزم[6] إلا بعد البلاغ وقيام الحجة. انتهى[7] .

ثم قال ابن القيم -رحمه الله- : " والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان برسوله، واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل ، فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال[8] غير معاندين ، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارا ، فإن [الكفار][9] من جحد توحيد الله تعالى ، وكذب رسوله ، إما عنادا وإما جهلا وتقليدا لأهل العناد .

فهذا وإن كان غايته أنه غير معاند فهو متبع لأهل العناد، وقد أخبر الله تعالى في القرآن في غير موضع بعذاب المقلدين لأسلافهم من الكفار، وأن الأتباع مع متبوعهم[10]، وأنهم يتحاجون في النار، وأن الاتباع يقولون: (رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنْ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ)(الأعراف: 38) ، وقال[11] : (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنْ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (غافر:47-48) ، وقال تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ[12] بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

---

[1] ساقطة من كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع ، ومن " طريق الهجرتين " .

[2] ? طريق الهجرتين (411) .

[3] هم : ساقطة من المطبوع .

[4] في المطبوع زيادة : عنه .

[5] في المطبوع زيادة : تعالى .

[6] في المطبوع : تلزمه .

[7] ساقطة من المطبوع .

[8] في المطبوع زيادة حرف العطف (و) .

[9] في المطبوع : الكافر . وهو الصواب .

[10] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع ، وطريق الهجرتين : متبوعيهم . ولعله الصواب .

[11] في المطبوع زيادة : تعالى .

لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً[12]) (سبأ: 31-33) .

فهذا إخبار من الله وتحذير بأن المتبوعين والتابعين اشتركوا في العذاب ولم يغن عنهم تقليدهم شيئا.

وأصرح من هذا قوله تعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا) (البقرة:166-167)[1] .

وصح عن النبي أنه قال: " من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، ولا ينقص من [أوزارهم][2] شيئا"[3]، وهذا يدل على أن كفر من اتبعهم[4] إنما هو مجرد اتباعهم وتقليدهم . نعم لابد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال، وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق، فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه ، والقسمان واقعان في الوجود، فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله . وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لم[5] يتمكن من العلم بوجه، فهم قسمان : أحدهما : مريد للهدى مؤثر له ، محب له غير قادر عليه ، ولا على طلبه، لعدم من يرشده[6] . فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ، ومن لم تبلغه الدعوة . الثاني : معرض لا إرادة له ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه.

فالأول يقول : يا رب ، لو أعلم لك دينا خيرا مما أنا عليه

---

[12] في (خ) وقف هنا . وقال : إلى قوله : (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً) .

[1] في (خ) : لم يكمل الآية ، ووقف عند قوله : (وتقطعت) ثم قال ... الآية.

[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . والصحيح : (آثامهم) كما هو وارد في الحديث . أما لفظ (أوزارهم) فقد ورد في حديث آخر في صحيح مسلم أيضا : وهو : " من سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيئا " (4/2059-2060) .

[3] رواه : مسلم في صحيحه [كتاب العلم/باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة] (4/2060) ، وأبو داود [كتاب السنة/باب:لزوم السنة](4/201) ، والترمذي [كتاب العلم/باب: ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة] (5/43) .

[4] في (خ) تبعهم .

[5] في المطبوع : (لا) .

[6] في المطبوع : مرشد .

لدنت به ، وتركت ما أنا عليه ، ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ، ولا أقدر على غيره، فهو غاية جهدي، ونهاية معرفتي، والثاني : راض بما هو عليه ، لا يؤثر غيره عليه[7]، ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته ، وكلاهما عاجز، وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق. فالأول كمن طلب الدين في الفترة، فلم يظفر به ، فعدل عنه بعد استفراغه الوسع في طلبه عجزا وجهلا .

والثاني : كمن لم يطلبه بل مات على شركه . وإن كان لو طلبه لعجز عنه. ففرق [بين][1] عجز الطالب[2] وعجز المعرض. فتأمل هذا الموضع . والله يقضي بين عباده يوم القيامة بعدله وحكمته. ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل. فهذا مقطوع به في جملة الخلق . وأما كون زيد بعينه وعمر[3] قامت عليه الحجة أم لا ؟ فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وعباده فيه ، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر ، والله[4] سبحانه[5] لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول . هذا في الجملة والتعيين موكول إلى علم الله تعالى[6] وحكمه . هذا في أحكام الثواب والعقاب وأما في أحكام الدنيا، فهي جارية على ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم.

وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة. وهو مبني على أربعة أصول :

---

[7] كلمة (عليه) ساقطة من المطبوع .
[1] ساقطة من (خ) .
[2] في (خ) : الطلب .
[3] في المطبوع : عمرو .
[4] في المطبوع : وأن الله .
[5] في المطبوع : زيادة (وتعالى) .
[6] كلمة (تعالى) : ساقطة من المطبوع .

أحدها : إن الله سبحانه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه. كما قال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (الإسراء:15) ، وقال:(رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)(النساء:165) ، وقال تعالى: (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)(تبارك:8-9) [1]، وقال: (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ)(تبارك:11) ، وقال: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) (الأنعام:130) [2]. وهذا كثير في القرآن ، يخبر تعالى أنه إنما يعذب من جاءه الرسول[3] ، أو[4] قامت عليه[5] الحجة. وهو المذنب الذي يغتر بذنبه[6] . وقال تعالى : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ)(الزخرف:76) ، والظالم : من عرف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم[7] ، أو[8] تمكن من معرفته ، ثم خالفه ، وأعرض عنه.وأما من لم يكن عنده من الرسول خبر أصلا ، ولا تمكن من معرفته بوجه ، وعجز عن ذلك فكيف يقال : إنه ظالم ؟ .

---

[1] في (خ) : لم يكمل الآية، وذكر إلى قوله (فوج) ثم قال .. الآية .
[2] في (خ) : لم يكمل الآية، وذكر إلى قوله (رسل منكم) ثم قال إلى قوله (كانوا كافرين) .
[3] في المطبوع : إنما يعذبهم لأنه قد جاءهم الرسول .
[4] في المطبوع : و .
[5] في المطبوع : عليهم .
[6] في (خ) : يقر بذنبه . وفي المطبوع : وهم المذنبون المفترون بذنوبهم .
[7] ساقطة من المطبوع .
[8] في المطبوع : و .

الأصل الثاني : أن العذاب يستحق بشيئين . أحدهما : عند[1] الإعراض عن الحجة وعدم إرادته بها وبموجبها. والثاني : العناد[2] لها بعد قيامها، وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض. والثاني : كفر عناد .

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا هو الذي نفى الله التعذيب عليه ، حتى تقوم حجته بالرسل .

الأصل الثالث : أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة[3] الله على الكفار في زمان دون زمان ، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر؛ إما لعدم عقله وتمييزه ، كالصغير والمجنون ، وإما لعدم فهمه لكونه لا[4] يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئاً، ولا[5] يتمكن من التفهم وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم القيامة كما تقدم في حديث الأسود[6]، وأبي هريرة وغيرهما.

---

[1] ساقطة من المطبوع .

[2] في (خ) : عند العناد .

[3] في (خ) : حجته .

[4] في المطبوع : لم .

[5] (لا) : ساقطة من المطبوع .

[6] ? هو : الأسود بن سريع من بني مرة بن عبيد السعدي التميمي ، يكنى أبا عبد الله ، صحابي ، جليل ، غزا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- أربع غزوات، نزل البصرة ، كان –رضي الله عنه- شاعرا محسنا، مات سنة ثنتين وأربعين . انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1/181)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(1/226) . وحديث الأسود هو : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في الفترة. فأما الأصم، فيقول : يارب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول . فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه ، فيرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار . فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما" . رواه الإمام أحمد في المسند (4/24) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد بعد أن ذكر الحديث : رجال أحمد في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح ، وكذلك رجال البزار فيهما (7/215) . ، وابن حبان في صحيحه (16/356) وقال محقق الكتاب : إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه ، فقد روى له النسائي وغيره ، وأخرجه ابن أبي عاصم من طريق علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة (1/176) برقم (404) وقال الألباني-رحمه الله- في " ظلال الجنة في تخريج السنة " : وهذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات كلهم .

الأصل الرابع : أن أفعال الله سبحانه[1] تابعة لحكمته التي لا يخل بها، وأنها المقصودة[2] لذاتها المحمودة وعواقبها الحميدة.وهذا الأصل هو أساس الكلام في هذه الطبقات الذي عليه ينبني، مع تلقي أحكامها من نصوص الكتاب والسنة لا من آراء الرجال وعقولهم، ولا يدري قدر الكلام في هذه الطبقة إلا من عرف ما في كتب الناس، ووقف على أقوال الطوائف في هذا الباب . وانتهى إلى غاية مرامهم ونهاية اقدامهم ، والله تعالى الموفق للسداد[3] الهادي إلى الرشاد.

وأما من لم يثبت حكمة ولا تعليلا، ورد الأمر إلى محض المشيئة التي ترجح أحد المثلين على الآخر بلا مرجح[4]، فقد أراح نفسه من هذا المقام الضنك، واقتحام عقبات هذه المسائل العظيمة ، وأدخلها كلها تحت قوله تعالى : (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ) (الأنبياء:23) .

لكمال[5] حكمته وعلمه، ووضعه الأشياء مواضعها وأنه ليس في أفعاله خلل ولا عبث ولا فساد يسأل عنه كما يسأل المخلوق، وهو الفعال لما يريد، ولكن لا يريد أن يفعل إلا ما هو خير ومصلحة ورحمة وحكمة، فلا يفعل الشر ولا الفساد ولا الجور، ولا خلاف مقتضى حكمته، لكمال أسمائه وصفاته ، وهو الغني الحميد العليم الحكيم"[6]. انتهى .

فقف هنا وتأمل هذا التفصيل البديع، فإنه رحمه الله لم يستثن إلا من عجز عن إدراك الحق، مع شدة طلبه وإرادته له. فهذا الصنف هو المراد في كلام شيخ الإسلام وابن القيم وأمثالهما من المحققين[7] .

---

[1] في المطبوع زيادة : تعالى .
[2] في المطبوع : مقصودة .
[3] في المطبوع زيادة : حرف العطف (و) .
[4] يقصد الجبرية ، انظر: المسألة الخامسة من مسائل الدراسة .
[5] في طريق الهجرتين : وهو الفعال لما يريد ، وصدق الله وهو أصدق القائلين : (لا يسأل عما يفعل) لكمال حكمته .
[6] طريق الهجرتين لابن القيم ص (409-414) .
[7] في المطبوع زيادة : رحمهم الله .

وأما العراقي وإخوانه المبطلون ، فشبهوا بأن الشيخ لا يكفر الجاهل، وأنه يقول: هو معذور، وأجملوا القول ولم يفصلوا ، وجعلوا هذه الشبهة ترسا يدفع بها[1] الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . وصاحوا على عباد الله الموحدين، كما جرى لأسلافهم من عباد القبور والمشركين . وإلى الله المصير ، وهو الحاكم بعلمه[2] بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون .

وأما من أعرض عن الهدى ودين الحق ، ولم يرفع به رأسا بعد معرفته أو مع تمكنه من معرفته . فالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية دالة على دخول هؤلاء في الوعيد . قال تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ[3] لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً) الآية (طه:123-124) .

وقول المعترض : إن الشيخ قال : لا يثبت الكفر على معين . تحريف[4] ظاهر. وإنما قال الشيخ : " لا يحكم على معين " ، والفرق ظاهر ، والشيخ -شيخ الإسلام- يقول ، فيما ذكر في الجواب : " إنه كفر قولا مطلقا " ، وإنما توقف في الحكم على المعين[5]، لاحتمال عدم قيام الحجة[6] .

والعراقي يرى أن دعاء المشائخ والاستغاثة بهم وعبادتهم قربة مستحبة ، فكيف يحتج بكلام الشيخ وهو صريح في الحكم بأن هذه الأمور من المكفرات ؟! فسبحان من طبع على قلبه، وأعمى عين بصيرته.

---

1 في المطبوع : يدفعون به .
2 في المطبوع زيادة : وعدله .
3 في (خ) وقف هنا .
4 في المطبوع زيادة : فهذا .
5 في (خ) : معين .
6 في المطبوع : الحكم . وهو تصحيف .

قال[1] العراقي: النقل الثامن عشر، قال في كتاب " الانتصار للإمام أحمد " : " ثم قد يوجد لأهل المعرفة من أولياء الله من خفيت عليه بعض السنة الاعتقادية و[2]غيرها، ويوجد [منها][3] من قد أخطأ في بعض ذلك ، كما يخطئ العلماء في بعض اجتهادهم ، فإن منها ما يكون دقيقا ولم يبلغه[فيه][4] أثر. ومنها ما سبقه إليه قوم فتبعهم إما اجتهادا أو تقليدا يعذر فيه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وليس كل من أنكر شيئا لم يبلغه يصير فاسقا، بل قد يكون مجتهدا مخطئا، فيثاب على اجتهاده، ويغفر له خطؤه، فقد أنكرت عائشة وطائفة معها رؤية محمد[5]

---

1 في المطبوع : فصل : قال .

2 ? في المطبوع : (أو) .

3 ? في المطبوع : (منهم) .

4 هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : فيها. وهو الصواب .

5 ? يشير إلى الحديث الذي رواه مسروق عن عائشة – رضي الله عنهما - قال : كنت متكئا عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة ، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت ما هن؟ قالت : من زعم أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئا فجلست ، فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالأفق المبين) و (ولقد رآه نزلة أخرى) ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء . سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ، أو لم تسمع أن الله يقول : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم) . قالت : ومن زعم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية . والله يقول : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) . قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية . والله يقول : (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) . رواه البخاري [كتاب التفسير / باب : تفسير سورة والنجم] (

ربه. وأثبت ذلك ابن عباس[1] وجمهور أهل السنة، ولم يقل أحدهما في صاحبه إلا خيرا.

4/1840) ، ومسلم [كتاب الإيمان /باب: معنى قول الله عز وجل (ولقد رآه نزلة أخرى)] (1/159) واللفظ له .

[1] كما روى الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس –رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت ربي تبارك وتعالى " (1/285) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح . (1/78) . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (1/189) .

وكذلك أنكرت عائشة سماع أهل القليب الموتى نداء النبي يوم بدر[1]، وثبتت النصوص أن الموتى يسمعون خفق النعال[2]، وأنهم يسمعون كلام الأحياء، وأن عائشة لم تثبت عندها النصوص بذلك، وتأولت ظاهر قوله تعالى: (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى)(النمل:80) ولو أنكر اليوم من بلغته السنة الصحيحة لم يكن معذورا كعذر عائشة[3].

---

[1] في المطبوع : لهم يوم بدر . وهو يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال إنهم الآن يسمعون ما أقول فذكر لعائشة فقالت إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت أنك لا تسمع الموتى . صحيح البخاري [كتاب المغازي / باب قتل أبي جهل] (4/1456) . وانظر : تفسير القرطبي (13/154) .

[2] ? يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه ، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فأقعداه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد -صلى الله عليه وسلم- ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار ، أبدلك الله به مقعدا من الجنة " قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : " فيراهما جميعا ، وأما الكافر ، أو المنافق : فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين " . صحيح البخاري [كتاب الجنائز/ باب الميت يسمع خفق النعال] (1/448) .

وانظر في تفصيل المسألة : مجموع الفتاوى (4/295-299) ، أضواء البيان للشنقيطي (6/ 422-439) .

[3] بحثت عن هذا النقل كثيرا في مضانه من كتب ابن تيمية ولم أجده ، ووجدت نصوصا مقاربة .

انظر مثلا : مجموع الفتاوى (24/172-173) ، (6/509) ، (19/203-227) .

=وقد أحال العراقي قبل ذلك إلى كتاب " الانتصار للإمام أحمد " ووجدت النقل في كتاب (الاستقامة، ودرء التعارض) ولم أجده هنا .

والجواب أن يقال : قد تقدم في جواب النقل السابع عشر: أن الشيخ لا يكفر إلا من قامت عليه الحجة، وبلغته النصوص، ويقرر لأصحابه أن الشرائع لا تلزم إلا بعد البلاغ ، ولو توقف أحد في بلوغ الرسالة وقيام الحجة على بعض الناس في بعض المسائل كمسألة توحيد الله ووجوب عبادته وحده لا شريك له التي هي مدلول " لا إله إلا الله" وهي من ضروريات الإسلام التي [لا][1]تخفي على الآحاد ، ثم أمثال هذا العراقي ممن بلغته الآيات والأحاديث فألحد[2] وحرف وبدل ، لا يشك في قيام الحجة عليه، وبلوغ الرسالة في هذه المسائل المخصوصة . وهو ممن بدل نعمة الله من بعدما جاءته[3]. ولا يشك في كفر أمثاله[4]، وإن لم تقم الحجة عليه لم تقم على أحد من عباد القبور.

فكلام الشيخ الذي نقل في هذا الكتاب من أوله إلى آخره مضمونه : أن من بلغته الحجة في أصول الدين وأصر وعاند يكفر بالإجماع ، وإنما يتوقف فيمن لم تقم عليه الحجة ولم يبلغه الدليل .

فظهر أن كلام الشيخ نص في تكفير هؤلاء المعاندين المحرفين للنصوص الصادين عن سبيل الله ، ثم أين مسألة الرؤية ، ومسألة سماع الموتى من مسألة النزاع ؟ وقد تقدم لك أن الرجل يتكثر بما ليس له كالأقرع يفتخر بجمة[5] ابن عمه.

---

[1] ساقطة من كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع ، وهو الذي يقتضيه السياق .

[2] الإلحاد في اللغة : الميل . قال ابن الأثير في النهاية : الإلحاد : الميل والعدول عن الشيىء . وقال الراغب : ألحد أي : مال عن الحق . ومنه الملحد في الدين : أي المائل عن الحق إلى الباطل ، والمدخل فيه ما ليس منه . انظر : النهاية لابن الأثير (4/236) ، المفردات للراغب الأصفهاني (448) ، بدائع الفوائد لابن القيم (1/169) .

[3] في المطبوع : جاءته كفرا .

[4] في المطبوع : ولا شك في كفره وكفر أمثاله .

[5] ?الجمة بالضم : هي مجتمع شعر الرأس ، وقيل : هي الشعر الكثير . انظر: لسان العرب : (1/87).

قال[1] العراقي : النقل التاسع عشر: قال الشيخ شمس الدين ابن القيم في كتابه " الكبائر "، وفي كتاب " السنة والبدعة " له في بيان بدعة الرافضة من هذين الكتابين[2] : " قال الشيخ الحافظ السلفي نزيل الإسكندرية بسنده إلى يحيى بن غطاف المعدلي[3]: إنه حكى عن شيخ دمشق[4] جاورنا بالحجاز سنين . قال : كنت بالمدينة في سنة مجدبة فخرجت يوما إلى السوق لأشتري دقيقا برباعي[5]. قال : فأخذ الدقاق الرباعي ، وقال[6] : العن الشيخين[7] حتى أبيعك الدقيق ، فامتنعت من ذلك، فراجعني مرات وهو يضحك ، فضجرت منه وقلت : لعن الله من يلعنهما. قال : فلطم عيني ، فسالت على خدي ، فرجعت إلى المسجد وكان لي

---

[1] في المطبوع : فصل : قال .

[2] لم أعثر على هذين الكتابين ، وقد أشار لهما الشيخ بكر أبو زيد في كتابه " ابن قيم الجوزية، حياته،آثاره، موارده " حيث قال : كتاب " السنة والبدعة " : ذكره أحمد عبيد في مقدمة (روضة المحبين) وقال : نقل عنه الشيخ داود النقشبندي في كتاب صلح الإخوان له . (ص 263) .

وكتاب " الكبائر " : قال الشيخ بكر أبو زيد : ذكره ابن رجب ، والداودي، وابن العماد ، والبغدادي ، وأحمد عبيد وقال : " نقل عنه النقشبندي في صلح الإخوان " . (ص290).

[3] في المطبوع : عطاف المعدل . وقد بحثت عنه فلم أجده .

[4] في (خ) : يوجد سطر مكرر ، وهو قوله : نزيل الإسكندرية بسنده إلى يحيى بن غطاف المعدلي إنه حكى عن شيخ دمشق . وفي المطبوع : وقف هنا . وقال : ثم ساق حكاية منامية من جنس ما يتكثر به من الأوهام التي يتعلق بها أمثاله من الخرافيين .

[5] الرباعي عملة كالدينار والدرهم .

[6] في (م) : وقال . مكررة .

[7] يعني : أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما- .

صديق من أهل [ميابارق][1] جاور بالمدينة سنين وسألني عما جرا لي فأخبرته فقام معي إلى الحجرة المقدسة ، وقال السلام عليك يا رسول الله قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا ، ثم رجعنا فلما جن الليل [قمت][2]، فلما استيقظت وجدت عيني صحيحة أحسن ما كانت ".

قال العراقي : فانظر إلى نقل هذه الحكاية من مثل ابن القيم ، ذكرها في مقام الافتخار والزجر عن الرفض يدل على أن الاستغاثة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما لابأس بها ، وأنها غير منكورة ، ولا يحرم نقلها وتسطيرها في كتاب خصوصا [من][3] مثل هؤلاء الأكابر، ولا أظن أن هؤلاء يجهلون مثل هذه وتعلمها أنت ، ولكن مثل ابن القيم أعذر فاعل ذلك . انتهى[4].

---

[1] 5هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف ، والصحيح (ميافارقين) كما هو مثبت في المطبوع: وميافارقين بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم فاء وبعد الألف راء وقاف مكسورة وياء ونون . قال بعض الشعراء : فإن يك في كيل اليمامة عسرة   فما كيل ميافارقين بأعسرا

وهي أشهر مدينة بديار بكر-بين الحيرة والشام- ، قالوا سميت بميابنت لأنها أول من بناها ، وفارقين كلمة فارسية . انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (5/235/238) ، معجم مااستعجم (4/134) .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين . والصواب : نمت .

[3] ساقطة من (خ) .

[4] انظر : صلح الإخوان (ص28-29).

والجواب أن يقال : ليس في الحكاية جواز الاستغاثة برسول الله ﷺ وفاعل ذلك لا يحتج بفعله بإجماع المسلمين . وإنما سيقت العبارة لتقديم[1] نصر الله لأوليائه، وإثابة من نصرهم ووالاهم ، لا لأجل الاستغاثة . وأنها تجوز بغير الله وأن ذلك صواب. والاستدلال بالحكاية خروج عن موضعها[2] وموضوع الكتاب الذي سيقت فيه .

وابن القيم نص[3] في غير موضع : أن دعاء الموتى هو أصل شر[4] العالم، وأنه من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه[5]، وقرر ذلك في كتاب "الإغاثة"، و "شرح المنازل" و "الدواء الشافي" و "كتاب الهدي" وغير ذلك من مصنفاته .

وسياق الحكاية [صريحة][6] في أنها كرامة[7] لأبي بكر وعمر، وأن الله هو الفاعل للكرامة. وإسناد الفعل إلى غير الله والتصرف إلى سواه خروج عن حقيقة الإسلام، ودخول في دين عباد الكواكب والأصنام .

وإنما يساق كلامهما[8] لو قالا إن الرسول فعل[9] ذلك ، وإنه يستغاث به بعد موته، على أنه لا يسلم لهما وإن قالاه . وقد حماهما الله عن ذلك[10].

---

[1] في المطبوع : لتقرير .
[2] في المطبوع : موضوعها .
[3] في المطبوع : قرر.
[4] في المطبوع : شرك.
[5] ?في المطبوع : إلا بالتوبة منه بالكفر بالطاغوت وإخلاص الدين والعبادة لله وحده .
[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (صريح) وهو الصواب .
[7] الكرامة : **في اللغة** - قال ابن فارس : " الكاف والراء والميم " أصل صحيح له بابان : أحدهما – شرف في الشيء في نفسه ، أو شرف في خلق من الأخلاق .

وفي الاصطلاح - ما يظهر على يد الأولياء من خرق العادة . وقال السفاريني : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ، علم بها ذلك العبد الصالح أو لم يعلم . وقال محمود شكري الألوسي : هي خرق الله العادة لوليه لحكمة ومصلحة تعود عليه أو على غيره .

قال شيخ الإسلام في " النبوات " (ص8) : وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ، ولا تدل على أن الولي معصوم ، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله " .

انظر : معجم مقاييس اللغة (5/172) ، لوامع الأنوار (2/392) ، كشاف اصطلاحات الفنون (4/36) ، فتح المنان تتمة منهاج التأسيس (413) .
[8] في المطبوع : كلامهما دليلا .
[9] في المطبوع : قد فعل .
[10] في المطبوع زيادة : وصان قدرهما عنه

وقد مر في جواب الوجه السابع وما بعده من المنقول عن " اقتضاء الصراط المستقيم " أن الكائنات لا يحاط بأسبابها ، وأنها ليست من الأدلة على الأمر والنهي والوجوب والاستحباب والجواز والإباحة ، وقد يكون السبب رحمة الله ونصره لأوليائه ، وحاجة المضطر وفاقته ، فالمضطر قد يستجاب له ولو دعا[1] في الخانات[2] والأسواق ، قال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) (النمل:62)- الآية فالجزم بأن الرسول- صلى الله عليه وسلم-[3] هو الذي أجابه ، والقول بذلك قول بلا علم، وتحكم بلا دليل[4].

والعراقي ليس له عناية و معرفة[5] بصناعة العلم والاستدلال. فهو كحاطب ليل[6] أو حاطم[7] سيل ، ما وجده أخذه ، وما اشتهاه قاله من غير أصل يرجع إليه ولا دليل يعول عليه . والله المستعان.

وقد مر أنه قد يستجاب لعباد الأصنام ونحوهم ، وأن ذلك ليس بدليل ، وأن طرده كفر متناه – كل هذا تقدم مستوفي – ، ويأتيك تمام الجواب بعد الحكاية التي تلي هذا.

---

[1] في المطبوع : دعا الله .

[2] في المطبوع : حانات . والخان : فارسي معرب . وقيل : الخان الذي للتجار . والعرب كانت تسمي بيوت الخمارين الحوانيت ، واحدها حانوت ، والحانة أيضا مثله . انظر : النهاية (1/448)، تاج العروس (1/541) ، لسان العرب (2/1081) .

[3] الصلاة على النبي ساقطة من المطبوع .

[4] في المطبوع زيادة : ولا فهم .

[5] في المطبوع : ولا معرفة .

[6] حاطب ليل : أي يتكلم بالغث والسمين ، مخلط في كلامه وأمره ، كالحاطب بالليل الذي يحطب كل رديء وجيد لأنه لايبصر ما يجمع في حبله .

وقال الأزهري : شبه الجاني على نفسه بلسانه بحاطب الليل لأنه إذا حطب ليلا ربما وقعت يده على أفعى فنهشته . انظر : لسان العرب : 2/913 ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس 2/79 .

[7] في (خ) : حاطب .

والحطم : الكسر في أي وجه كان ، وقيل: هو كسر الشيء اليابس خاصَّةً كالعَظْم ونحوه . وحَطَمَهُ يَحْطِمُهُ حَطْماً أَي كسره . قال الجوهري : و حَطْمَةُ السيل مثل طَحْمَتِهِ، وهي دُفعَتُهُ . انظر : لسان العرب (2/916) .

قال العراقي : الوجه العشرون : وقال[1] ابن القيم : " قال الشيخ كمال الدين بن العديم[2] في " تاريخ حلب " : قال : أخبرني أبو العباس أحمد ابن عبد الواحد[3] عن شيخ من الصالحين يعرف بعمر[4] بن [الرعيني][5] –قال : كنت مقيما بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه خرج في بعض السنين في يوم عاشوراء الذي يجمع فيه الإمامية لقراءة[6] [المصرا][7] في قبة العباس[8] ، فوقفت عليهم على باب القبة وقلت:

---

[1] في (خ) : فقال .

[2] هو : عمر بن هبة الله بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بابن العديم ، يلقب كمال الدين ، ويكنى أبا القاسم ، أديب ، كاتب ، شاعر ، مؤرخ ، ولد بحلب ، وتوفي بالقاهرة سنة(660هـ) ، من تصانيفه(بغية الطلب في تاريخ حلب) . انظر : معجم المؤلفين 7/275 ، فوات الوفيات 2/202 .

[3] هو : أحمد بن عبد الواحد بن مري المقدسي الحوراني ، أبو العباس القاضي ، الملقب بالتقي الشافعي، فقيه أديب زاهد جاور بمكة والمدينة ، ولد سنة (583هـ) ، وتوفي في المدينة سنة (667هـ) . انظر: لسان الميزان لابن حجر (1/323) ، التقييد والإيضاح لابن نقطة (1/342) .

[4] في (خ) : عمر .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وهو تصحيف . والصواب (الزغب) وهو المثبت في الأصل المنقول منه: بغية الطلب (2/1021) ، وانظر: الرياض النضرة للطبري (1/370-372) .

[6] في (خ) بالقراءة .

[7] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . والصحيح (المصرع) كما في (الصلح) المطبوع ، والمصادر. والمقصود به : قراءة مصرع الحسين رضي الله عنه في يوم عاشوراء ، وهذا من بدع الرافضة .

[8] ?القبة : بناء شاهق يتخذ على شكل مخروطي، أونصف كروي يقام على قبر من يعتقد فيه الصلاح والولاية . وهي عند المبتدعة نوعان : * قباب تبنى في المقابر العامة حيث تبدو القبة شاهقة وسط القبور . * قباب تبنى في المساجد ، أو تبنى عليها المساجد . ويفعل عندها من أنواع الشرك الأكبر والأصغر مايندى له الجبين . انظر : الموسوعة العربية الميسرة لمحمد غربال (2/1367) ، دمعة على التوحيد (40) . وقبة العباس : هي قبة نصبت على قبر العباس بن عبد المطلب في البقيع ، وهي غير قبة العباس التي كانت منصوبة حول الكعبة . انظر:رحلة ابن بطوطة (1/159) رحلة ابن جبير(76) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة(1/76) .

أريد شيئا في محبة أبي بكر وعمر، أو قال : في محبة الصديق وحده . قال: فخرج إلي واحد منهم وقال اخرج حتى افرغ قال فلما خرج اخذ بيدي ومضى بي إلى داره وانأ أظن انه يعطيني شيئا . فقال: ادخل ، فدخلت فسلط علي عبدين ، فكتفاني وأوجعاني ضربا ، ثم أمر بقطع لساني فقطعه ، ثم قال: اخرج للذي طلبت لأجله ليرد عليك لسانك.

فخرج من [عندي][1] مقطوع اللسان فجاء يستغيث من الوجع إلى حجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وجعل يقول : يا رسول الله ، قطع لساني في محبة صاحبك ، فإن كان صاحبك حقا فأحب أن يرجع إلي لساني، وبات هناك يستغيث بقلبه ، قال : فأخذته سنة من النوم ، فاستيقظ فوجد لسانه في فيه صحيحا كما كان .

وفيه : أن الذي أمر بقطع لسانه انقلب قردا فأسلم أهله وولده وتابوا من الرفض[2]"[3].

---

[1] في الصلح (عنده) وهو الصواب .

[2] في (خ) الرافضة .

[3] ?في المطبوع : حذف القصة . وقال : وساق حكاية مثل السابقة وقعت لرافضي خبيث انتقم الله منه لتنقصه أبا بكر الصديق رضي الله عنه. والقصة مذكورة في : بغية الطلب في تاريخ حلب (2/1019-1023) . وانظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري (1/370-372) .

والجواب أن يقال : هذه الحكاية من جنس ما قبلها. لا تدل على ما زعمه العراقي من الاستغاثة بالنبي ﷺ أو غيره. وليس في فعل هذا الرجل المستغيث ما يستأنس به ويستروح إليه المبطلون. ونقل ابن القيم لها وإيراده لمثل هذا يقصد به بيان فضل الصديق، وشناعة الرفض وقبحه ، وأن الله أكرم صاحب نبيه وصديق الأمة بتعجيل العقوبة لأعدائه الرافضة ، ومسخهم[1] قردة وخنازير.

وأن من[أولى][2] صديق الأمة وسلك ما عليه أهل السنة والجماعة من موالاة جميع الصحابة، فإن الله ينصره ويؤيده ويستجيب دعاءه.

وقد تقدم قول الشيخ في المستغيثين بالنبي ﷺ ومنعه من ذلك[3]. والاستغاثة بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم وفي مغيبهم مسألة [معروفة][4]مشهورة تكلم فيها أهل العلم، ومنعوا منها أشد المنع. وذكروا إنها من شعب الشرك وأنها أصله الذي نشأ [منهم][5] وتفرع عليه سائر الشركيات. وصنف الشيخ رحمه الله مجلدا في[6] الاستغاثة بالنبي ﷺ [7]، وغيره من الأنبياء والصالحين ، وقرر أدلة المنع من الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، وأكثر الكلام في المنع من هذا.

قال رحمه الله : " ومما يبين حكمة الشريعة وأنها كسفينة نوح أن الذين خرجوا عن المشروع خرجوا إلى الشرك. وطائفة منهم يصلون ويدعو أحدهم الميت، فيقول: اغفر لي وارحمني.

ومنهم من يستقبل القبر ويصلي إليه مستدبر الكعبة، ويقول: القبر قبلة الخاصة. و[القبلة][8] قبلة العامة. وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا، وهو شيخ متبوع، فلعله أمثل أصحاب شيخه يقوله في شيخه[9].

---

[1] المسخ : تحويل صورة إلى صورة أقبح منها . وقال ابن الأثير : هو قلب الخلقة من شيء إلى شيء. انظر : لسان العرب : (7/ 4199) ، النهاية (4/329) .

[2] ? هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع : (والى) وهو الصواب .

[3] ? في المطبوع زيادة : ونهيه عنه .

[4] لم تثبت في (خ) .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : منه . وهو الصواب .

[6] في المطبوع : في منع .

[7] في المطبوع : والتحذير منها، ومن الاستغاثة بغيره من الأنبياء

[8] ? هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع و الرد على البكري : والكعبة . وهو الأصوب .

[9] في المطبوع : وهو يقوله عن شيخه .

وآخــر مــن أعيــان الشيــــوخ المتبوعيــن أصحاب الصــــدق والاجتهــــاد[1] فــي العبــادة والزهـــد، وأمــر[2] المريد[3] أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ ، فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها. وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عباد[4] القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب ما لا يجدونه في المساجد .

وآخرون يحجون إلى القبور، وطائفة صنفوا كتبا وسموها " مناسك حج المشاهد "[5] ، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ ، وإن لم يسموها منسكا وحجا. فالمعنى واحد.

وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح[6] صنف كتاب " الاستغاثة بالنبي في اليقظة والمنام "[7] ، وذكر في[8] مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي منتهى قصده ، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة وجعل هذا من مناقبه.

---

[1] ? في المطبوع : أصحاب الإجتهاد.

[2] ? في المطبوع : كان يأمر .

[3] ?المريد : اسم فاعل من الإرادة ، وهو من المصطلحات الصوفية ، ولهم في تعريفـه عـدة أقـوال، منها:
1-أن المريد هو المتجرد عن إرادته ، الذي دخل في جملة المتواصلين إلى الله .
2- و قيل : هو الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله .3-وقيل: هو الذي أعرض قلبه عن كل ما سوى الله .4-وقالوا : المريد الصادق هو المتجه بكله إلى الله ، وقلبه دائما معلق بالشيخ بسبب رادته الكاملة وروحانية الشيخ حاضرة معه في جميع الأحوال ،وهو عند الشيخ كالميت بين يدي المغسل .
انظر : التعريفات للجرجاني (331) ، كشاف اصطلاحات الفنون (2/214) ،معجم الألقاب التاريخية (394) .

[4] في المطبوع : عبادة . وهو الصواب .

[5] ? والذي ألفه : محمد بن النعمان المفيد شيخ الرافضة ، وقد سبقت ترجمته (ص384) .

[6] ? في المطبوع : الزهد والتصوف .

[7] ? ويقصد محمد بن النعمان . انظر: ص 384.

[8] ? في المطبوع : من .

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ [مما][1] يقصده العلماء[2] والقضاة قيل[3]عنه : إنه كان يقول : البيوت المحجوجة ثلاثة : مكة ، وبيت المقدس ، والبد[4] الذي بالهند[5] الذي للمشركين ؛ لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق . وجاء[6] بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته، فقال: أريد أن أسلك على يديك. فقال له: على دين اليهود أو[7] النصارى أو المسلمين ؟ فقال له : واليهود والنصارى ليسوا كفارا ؟ قال: لا تشدد عليهم، ولكن الإسلام أفضل[8].

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، فيعرفون بها ، كما يفعل بالمغرب والمشرق. وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله . فليسوا على ملة إبراهيم "[9].

" والاستغاثة بالنبي بعد موته موجودة في كلام بعض الناس، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان. وهؤلاء لهم صلاح[10] ولكن ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه.

---

[1] ? هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : ممن . وهو الصواب .

[2] ? في المطبوع : كان يقصده من العلماء.

[3] ? في المطبوع : اشتهر.

[4] في المطبوع : بدة . والبد : بضم الباء ، وتشديد الدال ، لفظ فارسي دخل العربية بمعنى الصنم ، وقيل : بيت فيه أصنام وتصاوير .
انظر : المعرب للجواليقي (83) ، القاموس المحيط (1/276) ، لسان العرب (1/228) .

[5] ? في المطبوع : في الهند .

[6] في المطبوع : وجاءه .

[7] في (خ) : ، والمطبوع : أم .

[8] ويعني به ابن سبعين .

[9] الاستغاثة في الرد على البكري (2/464-469) .

[10] ?في المطبوع : ظاهر صلاح .

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل[1] وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر[2] خطوات واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس. وهؤلاء مستندهم مع العادة ، قول طائفة: قبر معروف[3] أو[4] غيره ترياق[5] مجرب، ومعهم[6]: إن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء و الكواكب و الأوثان. فإن الشياطين تمثل[7] لهم، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطال المقام "[8] .

ثم قال – حاكيا عن ابن البكري الذي صنف في جواز الاستغاثة بالنبي [9]، وقد طاف هذا بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم، فما وافقوه وطلب منهم، أن [يخالف][10] الجواب الذي كتبه[11] فما خالفوه. مع أن قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع، قاموا في ذلك قياما عظيما، واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان، مع فرط [عصبهم][12]، وكثرة جمعهم، وقوة سلطانهم، ومكايدة شيطانهم[13]. انتهى.

---

[1] ?في المطبوع : ولهم ظاهر فضل .

[2] ?هو : الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وقد سبق التعريف به .

[3] هو : أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي ، ولد ونشأ وتوفي في بغداد ، من العباد الزهاد ، والمشاهير، كان أبواه نصارى فأسلما ، له في التصوف أحوال ومقالات تخالف ما عليه الصحابة والتابعين ، توفي سنة (200هـ) ، وقيل (204هـ) .
انظر : سير أعلام النبلاء (9/339) ، طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (83) .

[4] ?في (خ) : وغيره .

[5] ?الترياق -بكسر التاء- : فارسي معرب ، وهو ما يستعمل من الأدوية لدفع السم ، ويقال :درياق .
انظر : تهذيب اللغة (9/57) ، النهاية (1/188) ، لسان العرب (1/430) .
وقوله : (قبر معروف ترياق مجرب) معناه : أي مجرب في قبول الدعاء عند قبره ، وانتفاع من يتبرك به . وهذا من بدع الصوفبة . وقد نسبت هذه العبارة لإبراهيم الحربي .
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (9/339) ، طبقات الحنابلة لأبي يعلى (1/382) .

[6] ? في المطبوع : ومعهم من الأدلة الباطلة .

[7] ? في المطبوع : تتمثل .

[8] الاستغاثة في الرد على البكري (1/367-370)

[9] في المطبوع زيادة : ورد عليه .

[10] ? هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : يخالفوا . وهو الصواب .

[11] ? في المطبوع : كتبته عليه أي شيخ الإسلام ابن تيمية .

[12] ? هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : عصبيتهم . وهو الصواب .

[13] انظر : الرد على البكري (1/375-376) .

فتأمل هذا الكلام ، فإنه يستبين به[1] ضلال العراقي ، وأنه لم يفهم المراد من الحكاية. وقد صرح شيخ الإسلام أن السنة كسفينة نوح ، ومعلوم أن دعاء الأنبياء ليس من السنة، بل هو من البدع الشركية، ومنها أن بعضهم أفضى به ذلك إلى أن يصلي للميت، ويقول اغفر لي وارحمني، وهذا جائز عند العراقي وإخوانه من عباد القبور سائغ لا ينكر، ومنها أن بعض المستغيثين يعكف عند[2] القبر عكوف أهل التماثيل، وهذا وقع[3] منهم أيضا، وهذا من لوازم قولهم: بجواز الاستغاثة، ومنها: أن جمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادتها من الرقة والخشوع وحضور القلب ما لا يجدونه في المساجد.

ومنها: أن بعضهم يحج الى القبور، وهذا عند العراقي وشيعته من الفضائل التي لا تنكر.

ومنها: إنكار الشيخ على من صنف كتاب الاستغاثة بالنبي في اليقظة والمنام، وأن هذا المصنف حج مرة وكان قبر النبي منتهى قصده، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة، وفاعل ذلك عند العراقي وشيعته أفضل من الحاج[4].

ومنها: أن ذلك أفضى ببعضهم إلى أن قال: البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة، وبيت المقدس، والبد[5] الذي بالهند، وبعضهم لا يرى ذلك للبد الذي بالهند، ويراه لمن يعتقده ويتأله به [6]من المشايخ .

ومنها: أن بعضهم يعرف عند مقابر الشيوخ كما يفعل بعرفه، وأن هذا واقع بالمغرب والمشرق . ومنها: أن الشيخ نفى العلم عمن يستغيث بالنبي كالصرصري ، وابن النعمان، وأنهم جروا على عادة العامة الذين يستغيثون بالمشايخ في الشدائد، ويدعونهم .

---

[1] ?في المطبوع : يستبين لك به.
[2] ?في المطبوع : على .
[3] ?في المطبوع : واقع .
[4] ? في المطبوع : الحاج الى بيت الله .
[5] في المطبوع : البدة .
[6] في المطبوع : يؤلهه .

ومنها: أن من له فضل[1] وعلم وزهد قد يقع منه الشرك والاستغاثة بغير الله ، وأن مستندهم مع العادة قول طائفة : قبر معروف أو غيره ترياق مجرب . ومن المعلوم أن هذا القول صدر عن غير معصوم، وجمهور أهل العلم والإيمان قد ردوه وأنكروا على فاعله. وقد مر فيما مضى[2] من عبارات شيخ الإسلام في " اقتضاء الصراط المستقيم": أن هذا لا يعرف في عهد القرون المفضلة . وكفى بهذا ذما.

ومنها قوله : أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة و الأنبياء والكواكب[3] أو[4] الأوثان . فجزم بأن قضاء الحوائج قد يحصل لعباد الملائكة و الأنبياء أو[5] الكواكب و الأوثان، وأنه لو حكى الوقائع الموجودة في زمانه لطال المقام . فقف هنا وتأمل كلام الشيخ تعرف أن العراقي ما زال في جاهليته وعوائده الشركية، لم يخرج منها إلى الملة الحنيفية والسنة النبوية. ومنها: قول الشيخ وهو ثقة فيما يحكيه بالإجماع : أن علماء مصر لم يوافقوا من صنف في جواز الاستغاثة بالنبي فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وأبوا أن يخالفوا ما كتبه شيخ الإسلام من المنع . فالحمد لله[6] لا نحصي ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني به عليه عباده الصالحون.

قال العراقي :

فصـــــــل

وأما النذر فللشيخين فيه عبارات :

النقل الحادي والعشرين : قال في " اقتضاء الصراط المستقيم": " ومن قصده[7]

---

1 ? في المطبوع : ظاهر فضل .
2 في المطبوع : وقد مضى فيما مر .
3 الكواكب : لم تثبت في المطبوع .
4 في المطبوع : و .
5 في المطبوع : و .
6 في المطبوع : الحمد لله الذي .
7 في المطبوع : قصد .

بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة[1] قصدها فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو جبلا أو مفازة[2]، وأقبح من ذلك أن ينذر في تلك[3] البقعة دهنا [لتنويره][4]، ويقال[5]: إنها تقبل النذر. فهذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء، بل عليه كفارة عند أكثر أهل العلم، منهم أحمد في المشهور عنه، وعنه رواية [قول][6] أبي حنيفة والشافعي وغيرهما: يستغفر الله من هذا النذر ولا شيء عليه " . انتهى[7].

فانظر إلى كلامه في من نذر لبقعة أو جبل أو مفازة[8] كيف قال: يلزمه كفارة يمين عند أحمد ويستغفر الله . ولا شيء عليه عند أبي حنيفة والشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد، ولم يقل: هذا النذر كفر مخرج عن الملة، مع أنه لشجرة أو بقعة من أرض، فكيف يكفر من نذر لأحد الأنبياء والصالحين، وقصده لوجه الله، وثوابه لذلك المنذور له. فإنه لا يضر بهذه

---

[1] في المطبوع : ولم يستحب في الشريعة
[2] في المطبوع : مغارة .
[3] في المطبوع : لتلك، وكذلك في الإقتضاء ، ولعله الأصوب .
[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : لتنويرها . وهو الصواب .
[5] في المطبوع : ويقول .
[6] في المطبوع : (كقول) ، وفي الإقتضاء (هي قول) . وهو الأصوب .
[7] انظر : الاقتضاء (2/158)
[8] ? في المطبوع : مغارة .

[الصورة][1] بالاتفاق، كما سيأتي في كلام الشيخين. فإنهما قالا إنه يصرف إلى الفقراء، وكذلك في مذهب الشافعي وأبي حنيفة.

قال الشيخ مرعي[2] في " الغاية " ، و" صاحب الإقناع "[3] فيه، ومنصور البهوتي[4] في " شرحه وحاشيته " ، و[الثعلبي][5] في " شرح الدليل " وغيرهم من سائر غالب كتب الحنابلة ، قالوا : قال الشيخ تقي الدين: " النذر للقبور أو لأهل القبور، كالنذر لإبراهيم الخليل و[6] الشيخ فلان : نذر معصية ، لا يجوز الوفاء به، وإن

---

[1] لم تثبت في كلا المخطوطتين ، ولا في صلح الإخوان ، والمثبت من المطبوع . وهو الذي يقتضيه السياق .

[2] هو : الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي ، من كبارعلماء الحنابلة بمصر، ولد في فلسطين وتوفي في القاهرة ، له عدة مؤلفات منها (دليل الطالب) ، (غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى) وكلاهما في الفقه الحنبلي، توفي في مصر سنة 1033هـ . انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد (3/1118) ، الأعلام للزركلي (7/203) .

[3] هو : العلامة موسى بن أحمد بن سالم ، أبو النجا الحجاوي المقدسي ثم الصالحي ، مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد بقرية حجة من قرى نابلس ، وبها نشأ . من مؤلفاته (الإقناع ، وزاد المستقنع) وغيرهما كثير ، توفي سنة 968 ، ودفن بدمشق .انظر : السحب الوابلة (3/1134)، شذرات الذهب (8/327) .

[4] هو : منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي ، شيخ الحنابلة بمصر في عصره ، من أشهر كتبه (الروض المربع شرح زاد المستقنع ، كشاف القناع ، عمدة الطالب) وكلها في الفقه الحنبلي ، توفي سنة 1051هـ. انظر : السحب الوابلة (3/1131) ، مختصر طبقات الحنابلة (104) .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع . وهو تصحيف . والصحيح (التغلبي) .

وهو : عبد القادر بن عمر بن أبي تغلب ، التغلبي ، الشيباني ، الدمشقي ، من كبار علماء الحنابلة وثقاتهم ، ولد في دمشق ونشأ بها ، انتهت إليه رئاسة المذهب في الشام ، واشتغل بالتدريس فلم يصنف سوى (شرح الدليل : واسمه نيل المآرب في شرح دليل الطالب) ، توفي سنة 1135 في دمشق . انظر : السحب الوابلة 2/563 ، مختصر طبقات الحنابلة (121) .

[6] في المطبوع : أو .

تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء والصالحين ، كان خيرا له عند الله وأنفع" انتهى[1].

فلو كان الناذر كافرا عنده لم يأمر[2] بالصدقة فإن الصدقة لا تقبل من الكافر، بل كان يأمره بتجديد إسلامه[3].

النقل الثاني والعشرون :

قال ابن القيم في كتاب " السنة والبدعة " ما نصه :

فصـــــل

" ومن البدع: ما زينه الشيطان لكثير من الجهلة من الرجال والنساء من تعظيم مكان لم يأذن الشارع بتعظيمه ، من زاوية أو طاقة أو حجر أو قبة أو شجرة أو عامود أو حرز [حمام][4]،وينذرون لذلك النذور، ويوقدون عنده الضوء، و[يخلقون][5] بالزعفران ويطيبونه بماء

---

[1] انظر : مجموع الفتاوى (27/146) ، كشاف القناع للبهوتي(6/276) ، منار السبيل (2/400)، الإقناع (4/381) .

[2] في المطبوع : يأمره .

[3] انظر تفصيل القول في نذر المعصية : مجموع الفتاوى (11/504-505 ، 27 /333-335، 33 / 123-125 ، 35 / 354) ، المغني والشرح الكبير (11/334-336) .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع . وفي صلح الإخوان (جام) : والجام إناء من فضة (لسان العرب 2/731) ، و لم أعرف المقصود بهذه العبارة .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : يخلقونه .
ومعنى يخلقونه : يطلونه . انظر: لسان العرب (2/1247).

الورد وغيره، ويطلبون من عنده الشفاء لهم ولأولادهم. وكل ذلك بدعة وإشراك بالله عز وجل.

وكذلك النذر لقبور المشايخ والصالحين وطلب الشفاء من قبلهم نذر معصية وإشراك بالله تعالى . والنبي ﷺ قد نهى عن النذر لله وقال: " إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من[1] البخيل "[2] .

والنذر للقبور أي قبر كان : نذر معصية، لا يحل الوفاء به، بل صرفه إلى الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى أفضل عند الله ، وأنجح لقضاء الحاجة "[3]. ولو كان هذا شركا مخرجا عن الملة لما جاز صرفه للفقراء . ولم يكن أفضل ، بل لا فضيلة لأعمال الخارج عن ملة الإسلام[4].

والجواب أن يقال : ليس في كلام الشيخ وكلام[5] ابن القيم ما يدل على أن النذر الواقع من عباد القبور لمن يدعونه ويقصدونه لحوائجهم وإغاثتهم في الشدائد ليس[6] بشرك ، بل كلام الشيخ وابن القيم[7] صريح في أنه نذر معصية وإشراك بالله

---

[1] في المطبوع : مال

[2] رواه البخاري [كتاب الأيمان والنذور / باب الوفاء بالنذر] (6/2437) ، ومسلم [كتاب النذر/ باب النهي عن النذر وأنه لايرد شيئا] (3/1261) واللفظ له .

[3] لم أتمكن من الرجوع لهذا النقل لعدم وجود الكتاب .

[4] انظر: صلح الإخوان ض 30.

[5] ?في المطبوع : ولا كلام .

[6] في المطبوع : إنه ليس .

[7] في المطبوع : كلام الشيخ ابن القيم .

تعالى . فكيف يسوقه وقد عده ابن القيم من أنواع الشرك الأكبر ، وقرنه بالتوكل على غير الله، والعمل لغيره ، والإنابة والخضوع والذل لغير الله[1]، وابتغاء الرزق من عند غيره ؟ وقد تقدم ذلك .

فراجع كلامه في موضعه تعرف كذب العراقي على الله ، وعلى رسوله ، وعلى أولي العلم من خلقه . فرحم الله امرءا نظر لنفسه قبل أن تزل[2] قدم، ويحال بينه وبين العمل[3].

وكذلك الشيخ صرح بأنه معصية ، والمعصية تصدق بالشرك وغيره من الكبائر إذا أطلقت ، واستدلال المعترض بأنه لم يقل : هذا النذر كفر مخرج عن الملة – فإطلاق المعصية كاف في[4] المقصود.

وأيضا فالكفر إنما يطلق بعد قيام الحجة ، وبلوغ الدليل . وقد تقدم أن الشيخ محمدا -رحمه الله- لا يكفر إلا بعد قيام الحجة .

وقول العراقي : فكيف يكفر من نذر لأحد الأنبياء وقصده لوجه الله ؟ ففي هذه العبارة شيئان :

الأول : استبعاده تكفير من نذر للأنبياء. وجعل[5] ذلك دون النذر للشجرة والبقعة ، مع أن الفتنة بقبور المعظمين أشد محنة من الشجرة والبقعة[6]. وقد قال[7] : " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[8]. فالشرك بالأنبياء والصالحين أخوف وأعظم فتنة ، كما هو معروف.

والثاني: إضافته[9] النذر لأحد الأنبياء. وقوله بعده : وقصده لوجه الله .

---

1 ?في (خ) : لغيره .

2 في المطبوع : تزل به .

3 في المطبوع زيادة : وتعظم الحسرة منه والندم

4 في المطبوع : كان هو .

5 في المطبوع : جعله .

6 في المطبوع : الشجر والبقاع .

7 في المطبوع : قال النبي .

8 ?رواه الإمام مالك في الموطأ [كتاب قصر الصلاة في السفر / باب جامع الصلاة] (1/172) ، والإمام أحمد في المسند (2/ 246) ، وابن أبي شيبة في المصنف [كتاب الجنائز/من كره زيارة القبور] (3/345) ، وعبد الرزاق في المصنف [كتاب الصلاة/باب : الصلاة على القبور] (1/406)، وصححه صاحب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسيرالعزيز الحميد (115) وقال : صححه البزار وابن عبد البر .

9 في (خ) : إضافة .

فإذا كان النذر نفسه للأنبياء والصالحين بطل قوله : وقصده لوجه الله . وإنما يكون ذلك نذرا لله وحده ، وجعل الثواب لمن شاء من عباده.

ومسألة إهداء ثواب القرب إلى الأنبياء لا يخفي ما فيها من القول بالمنع على من له أدنى ممارسة [1]. والقصد هنا بيان تناقض العراقي . وأن كلامه يدفع بعضه بعضا.

وقوله : فإن ذلك لا يضر بالاتفاق – كذب ظاهر. فإن قول الشيخين : إنه يصرف إلى الفقراء ، دليل على أنه يضر إذا صدر منه لغير الله ، وأنه مأمور بالتوبة ، وصرف ذلك إلى الجهة المشروعة. وقد صرف النبي مال اللات في الجهاد[2] والمصارف الشرعية التي يستعان بها على عبادة الله وحده لا شريك له، والاستدلال بصرفها في ذلك المصرف الشرعي على أنها شرك وضلال أوجه من[3] الاستدلال بذلك على أن النذر للأصنام ونحوها ليس بشرك.

وأما ما ذكره عن بعض الحنابلة : أنهم نقلوا عبارة الشيخ في أن النذر للقبور ولأهلها نذر معصية. فأي دليل في هذا ، والمعصية إذا أطلقت دخل فيها الشرك كما تقدم ؟ قال الله تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)[4](الجن:23)، وقال عن فرعون: (فَكَذَّبَ وَعَصَى) (النازعات:21) .

وأما قوله : فلو كان الناذر كافرا عنده لم يأمره بالصدقة. فإن الصدقة لا تقبل من الكافر. فالجواب من وجوه :

الأول : أنه إذ[5] أقلع عن الذنب وصرف المال في مصرفه الشرعي، فهذا رجوع[6] عما كان عليه وتوبة منه.

الوجه الثاني: أنه لا يقال بالكفر مطلقا لكل ناذر لغير الله حتى تقوم الحجة الرسالية[7].

---

[1] في المطبوع : ممارسة للعلم.

[2] في (خ) : الجهات .

[3] ? في المطبوع : أوجبه .

[4] في المطبوع : ذكر آية (النساء : 14) (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) .

[5] في المطبوع : إذا .

[6] في المطبوع : رجوع منه .

[7] في المطبوع : الرسالية عليه .

وأما ما نقله عن ابن القيم، فقد صرح فيه بأن النذر معصية[1] وإشراك. وشبهة العراقي[2]: أنه لو كان شركا مخرجا عن الملة لما جاز صرفه للفقراء، فالعراقي لم يفرق بين النذر والمنذور، فكون النذر شركا لا يمنع الانتفاع بالمنذور في الجهة الشرعية، كما تقدم من فعله ﷺ بمال اللات.

الوجه الثالث: أن الذي يصرفه في المصارف الشرعية ولاة[3] الأمر وأهل العلم. وليس المقصود: أن يصرفه الناذر نفسه، فإن هذا لا يعتبر، بل يرد إلى المشروع قسرا، ويعامل بنقيض قصده .

وكلام الشيخ وأمثاله من أهل العلم ليس حجة مستقلة[4]، بل الحجة فيما يساق من الأدلة ، وقد تقدم أن القصد هنا بيان جهله بكلام الشيخ ، والكشف عن تحريف هذا العراقي لما نقله عن الشيخين ، وإلا فالمرجع إلى أدلة الكتاب والسنة ، قال الله تعالى: (وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ[5] أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) (البقرة:270) وقال[6] (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ[7] وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً)(الإنسان:7) فوصف سبحانه[8] خواص عباده بالوفاء بالنذر وأثنى عليهم بذلك، وفي الآية الأخرى الوعد بالإثابة والجزاء .

فثبت أنه عبادة يحبها الرب ويرضاها، أي الوفاء به، وما كان [لذلك][9] فيجب إخلاصه لله ؛ لأن صرف العبادة لغير الله شرك ، وفي حديث علي: " لعن الله من ذبح لغير الله "[10]،

---

[1] في المطبوع : بأنه نذر معصية .

[2] في المطبوع : هذا العراقي .

[3] في المطبوع : هم ولاة .

[4] في (خ) : مستقبلة .

[5] في (خ) : وقف هنا ولم يكمل الآية .

[6] في المطبوع : زيادة (تعالى) .

[7] في (خ) : وقف هنا ولم يكمل الآية .

[8] ? (سبحانه) لم تثبت في المطبوع .

[9] في (خ) والمطبوع : كذلك . وهو الصواب .

[10] يشير إلى الحديث الذي رواه أبو الطفيل عامر بن واثلة قال كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل، فقال: ما كان النبي ﷺ يسر إليك؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي ﷺ يسر إلي شيئا يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال " لعن الله من لعن والده ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض". رواه مسلم في صحيحه [كتاب الأضاحي/ باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله] (3/1567) ، والحاكم في المستدرك (4/169) ، والإمام أحمد في المسند (1/108،118، 152) ، والبيهقي في السنن (6/99) .

وهذا العراقي وأمثاله من القبوريين دفعوا في صدر النصوص ، وردها[1] بشبهات وهذيان لا يصدر عمن يعقل ما يقول .

وفي آخر العبارة التي نقلها العراقي عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الحكم عام في قبر نفيسة[2]، ومن هو أكبر[3] من نفيسة من الصحابة؛ مثل قبر طلحة والزبير وغيرهما بالبصرة ، وفي سلمان وغيره بالعراق"[4].

قلت : وفيها بيان تدليس العراقي وإنه أسقطها ليروج قوله : فكيف يكفر من نذر لأحد الأنبياء والصالحين – إلى أن قال الشيخ : " فيعتقد[5] أنها باب الحوائج إلى الله ، وأنها تكشف الضر، أو تفتح[6] الرزق، أو تحفظ مصر، فإن[7] هذا كافر مشرك يجب قتله، وكذلك من اعتقد ذلك في غيرها كائنا من كان، قال تعالى[8]: (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ[9] عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً)(الإسراء:56) ، (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)(سبأ:22-23) .

والقرآن من أوله إلى آخره ، بل وجميع الكتب والرسل إنما بعثوا بأن[10] يعبد الله وحده [و][11] لا شريك له، وأن لا يجعل مع الله إله آخر، والإله من يألهه القلب عبادة واستعانة، وإجلالا وإكراما وخوفا ورجاء ، كما هو حال المشركين في آلهتهم، وإن اعتقد المشرك[12] أن ما يألهه مخلوق مصنوع[13]، كما كان المشركون يقولون في تلبيتهم " لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا

---

[1] في المطبوع : ردوها .

[2] هي : نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، توفيت بالقاهره سنة (208هـ) . قال الذهبي : ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ، ولا يجوز ؛ مما فيه من الشرك ، ويسجدون لها ....وكان ذلك من دسائس العبيدية 0انظر : سير أعلام النبلاء (10/106) ، البداية والنهاية (10/273) .

[3] في (خ) : وهو من أكبر .

[4] انظر: الاقتضاء (2/258-259) باختصار .

[5] في المطبوع : يعتقدون .

[6] في المطبوع : وتفتح أبواب .

[7] في (خ) : فإن مكررة . وفي المطبوع : فإن من يعتقد هذا .

[8] (قال تعالى) لم تثبت في المطبوع .

[9] في (خ) وقف هنا . ثم قال : وقوله : (ولا تنفع الشفاعة ..) الآية .

[10] في (خ) : بأن مكررة .

[11] ساقطة من (خ) .

[12] في المطبوع : المشرك منهم .

[13] في المطبوع : و مصنوع .

هو لك تملكه وما ملك "[1] ، وقال النبي ﷺ لحصين الخزاعي[2]: يا حصين كم تعبد ؟ قال: أعبد سبعة آلهة ، ستة في الأرض وواحد في السماء . قال: فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال: الذي في السماء. قال : يا حصين، أسلم[3] حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن. فلما أسلم قال : قل: (اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي)[4] والله أعلم"[5] انتهى.

قلت : فانظر إلى تصريح الشيخ أن من اعتقد في مخلوق أنه باب الحوائج إلى الله ، يعني واسطة في الحوائج ، أو أنه يكشف الضر أو يفتح الرزق[6] أو يحفظ مصر[7]: أنه كافر مشرك ، يجب قتله. وهذا بعينه هو معتقد عباد القبور الناذرين، للموتى، المستغيثين بهم، وهو طريقة العراقي ومذهبه الذي نصر وقرر واستظهر[8] وزعم أنه لا يضر إلا إذا اعتقد االاستقلال لغير الله. كما مر عنه في غير موضع. وسيأتيك هذا القيد فيما يأتي من كلامه في مواضع متعددة . والشيخ قد رد عليه في هذا وأبطل هذا الشرط[9] بقوله: وإن اعتقد المشرك أن ما يألهه[10] مخلوق

---

[1] رواه مسلم في صحيحه [كتاب الحج / باب التلبية وصفتها ، ووقتها] (2/843) ، والبيهقي في السنن الكبرى (5/45) ، والطبراني في المعجم الكبير (2/20،198) .

[2] هو: حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، والد عمران، مختلف في إسلامه ، روى النسائي من حديث إسرائيل وغيره عن منصور عن ربعي عن عمران بن حصين عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ ، ورواه زكريا بن أبي زائدة وغيره عن منصور، فلم يقولوا عن أبيه وهو المحفوظ، وقد قيل : إنه مات مشركا، قال-أي ابن حجر- هذا حكاه أبو حاتم ، ثم حكى رواية إسلامه، ومما يعضد ذلك: رواية أبي معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: يا حصين ، كم تعبد اليوم إلها ؟ قال: سبعة: ستة في الأرض ، وواحد في السماء الحديث، قال: فلما أسلم حصين قال لرسول الله ﷺ علمني الكلمتين ...قال –ابن حجر - وهو شاهد جيد لحديث إسرائيل ، وقال ابن سعد في الطبقات : عمران بن حصين أسلم قديما هو وأبوه وأخته . والله أعلم . انظر: طبقات ابن سعد (7/9) ، الإصابة (2/19) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1/408) .

[3] في المطبوع : فأسلم .

[4] الحديث أخرجه الترمذي [كتاب الدعوات / باب(70)] (5/485) ، وقال حديث غريب، ورواه البزار في مسنده(9/53) ، والطبراني في المعجم الكبير (18/174) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم(4098)، وضعيف سنن الترمذي برقم (3730) .

[5] لم أجد هذا النص لابن تيمية ، ولعل الشيخ عبد اللطيف ذكره بالمعنى . ووجدت نصوصا مقاربة، انظر: مجموع الفتاوى (14/33) ، (27/490) .

[6] في المطبوع : باب الرزق .

[7] في المطبوع : المصر .

[8] في المطبوع : نصره وقرره واستظهره .

[9] في المطبوع : الشرك .

[10] في المطبوع : يؤلهه .

مصنوع – وساق ما يقوله المشركون في تلبيتهم ، وساق حديث حصين ، وهذا لأن الآيات القرآنية دالة على تكفير هذا النوع، أعني من اتخذ الشفعاء والوسائط وقصدهم في حاجته وملماته، كما كان يفعله المشركون مع آلهتهم، فكل هذا أعمى الله بصيرة هذا[1] العراقي عنه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. قال الشيخ[2] صنع الله الحلبي[3] نزيل مكة: " وأما كونهم جوزوا الذبائح[4] والنذور وأثبتوا لهم فيها[5] الأجور، فيقال: هذا الذبح والنذور[6]، إن كان على اسم فلان وفلان، فهو لغير الله فيكون باطلا. وفي التنزيل (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ)(الأنعام:121) ، والحديث : " لا نذر إلا فيما يبتغى به وجه الله"[7] متفق عليه . وورد أن "من حلف بغير الله فقد أشرك" رواه الحاكم[8] وغيره[9]، ونحو[10] النذر لغير الله وفي التنزيل :(قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: 162)- الآية أي: إن صلاتي وذبحي لله ، كان[11] نظير قوله[12]: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)(الكوثر:2) ، وفي الحديث " لا نذر في

---

[1] في المطبوع : بصر العراقي .

[2] في (خ) الشيخ مكررة .

[3] هو الإمام صنع الله الحلبي المكي أ حد كبار علماء الحنفية ، له جهود طيبة في الرد على القبورية في كتابه " سيف الله على من كذب على أولياء الله "، توفي سنة 1120هـ . وقد اقتبس منه نصا الشيخان : سليمان في تيسير العزيز الحميد (207، 232، 235) وعبد الرحمن في فتح المجيد (172، 183-186) ، وفي قرة عيون الموحدين (87) . انظر ترجمته في : إيضاح المكنون(1/115و 2/ 35) ، هدية العارفين (1/428) ، ومعجم المؤلفين (1/843).

[4] في (خ) : الذبح .

[5] في المطبوع : فيهما .

[6] في المطبوع : النذر .

[7] لم أجده في الصحيحين ، والحديث بهذا اللفظ رواه أبو داود [كتاب الأيمان والنذور/ باب اليمين في قطيعة الرحم] (3/228) . وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (4/187) بمعناه .

[8] هو : محمد بن عبد الله بن حمدويه ، أبو عبد الله الشافعي ، يعرف بابن البيع ، قال الذهبي : كان من بحور العلم . له عدة تصانيف من أشهرها " المستدرك على الصحيحين " توفي بنيسابور سنة (403هـ) . انظر : تاريخ بغداد (5/473) ، سير أعلام النبلاء (17/162) .

[9] في المطبوع : رواه الحاكم ، وأبو داود . والحديث رواه الترمذي[كتاب النذور و الأيمان/باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله] (4/ 93،94). والحاكم في المستدرك [كتاب الإيمان] (1/18،52) ، [كتاب الأيمان والنذور] (4/297) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والإمام أحمد في المسند (2/86، 87) .

[10] في المطبوع : ونحوه . وهو الصواب .

[11] في (خ) والمطبوع : كما في .

[12] في المطبوع : قوله تعالى .

معصية الله "[1]، رواه أبو داود[2] وغيره ، والنذر لغير الله إشراك مع الله. فلا أكبر من معصيته[3]. وفي التنزيل: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) الآية -(المائدة: 3)، فالنذر لغير الله كالذبح لغيره ، وقال الفقهاء : خمسة لغير الله شرك: الركوع، والسجود، والذبح، والنذر، واليمين. ومن ذكر غير اسم الله على ذبيحته فهي ميته يحرم أكلها، ولو أشرك مع اسمه تعالى أحدا كقوله: بسم الله ومحمد بواو العطف. فكذا تحرم ذبيحته، وكذا لو ترك اسم الله عمدا على الذبيحة، لا تؤكل عندنا، فهي ميتة لصريح قوله جل ذكره[4]: (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْه)(الأنعام:121) - الآية فترك المؤمن ذكر الله تعالى عمدا كذكر غيره، نعم لو قال: هذا النذر لله يذبح في مكان كذا ويصرف على جماعة فلان أو على رباط فلان، فلا بأس به، كما في الوقف على فلان وفلان، فإن قوله ملك له[5]، وتصرف غلته على من عينه الواقف. فكذا[6] هنا.

والحاصل : أن النذور[7] لغير الله تعالى فجور، فمن أين لهم الأجور؟ وكذا الذبائح ومن قال: إن هذا النذر لفلان وهذه الذبيحة لفلان، فهو من العصيان، ومن نذر لله ذبحا أو غيره وقال: يذبح بمكان كذا ويأكله قوم جاز والله الهادي"[8]. قلت : إذا نذر لله وجعل مصرفه على السدنة[9] والمجاورين عند القبور فهو نذر معصية لا يجوز، ويجب صرفه في القرب الشرعية، كالحجاج والمعتكفين في المساجد،وقد ذكر هذا غير واحد، والمنع منه لما فيه من الإعانة على العكوف عند القبور، الذي هو من أكبر الوسائل والذرائع إلى عبادتها ودعائها[10]. قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)(المائدة:2)

---

[1] رواه مسلم في صحيحه [كتاب النذر/باب لاوفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لايملك العبد](3/1263) ، والترمذي [كتاب النذور] (4/94) وقال : حديث حسن ، وأبو داود [كتاب الأيمان والنذور/باب : ما جاء في النذر في المعصية] (3/232) .

[2] هو : سليمان بن الأشعث بن شداد ، الأزدي ، السجستاني ، إمام من أئمة السنة ، له كتاب " السنن"، توفي سنة (275هـ) . انظر: تاريخ بغداد (9/55) ، السير (13/203) .

[3] في (خ) ، والمطبوع : منه معصية . وهو الأصوب .

[4] في المطبوع : عز وجل.

[5] في المطبوع : فإن قوله لله ملك له .

[6] في المطبوع : وكذا .

[7] في المطبوع : النذر .

[8] سيف الله على من كذب على أولياء الله لصنع الله الحلبي (67) .

[9] السدنة :جمع سادن ،وهو خادم الكعبة ،وبيت الأصنام ـ النهاية (2/355) ،اللسان (4/1977) .

[10] (ودعائها) : لم تثبت في (خ) .

وفي الحديث : " إن رجلا نذر أن ينحر إبلا ببوانة[1] ، قبل إسلامه، فلما أسلم سأل رسول الله[2] ﷺ عن نذره، فقال هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ويدعى بها[3]؟ قال: لا . قال: هل كان بها عيد من أعياد الجاهلية؟ قال: لا. قال: فأوف بنذرك"[4] ففيه المنع من عبادة الله في أماكن الشرك وعبادة غيرالله [5]، للمشابهة الصورية،وإن لم تقصد، فكيف بالذرائع والوسائل القريبة المفضية إلى[غير][6] الشرك، ونفس المحذور الأكبر ؟

فقف وتأمل إن كان لك بصيرة تدرك بها أسرار الشريعة.

---

[1] بوانة : بضم الباء وقيل بفتحها ، وفتح الواو ، هضبة من وراء ينبع ،وقيل : موضع بين الشام وديار بكر ، وقال البغوي : موضع في أسفل مكة دون يلملم .النهاية (1/164) . معجم ماستعجم (1/258) . شرح السنة (10/31) .

[2] في المطبوع :النبي .

[3] في المطبوع : لم يثبت (يعبد ويدعى بها

[4] ?رواه أبو داود في السنن [كتاب الأيمان والنذور/ باب : مايؤمر به من الوفاء بالنذر] (3/607)، وابن ماجه بلفظ مقارب[كتاب الكفارات/باب : الوفاء بالنذر] (1/688) ، وصححه الحافظ في التلخيص الحبير(4/180) ، وقال ابن تيمية : وهذا الإسناد على شرط الصحيحين ، وإسناده كلهم ثقات مشاهير، وهو متصل بلا عنعنة . انظر : الإقتضاء (1/490) . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (2/203-204) .

[5] في المطبوع : غيره

[6] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع : (عين) وهو الصواب .

فصـــل

قال العراقي : النقل الثالث والعشرون : قال ابن مفلح[1] في كتاب الفروع عن شيخه تقي الدين : "والنذر لغير الله ، كنذر[2] لشيخ معين للاستغاثة به، وقضاء الحاجة منه، قال شيخنا: كحلفه بغيره، [وقال غيره][3]: نذر معصية" انتهى[4]. فشبه النذر والاستغاثة بالشيوخ، وطلب قضاء الحاجة بالحلف بغير الله، فهو على قولين للعلماء، كما ذكره ابن تيمية: قول بالحرمة، وقول بكراهة التنزيه. بل رواية عن أحمد أنه مباح. نقله صاحب الإنصاف[5] في التنقيح .

ثم قال : النقل الرابع والعشرون :

ذكر الشيخ سليمان بن عبدالوهاب[6] فـي رده

---

[1] هو : محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الراميني شيخ الإسلام ، تفقه في المذهب حتى برع فيه ودرس، كان ذا زهد وعبادة ،وورع، لازم ابن تيمية حتى وفاته ،وكان أحفظ الناس لمسائله،حتى كان ابن القيم يراجعه في ذلك ، له مصنفات نفيسة منها (الفروع في الفقه)،(والآداب الشرعية)، (وشرح المقنع) ، توفي سنة 762هـ .انظر: السحب الوابلة (3/1089) ، المنهج الأحمد (456).

[2] في المطبوع : كنذره .

[3] ساقطة من (خ) .

[4] انظر : الفروع لابن مفلح (6/359) .

[5] هو: علي بن سليمان بن أحمد العلاء المرداوي ، الدمشقي ، الصالحي، إمام المذهب ومنقحه وجامع الكتب والروايات ، ولد بمردا ونشأ بها ، من تصانيفه (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف)واختصره في مجلد سماه (التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع) وغيرها كثير.توفي سنة885 هـ .
انظر:السحب الوابلة (2/739) ، شذرات الذهب (7/340) المنهج الأحمد (509).

[6] هو : سليمان بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي الوهبي التميمي ، أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولد في العيينة ، وكان معاديا لأخيه محمد بن عبدالوهاب ولدعوته ورادا عليها ، وقيل: إنه رجع إلى الحق ، وشكك في ذلك آخرون . والله أعلم . توفي عام1208هـ .=

على أخيه محمد بـن

عبد الوهاب، عن الشيخ ابن تيمية قال: " كما يفعله[1] الجاهلون بمكة شرفها الله وغيرها، من بلاد المسلمين من الذبح للجن. ولهذا نهى النبي عن ذبائح الجن". انتهى [2].

وذكر ابن القيم في كتاب " الكبائر " [الذبائح][3] لغير الله ، وجعله من المحرم ، وفسره " بأن يقول : باسم سيدي الشيخ فلان . عوضا عن قوله : بسم الله . حين الذبح ، مع أن هذه اللفظة لا أظن مسلما يقولها. والمستفاد من كلامهما : أنه محرم ، وليس بشرك مخرج عن الملة ؛ لأنه قال : كما يفعله[4] " .

= انظر:علماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام(1/302) ، الأعلام للزركلي(3/130) .

[1] ? في المطبوع : يفعل .

[2] اقتضاء الصراط المستقيم (2/65) .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع (الذبح) . ولعله الأصوب .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع . والذي يظهر لي والله أعلم أن النص فيه انقطاع، لعدة أسباب :

1- أن الموجود في صلح الإخوان (ص31) : " كما يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من بلاد المسلمين ولم يجعلهم كفارا ، ولو كان جاعلهم كفارا لم يقل في بلاد المسلمين " . وانتهى النقل بذلك، ولم يذكر قول ابن عقيل في الفنون .

2- أن هذا هو الجواب الوحيد في الكتاب الذي لم يقدم له الشيخ بقوله : والجواب أن يقال .

3- التداخل الموجود بين قول العراقي وجواب الشيخ .

4- تتمة الكلام من قوله : " وقال في الفنون..." موجود في (الفروع) وهو الكتاب الذي نقل منه العراقي ، فكأن الشيخ عندما بدأ الرد على العراقي نقل النص كاملا كما هي عادته في ردوده فتداخل على الناسخ نقل العراقي مع نقل الشيخ فدمجهما .

لكني لم أجد أي إشارة في المخطوطتين يتبين منها وجود سقط . ولله أعلم .

وقال في الفنون[1]: يكره إشعـال القبـور والتبخـير[2].

ثم قال : ونص أنه إن نذر ذبح ولده أو نفسه ذبح كبشا ، قيل : مكانه ، وهو الأصح . وقيل : كهدي . ونقل حنبل[3]: يلزمانه. وعنه ، أنه قال : إن فعلته فعلي كذا . أو نحوه ، وقصد[4] اليمين فيمين ، وإلا فنذر معصية ، فيذبح في [مكة][5]كبشا. اختاره شيخنا ، وقال : عليه أكثر نصوصه . وقال : وهو مبني على الفرق بين النذر واليمن .

ولو نذر طاعة حالفا بها[6]، أجزأه كفارة يمين ، بلا خلاف عن أحمد ، فكيف لا يجزئه إذا نذر معصية حالفا بها ؟! فعلى هذا ، على رواية حنبل يلزمان[7] الناذر، والحالف يجزئه كفارة ، فتصير ستة أقوال .

وذكر[الأرمي][8] البغدادي: نذر شرب الخمر لغو، فلا كفارة . ونذر ذبح ولده كفّر[9].

---

[1] هو : أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد الفقيه الحنبلي البغدادي ، كان واسع العلم قوي الحجة ، ألف كتاب " الفنون " وهو أكبر تصانيفه ، بلغ أكثر من أربع مائة مجلد ، تبحر في علم الكلام ،= =وتضرر من ذلك ، توفي سنة 513 هـ. انظر:طبقات الحنابلة(2 /259) . سير أعلام النبلاء (19/443) .

[2] في المطبوع : وتبخيرها .

[3] هو : حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد ، أبوعلي الشيباني ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، إمام حافظ ، مصنف، له مسائل كثيرة عن الإمام أحمد – رحمهما الله - ، ويتفرد، ويغرب، مات سنة(273 هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء 13/51 ، طبقات الحنابلة1/143.

[4] في المطبوع : وقصده .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين ، ثم بياض بقدر كلمة . وفي المطبوع : ويذبح في مكة كبشا . وهذا تصحيف ، والصواب : " فيذبح في مسألة الذبح كبشا " الإنصاف (28/186) ، والفروع (6/359).

[6] (بها) مكررة في كلا المخطوطتين .

[7] في المطبوع : يلزم أن .

[8] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : الأزجي ، وكلاهما تصحيف ، والصواب : (الأدمي) كما في " الإنصاف " و" الفروع " . وهو : أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي البغدادي، تقي الدين، أبو بكر المقرئ ، رجل صالح ، ثقة . توفي سنة 327 هـ . انظر : طبقات الحنابلة (2/15) ، تاريخ بغداد (4/389-390) .

[9] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : (يكفر) ، وكذلك في " الإنصاف " ، و" الفروع " .

وقدم ابن رزين[1]: نذر معصية لغو. قال: ونذره لغير الله كنذره لشيخ معين حي للاستعانة وقضاء الحاجة منه وكحلفه بغيره. وقال غيره : هو نذر معصية"[2].

فقف وتأمل تحريف العراقي وسوء فهمه ، فإن الكلام في تشبيه النذر بالحلف من جهة الكفارة وعدمها ، لا من جهة أخرى . والنزاع ليس في الكفارات، وإنما هو في الحكم على النذر لغير الله أنه من الشركيات . وهذا من أكبر الأدلة على كثافة فهمه ، وغلظ حجابه ، وأنه محجوب عن فهم كلام أهل العلم ، كما حجب عن فهم كلام الله وكلام رسوله : شعرا[3]

فللكثافة أقوام لها خلقوا ... وللمحبة أكباد واجفان[4]

ثم كلام الشيخ فيمن نذر للحي الحاضر للاستعانة وقضاء الحاجة ، وهذه النقول كلها مجرد عدد لا حقيقة له ، بل هي إما تحريف وإلحاد في كلام أهل العلم، وإما سوء فهم وكثافة حجاب ، وإما كذب لا أصل له.

وأما ما نقله عن سليمان ، فسليمان والعراقي أخذا بعض العبارة وتركا تمامها. وما ارتبط بها. قال في "اقتضاء الصراط المستقيم":" وأيضا فإن قوله تعالى: (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) (البقرة:173) ظاهره: ما ذبح لغير الله سواء لفظ فيه به، أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقال فيه باسم المسيح ونحوه. كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله أزكى مما ذبحنا[5] للحم وقلنا عليه باسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة [6]والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور. والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم ولو قال فيه بسم الله ، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كانوا[7] هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان . ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن "[8]. انتهى كلام الشيخ.

---

[1] هو: عبد الرحمن بن رزين بن عبد العزيز الغساني الدمشقي ، أبو الفرج ، صاحب التصانيف ، قتله التتار سنة 656 هـ .انظر : ذيل طبقات الحنابلة (2/264) ، المقصد الأرشد لإبراهيم بن مفلح (2/88) .

[2] الفروع (359-6/358) ، وانظر : الإنصاف (28/179 - 186) .

[3] كلمة (شعرا) لم تثبت في المطبوع .

[4] لم أجد قائله ، وذكره ابن القيم في " طريق الهجرتين " (ص234).

[5] في (خ) : ذبحناه .

[6] في المطبوع : بالصلاة له .

[7] في المطبوع :كان .

[8] انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (2/64).

فأخذ المعترض السطر الأخير من كلامه ، أو بعض السطر ، وأخذ المشبه وترك المشبه به ؛ لأن في الأول التصريح بردة من ذبح لغير الله ، وأن الذبح[1] للجن مانعا آخرا؛ لأنه مما أهل به لغير الله .

وقوله في العبارة : فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه بفواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله – فترك هذا وسرق بعض العبارة واختلس منها كاختلاس الشيطان من صلاة العبد واختطافه بعضها. وفي العبارة التصريح بكفر من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، خلافا للعراقي وشيعته من عباد القبور الصادين عن سبيل الله المحرفين للكلم عن مواضعه الوارثين لليهود في تحريف كلمات الله وتبديل دينه.

وهذا الرد أمليت أكثره من ذهني، فلذلك اختصرت واكتفيت بالإشارة، وقد فتحت الباب لمن أراد الوقوف على النصوص والآثار ، وكلام أهل العلم.

وأما ما ذكره[2] في كتاب " الكبائر " من الذبح لغير الله وجعله من المحرم ، فنعم هو محرم ، قال الله[3] تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) [4] - إلى قوله (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(الأنعام: 151) ، فجعل هذا كله محرما، هذا عرف القرآن والسنة والشرع ، والعراقي لجهله وسوء قصده يحمل كلام أهل العلم على العرف النبطي[5] الحادث ، واصطلاح العامة ، فقاتل الله الجهل والهوى فما أغلظهما حجاب[6] بين العبد والهدى.

وأما قوله : وفسره بأن يقول: باسم سيدي الشيخ فلان ، عوضا عن قوله باسم الله . قلت : قد تقدم كلام الشيخ وتقسيمه ما أهل به لغير الله إلى : ما قصد به القربة والنسك لغير الله ، وإلى : ما ذكر عليه غير اسمه عند الذبح، فالقسمان واقعان ، ومنع أحدهما مكابرة . وكلام ابن

---

[1] في المطبوع : (في الذبح) ، وهو الأصوب .
[2] في المطبوع : ماذكره ابن القيم .
[3] في المطبوع : قال تعالى .
[4] في (خ) : وقف إلى (عليكم) ولم يكمل الآية .
[5] النبط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم . والجمع: أنباط . والمقصود هنا : أي ما يستخدمه عوام الناس . انظر: المصباح المنير(ص225).
[6] في المطبوع : من حجاب .

القيم ليس فيه حصر، بل كلامه في هذه المسألة موافق لكلام شيخه.

والقسم الثاني الذي هو أغلظ وأفحش نص عليه في مواضع متعددة، وقال صاحب " الروض "[1] من كتب الشافعية : " إذا ذبح المسلم للنبي كفر، نقله شيخنا رحمه الله ، وذكره غير واحد من المفسرين في الكلام على قوله[2] : (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)(المائدة:3) ، ونقل بعضهم عن فقهاء بخارى[3] إنهم أفتوا بتحريم ما عقر بين يدي الملوك تعظيما لهم ؛ لأنه مما أهل لغير الله به" .

قال العلامة الشوكاني[4]: " قال بعض أهل العلم : إن إراقة دماء الأنعام عبادة ؛ لأنها إما هدى أو أضحية[5] أو نسك . وكذلك ما يذبح للبيع ؛ لأنه مكسب حلال فإنه عبادة .

ويتحصل من ذلك شكل وضعي[6]، هو: إراقة[7] دم الأنعام عبادة . وكل عبادة لا تكون إلا لله ، فإراقة دم الأنعام لا تكون إلا لله ، ودليل الكبرى قوله تعالى : (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)(الأعراف:59) (فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)(العنكبوت:56) (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)(الفاتحة:5) (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ)(الإسراء:23) (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)(البينة:5) "[8]انتهى.

ويكفي المؤمن في هذا الباب قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي[9] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)(الأنعام:162-163) وقوله: (إِنَّا

---

[1] هو : شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر ، المعروف بالمقرئ اليمني الشافعي ، له عدة تصانيف منها (الإرشاد مختصر الحاوي)،(الروض الصحيح ،وهو مختصر الروضة في الفروع للنووي). مات سنة 837هـ . انظر : البدر الطالع للشوكاني(1/142-145) ، معجم المؤلفين (1/360).

[2] في المطبوع : زيادة (تعالى) .

[3] بخارى : بالضم ، من أعظم مدن ما وراء النهر بخرسان وأجلها ، وبينها وبين جيحون يومان،وكانت قاعدة ملك السامانية . انظر: معجم البلدان (1/352) ، معجم مااستعجم(1/212) .

[4] هو : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، فقيه ، مجتهد من كبار علماء اليمن ، ولد بشوكان ونشأ بصنعاء وولي قضاءها ، له تصانيف كثيرة ، منها : نيل الأوطار من أ سرار منتقي الأخبار ، والبدر الطالع ، و فتح القدير ، توفي سنة 1250 هـ . انظر : البدر الطالع 2/ 241 الأعلام 6 / 298.

[5] في المطبوع : ضحية .

[6] في الدر النضيد : (قطعي) . وهو خطأ . والصواب المثبت .

[7] في الدر النضيد : أن إراقة .

[8] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ضمن الرسائل السلفية (154) .

[9] في (خ) : وقف إلى هنا .

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ[1]* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)(الكوثر:1-2) وقال[2] تعالى: (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا[3] وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ [7] كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرْ [8] الْمُحْسِنِينَ)(الحج:37) فإن الإحسان أعلى مراتب الإيمان ، ودخول هذه العبادة فيه لأن السياق لها ظاهر لا يخفى . وفي المسند عن طارق بن شهاب[4] أن رسول الله[5] قال: " دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب . قالوا: كيف يا رسول الله ؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئا، قالوا لأحدهما قرب. قال: ما عندي شيء أقربه، قالوا قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا، فخلوا سبيله فدخل النار. فقالوا للآخر: قرب . قال: ما كنت لأقرب لأحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة "[6].

فقف عند هذا وتأمل حكمة الشريعة وسرها في إخلاص العبادة والتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله ولو بأحقر شيء كالذباب . فكيف بكرائم الأموال ؟ والله المستعان !

والنبي حسم مادة الشرك ، وقطع وسائله ، حتى نهى عن الصلاة في الأوقات التي يسجد فيها الكفار للشمس ، ونهى عن الصلاة عند القبور، خشية الفتنة بها وبأربابها وإن كان المصلي لا يقصد شيئا من ذلك ، ولعن من فعل ذلك ، وأبدى وأعاد فيه وقال : " لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[7] ، وفي رواية لمسلم : " وصالحيهم"[1] ، وقال ذلك وهو عند مفارقة الدنيا إلى الرفيق الأعلى، عليه

---

[1] في (خ) : وقف هنا .

[2] في المطبوع : وقوله .

[3] في (خ) : وقف إلى هنا .

[4] هو : طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة البجلي الأحمسي، أبو عبد الله رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو رجل ، ويقال إنه لم يسمع منه شيئا، لقوله : " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم " قال ابن حجر: إذا ثبت أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم فهو صحابي على الراجح ، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي ، وهو مقبول على الراجح ، وقد أخرج له النسائي عدة أحاديث وذلك مصير منه إلى إثبات صحبته ، وأخرج له أبو داود حديثا واحدا ، وقال : طارق ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمع منه شيئا .توفي سنة 83 هـ .
انظر : الإصابة (3/510) ، الاستيعاب لابن عبد البر(2/755) .

[5] في المطبوع : النبي .

[6] رواه الإمام أحمد في في الزهد (84) من طريق الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (5/485) ، وابن أبي شيبة في المصنف (6/473) ، وقال صاحب النهج السديد : يصح موقوفا. (ص68) .

أفضل الصلاة و السلام[1]. ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: "من حلف بغير الله فقد أشرك"[2] ، وقال لرجل - قال له :9ما شاء الله وشئت -"أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده8"[3].

قال شيخ الإسلام : " وأما من قصد التبرك بالصلاة عندها، فهذا عين المحادة لله ولرسوله"[4]. انتهى .

وعلى رأي هذا العراقي أنها تدعى ويستغاث بها، وتقصد وترجي، ويذبح لها ، فهذا عين العبادة وعين الغاية التي قطع الرسول وسائلها، وسد ذرائعها، فهذا وأمثاله هم الآمرون بالشرك الواضعون له، الداعون إليه، الرادون لما جاءت به الرسل من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وإنما حدث الشرك برأي جنس هؤلاء . والله المستعان .

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- : " عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين، وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل ، وأنزل[5] الكتب ، قال تعالى وتقدس: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)(النحل:36) ، وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)(الأنبياء:25) .

وكان [6] يحقق التوحيد ، ويعلمه أمته ، حتى قال له رجل : " ما شاء الله وشئت قال: أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده"[7]، ونهى عن الحلف بغير الله. وقال : "من حلف بغير الله فقد أشرك"[8] .

---

7 رواه البخاري [كتاب المساجد /باب الصلاة في البيعة] (1/168) ، والإمام أحمد في المسند (6/80) .

1 رواه مسلم [كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب النهي عن بناء المساجد على القبور] (1/377).

1 في المطبوع :وأتم السلام .

2 سبق تخريجه (ص445) .

3 رواه النسائي في عمل اليوم والليله(545) ، وابن ماجة [كتاب الكفارات/باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت (1/684) بنحوه ، ورواه الإمام أحمد في المسند (1/214،224،283،347)عن ابن عباس ،وفيه (جعلتني لله عدلا) ، ومعناهما واحد .

4 اقتضاء الصراط المستقيم (2/193) .

5 في المطبوع :أنزل به .

6 1 في المطبوع : النبي –صلى الله علي وسلم - .

7 سبق تخريجه (ص456) .

8 سبق (ص445) .

وقال في مرض موته : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذر ما فعلوا"[1]، وقال : " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد "[2].

وقال : " لا تتخذوا قبري عيدا ، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا على حيثما كنتم. فإن صلاتكم تبلغني"[3] ؛ ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان تعظيم القبور.

ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها ؛ لأنه إنما يكون لأركان[4] بيت الله، فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق. كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين، ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)- إلى قوله – (عَظِيماً) (النساء:48) .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أعظم الكلام وأفضله ، فأفضل آية في القرآن آية الكرسي (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)(البقرة: 255)، وقال ﷺ : "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[5].

والإله : هو الذي يألهه القلب عبادة له ، واستغاثة له[6]، ورجاء له، وخشية وإجلالا "[7].

انتهى كلامه-رحمه الله-.

---

[1] سبق (ص456) .

[2] سبق (ص439) .

[3] رواه أبو داود [كتاب المناسك/باب: زيارة القبور] (2/218) ، والإمام أحمد في المسند (2/367)، وعبد الرزاق في المصنف (3/577) ، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان (3/491)، وأخرجه البزار في البحر الزخار عن علي –رضي الله عنه- (2/147-148) ، والحديث صححه النووي في الأذكار(93) ، والألباني كما في صحيح الجامع (2/1211) رقم (7226) .

[4] في المطبوع : يكون التمسح بأركان .

[5] رواه أبو داود في سننه [كتاب الجنائز/ باب : في التلقين] (3/190) ، والإمام أحمد في المسند (5/233، 247) ، والحاكم في المستدرك (1/351) وصححه ووافقه الذهبي ، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (2/103) : " أعله ابن القطان بصالح بن أبي عريب وأنه لا يعرف ، وتعقب= بأنه روى عنه جماعة وذكره ابن حبان في الثقات " ، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (2/602) برقم (2673) .

[6] في المطبوع : به .

[7] انظر : مجموع الفتاوى (3/399) .

قال العراقي : النقل[1] الخامس والعشرون:

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية قال[2] في " الفتاوى ": " والكفر يكون من الوعيد، فإنه إن[3] كان القول تكذيبا بما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة . وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض أوجب تأويلها، وإن كان مجتهدا مخطئا.

وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال لأهله : " إذا أنا مت فأحرقوني ثم ذروني – الحديث"[4] هذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين ، لكن لما كان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر[5] له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول[6] أولى بالمغفرة من هذا[7] "[8]. انتهى.

---

[1] في المطبوع : في النقل .
[2] (قال) ساقطة المطبوع .
[3] في مجموع الفتاوى : (وإن) وهو الذي يقتضيه السياق.
[4] سبق تحريجه .
[5] في المطبوع : (غفر) .
[6] في المطبوع زيادة : (ﷺ) .
[7] في المطبوع : مثل هذا .
[8] مجموع الفتاوى (3/231) .

والجواب أن يقال : قد تكررت هذه الشبهة وكثر بها العدد ، هكذا المفلس إذا رجع إلى ما في عيبته[1] وجدها[2] صفرا ، اشتغل بتقليب ما في يديه .

قد[3] تقدم جوابها مرارا، وذكرنا أن عباد القبور قد قامت عليهم الحجة ، أو على جمهورهم ، بالكتاب والسنة والإجماع ، فإن هذا الباب – أعني باب عبادة الله وحده لا شريك له – هو خلاصة الكتب الإلهية ، و زبدة الدعوة النبوية ، وتقدم في جواب ما نقله عن ابن القيم وعن الشيخ ، ففيه كفاية .

قال الشيخ -رحمه الله- في الرد على المتكلمين ، لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيرا ، قال : " وهذا إذا[4] كان في[5] المقالات الخفية فقد يقال فيها: إنه مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلم[6] الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله[7] بعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم ، فإن هذا أظهر شعار الإسلام ، ومثل إيجابه للصلوات[8] الخمس ، وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، ثم تجد[9] كثيرا من رؤوسهم وقعوا[10] فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك : أن منهم من صنف في دين المشركين ، كما فعل أبو عبدالله الرازي[11] . قال : وهذه ردة صريحة "[12].

فتأمل ما في هذا من التفصيل تزول الشبهة التي يدلي بها بعض المشركين، وتقدم كلام الشيخ في " الرسالة السنية "،

---

[1] 7 قال ابن الأثير : العرب تكني عن القلوب ، والصدور بالعياب ، لأنها مستودع السرائر ، كما أن العيب مستودع الثياب . انظر : النهاية لابن الأثير (3/327) .

[2] ? في المطبوع : فوجدها .

[3] ? في المطبوع : وقد .

[4] في (خ) : إن . وفي المطبوع : وإن .

[5] في المطبوع : (من) .

[6] في المطبوع : يعلمها .

[7] في المطبوع : الرسول .

[8] في المطبوع : الصلوات .

[9] في المطبوع : نجد .

[10] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : وقفوا . وكلا اللفظين محتمل .

[11] هو : محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني ، الرازي ، صاحب تصانيف كثيرة ، خاض في علم الكلام ثم ندم على ذلك ، قال الذهبي : " وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم، وسحر وانحرافات عن السنة ، والله يعفو عنه ، فإنه مات على طريقة حميدة ، والله يتولى السرائر" . مات بهراة يوم عيد الفطر سنة 606هـ . انظر: سير أعلام النبلاء(21/500)، البداية والنهاية (14-17/11) .

[12] انظر مجموع الفتاوى (4/55 ، 18/54) .

وقوله : " فإذا كان على عهد النبي وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام[1] والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام وذلك بأسباب، منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه – إلى أن قال : فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية ، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو اجبرني، أو أنا في حسبك. ونحو هذه الأقوال . فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل"[2].

فانظر رحمك الله إلى تصريحه بكفر هذا الصنف الذين هم محل النزاع، وأن من فعل ذلك قتل بعد الاستتابة[3]. وهذا عين كلامنا.

فالتشبيه في هذه المسألة بخبر الذي أمر أهله أن يذروه، أو بقول الشيخ: إن المخطئ لا يكفر إذا اجتهد واتقى ، ونحو هذه العبارات فهذا[4] تمويه وتشبيه. والنزاع فيمن قامت عليه الحجة ، أو أمكنه الاستدلال ، [فيما][5] يخفى من المسائل، أو كان مما يختص أهل العلم بمعرفته . فهذا ونحوه ليس مما نحن فيه، وإيراده والاحتجاج به على مسألة النزاع تمويه لا يروج على أهل البصائر.

---

[1] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي مجموع الفتاوى ، والمطبوع : زيادة [من مرق منه مع عباداته العظيمة حتى أمر بقتالهم فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام] وهو الذي يقتضيه السياق ، ويتم به المعنى .

[2] انظر مجموع الفتاوى (3/383،395).

[3] ? في المطبوع : بعد الإستتابة إن لم يتب .

[4] ? (فهذا) ساقطة من المطبوع .

[5] ? هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (لا فيما) وهو الصواب الذي يقتضيه السياق .

قال العراقي: النقل السادس والعشرون:

وقال أيضا في بعض كتبه ونقله الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، في رده على أخيه ، قال : " إني دائما ومن جالسني يعلم أني من أعظم الناس نهيا من[1] أن ينسب معين إلى تكفير أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه [إذا][2] قامت عليه الحجة الرسالية ، التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم[3] يشهد أحد منهم على معين لأجل ذلك لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية ،كما أنكر شريح[4] قراءة (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ)(الصافات:12) ، وقال : إن الله لا يعجب[5] – إلى أن قال : وقد آل النزاع بين

---

[1] (من) ساقطة من المطبوع .

[2] 2 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (أنه قامت) . وفي الفتاوى : (قد) ، وهو الصواب الذي يقتضيه السياق .

[3] في المطبوع : ولا.

[4] 4 هو : الفقيه أبو أمية ، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، قاضي الكوفة . يقال له صحبة ، ولم يصح . ولاه عمر قضاء الكوفة ، وقيل أقام على قضائها ستين سنة ، كان ثقة في الحديث ، مأمونا في القضاء ، مات في الكوفة سنة 80هـ ، وقيل 78هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (4/100) ، شذرات الذهب (1/85) .

[5] 5في (عجبت) قراءتان : قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر : (بل عجبتَ) بفتح التاء . وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقتادة، وأبو مجلز، والنخعي، والأعمش، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي، وآخرون: (بل عجبتُ) بضم التاء ، واختارها

السلف إلى الاقتتال، مع اتفاق أهل السنة[1] أن الطائفتين جميعا مؤمنتان ، وأن الاقتتال[2] لا يمنع العدالة الثابتة لهم ؛ لأن المقاتل وإن كان باغيا، فهو متأول ، والتأويل يمنع الفسوق ، وكنت أبين لهم أن ما نقل[3] عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو كافر[4]، ونحو هذا حق ، لكن يجب التفريق

الفراء، وقال : وهي قراءة علي وعبد الله وابن عباس ، وهي أحب إلي . وقد أنكر هذه القراءة قوم ، منهم : شريح القاضي ؛ فإنه قال : إن الله لا يعجب ، إنما يعجب من لا يعلم . قال الزجاج : وإنكار هذه القراءة غلط ؛ لأن العجب من الله خلاف العجب من الآدميين، وهذا كقوله : (ويمكر الله) (الأنفال :30) ، وقوله : (سخر الله منهم) (التوبة: 79) .
انظر : زاد المسير لابن الجوزي (7/49-50) ، تفسير القرطبي (15/47) .
قال ابن تيمية : " وأما قوله : التعجب استعظام للمتعجب منه . فيقال : نعم . وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب ، وقد يكون لما خرج عن نظائره ، والله تعالى بكل شىء عليم ، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه ، بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيما له ، والله تعالى يعظم ما هو عظيم : إما لعظمة سببه ، أو لعظمته ، فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ، ووصف بعض الشر بأنه عظيم ، فقال تعالى : " رب العرش العظيم " ، وقال : " ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم " ، وقال : " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما "، وقال : " ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " وقال : " إن الشرك لظلم عظيم " ؛ ولهذا قال تعالى : " بل عجبت ويسخرون " على قراءة الضم ، فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة " . مجموع الفتاوى (6/123) ، وقال ابن القيم في بدائع الفوائد في بيان دلالات التعجب في القرآن الكريم (4/8) : " فائدة : " دلالات التعجب " : التعجب كما يدل على محبة الله لفعل نحو : " عجب ربك من شاب ليست له صبوة " و " يعجب ربك من رجل ثار من فراشه ووطائه إلى الصلاة " ، ونحو ذلك . وقد يدل على بغض الفعل ، نحو قوله : " وإن تعجب فعجب قولهم " ، وقوله : " بل عجبت ويسخرون " ، " كيف تكفرون بالله " ، وقوله : "وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ". وقد يدل على امتناع الحكم وعدم حسنه ، نحو : " كيف يكون للمشركين عهد " . وقد يدل على حسن المنع منه، وأنه لا يليق به فعله، نحو : " كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم " .

[1] في (خ) : السنة والجماعة .
[2] في المطبوع : القتال .
[3] في (خ) : نقله .
[4] في المطبوع : (فهو كافر) ساقطة . وفي الفتاوى : (بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضا حق).

بين الإطلاق والتعيين ، و[هذا][1] أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار، وهي مسألة الوعيد ، فإن نصوص الوعيد في القرآن مطلقة عامة، كقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً[2] إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)(النساء:10) وكذلك سائر ما ورد من هذا . [من][3] فعل كذا وكذا فهو كذا ، فإن هذه النصوص مطلقة عامة ، وهي بمنزلة من قال من السلف : من قال كذا فهو كذا – إلى أن قال : والتكفير يكون من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبا [ما][4] قاله الرسول –صلى الله عليه وسلم -[5] .

لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام ونشأ ببادية بعيدة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو [معارض آخر][6] أوجب[7] تأويلها وإن كان مخطئا،

---

[1] ? هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وفي مجموع الفتاوى : (هذه) وهو الصواب .

[2] في (خ) : وقف هنا .

[3] لم تثبت في كلا المخطوطتين ، ولا يستقيم الكلام إلا بإضافتها . وفي المطبوع (ما ورد من فعل كذا وكذا فهو كذا).

[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع : (بما) . وفي الفتاوى : (لما) وهو الأنسب للسياق.

[5] في المطبوع : سقط لفظ الصلاة على النبي .

[6] 5 هكذا في كلا المخطوطتين ، والكلام فيه سقط . وفي الفتاوى ، والمطبوع : (عارضها عنده معارض) ، وهو الصواب ، وبه يتضح المعنى .

[7] في المطبوع : يوجب .

وكنت دائما أذكر الحديث[1] في الصحيحين في الرجل الذي قال لأهله:" إذا أنا مت فاحرقوني– الحديث"،فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذري ، بل اعتقد أن لا يعاد ، وهذا كفر باتفاق المسلمين ، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك ، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه ، فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد ، الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا "[2] . انتهى .

والجواب : أن شيخنا رحمه الله قال في مثل هذه الشبهة[3] التي يوردها المبطلون من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[4] : إن[5] من تأمل كلامه رحمه الله وجده يصله بما يفصل النزاع ، ويبين المراد .

وقد بين في هذا النقل بيانا يقطع النزاع بقوله : " إلا إذا علم أنه قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة ، وفاسقا أخرى " ، وهذا البيان كاف ، فإن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله - لا يكفر[6] أحد قبل قيام الحجة ، وهذا يأتي على جميع ما ساقه العراقي بالرد والدفع ، فسياق هذه العبارات المتحدة المعاني ، والتشبيه بها ، وكثرة عددها مجرد تخييل وهوى[7] يكفي في ردها ما تقدم بيانه من اشتراط قيام الحجة ، وإن فرض كلام الشيخ في كل ما نقل العراقي في غير ما يعلم من الدين بالضرورة ، وفي غير

---

[1] في المطبوع زيادة : (الذي) .
[2] انظر : مجموع الفتاوى (3/229-231).
[3] في المطبوع : الشبه
[4] في المطبوع زيادة : (بمثل ما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية سواء) ، ولا أعلم وجه هذه الزيادة. والكلام يستقيم بدونها .
[5] في المطبوع : وإن .
[6] في (خ) كلمة غير واضحة كأنها (كان لا يكفر) .
[7] في المطبوع : وهوس .

المفرط في طلب العلم والهدى ، كما تقدم فيما نقلناه من " طبقات المكلفين"، وتقدم نص الشيخ أن فرض كلامه في غير المسائل الخفية ، وكل جملة من هذه الجمل تكفي المؤمن في رد جميع ما نقله ابن جرجيس عن شيخ الإسلام ابن تيمية .

وينبغي أن يعلم[1] الفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة ، فإن من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة ، إذا كان على وجه يمكن معه العلم ، ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الإيمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول ، فافهم هذا يكشف عنك شبهات كثيرة في مسألة قيام الحجة، قال تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ[2] بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)(الفرقان:44) ، وقال[3]: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ[4] وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) (البقرة:7) .

وتأمل كلام الشيخ وقوله : " وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل" ، وقوله : " ولكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة " ، وقوله : " وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب[5] تأويلها" ، وكل هذا لا يمكن أن يقال في عباد القبور ، فتأمل كلام الشيخ واعرف ضلال ابن جرجيس في حمله كلام الشيخ على عذر عباد القبور والأنبياء والصالحين ، واعرف سوء فهمه وكثافة حجابه ، [و][6] قد تقدم هذا مرارا.

ويقال أيضا : كلام الشيخ في عدم إطلاق الكفر على المعين إذا كان له عذر من جنس ما تقدم ، لكن أثبت وقرر أن نفس العمل والفعل يكون كفرا ، وإن لم يكفر[7] فاعله لمانع ، وهذا الملحد لا يقول ذلك فيمن عبد الصالحين وأهل القبور، بل يقول : هم مثابون مأجورون بدعائهم غير الله ، ويسمي الدعاء توسلا ، قد مر هذا عنه في غير موضع ، ويأتيك أكثر مما مر، فاعرف

---

[1] في (خ) : أن يعلم مكررة .
[2] في (خ) : وقف هنا .
[3] في المطبوع : قال تعالى .
[4] في (خ) : وقف إلى هنا .
[5] ? في المطبوع : يوجب .
[6] ساقطة من (خ) .
[7] في المطبوع : يكن .

جهله ، فإنه[8] لم يأنس بشيء مما جاءت به الرسل ، ولم يتعقل ما يحكيه من كلام أهل العلم .

فقف هنا يا من أنعم الله عليه ، تعرف بعد ما جاء به هذا الملحد عما جاءت به جميع الرسل ، وأنه أضل من كثير من أعدائهم ، والله المستعان .

---

[8] في المطبوع : وإنه .

النقل السابع والعشرون من نقول ابن جرجيس :

قال أيضا في الفتاوى حين سئل عن التكفير الواقع في هذه الأمة: " أول ما[1] أحدثه في الإسلام المعتزلة ، وعنهم تلقاه[2] من تلقاه، وكذلك الخوارج هم أول من [أظهره][3] ، واضطرب الناس في ذلك ، فمنهم من يحكي عن مالك فيه قولين ، وعن الشافعي كذلك ، وعن أحمد روايتين. وأبو الحسن الأشعري[4] وأصحابه لهم فيه قولان .

وحقيقة الأمر: إن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير قائله، ويقال : من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يكفر، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها – ثم ساق كلام الشيخ في أن المقالات الكفرية لا يكفر قائلها إلا بعد قيام الحجة"[5] .

والجواب أن يقال:

---

[1] في المطبوع : من .

[2] في (خ) : من تلقاه .

[3] كلمة غير واضحة في (خ) .

[4] 2 هو : علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن الأشعري ، يرجع نسبه إلى أبي موسى الأشعري صاحب الرسول ، كان عجبا في الذكاء ، وقوة الفهم ، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه ، وتبرأ منه ، ثم أخذ يرد على المعتزلة ، تنسب إليه فرقة الأشاعرة و قد تبرأ من مذهبهم ، ويقال إنه رجع إلى مذهب السلف ، توفي سنة 330هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (15/85) ، شذرات الذهب (2/303،305) .

[5] انظر: مجموع الفتاوى (23/345) .

قد تكرر هذا عن العراقي ، ولكنه أراد أن يعظم حجم الكتاب ويظن العامة أنه قد جدد[1] حجة من السنة أو الكتاب ، أو كلام ذوى الألباب ، وهو لم يزل ولا يزال يتردد في ظلماته ، ويكرر ريبه وشبهاته . والجواب قد تقدم ، [و] [2] فيما ساقه هنا رد لباطله وحجة عليه من جهة أن الشيخ حكى في تكفير الخوارج وغيرهم[3] قولين[4] ، وعن الشافعي كذلك ، وعن أحمد أيضا روايتين ، وأبي الحسن الأشعري وأصحابه قولين[5]. وحيث كان الحال هكذا في الخوارج قد[6] اختلف الناس في تكفيرهم . والغلاة في علي لم يختلف أحد في تكفيرهم ، وكذلك من سجد لغير الله أو ذبح لغير الله أو دعا مع الله رغبا أو رهبا ، كل هؤلاء اتفق الخلف والسلف على كفرهم ، كما[7] ذكره أهل المذاهب الأربعة ، ولا يمكن أحد[8] أن ينقل عنهم قولا ثانيا.

وبهذا نعلم[9] أن النزاع وكلام الشيخ ابن تيمية وأمثاله في غير [القبور][10] والمشركين ، فرضه[11] وموضوعه في أهل البدع المخالفين للسنة والجماعة ، وهذا يُعرف من كلام الشيخ ، ولكن العراقي من جملة البقر والثيران ، وإن كان ضخم العمامة واسع الأردان ، قد تقدم قول الشيخ : " من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعا" ، فحكى الإجماع على كفر هذا الصنف ، وحكى الخلاف في تكفير الخوارج ونحوهم ، فاعرف الفرق ، ولولا عموم الجهل وبعد العهد بآثار النبوة لما أطلنا الكلام في مثل هذه المباحث، لأنها مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام .

قال ابن جرجيس: النقل الثامن والعشرون :

---

1 في (خ) : جرد .
2 ساقطة من (خ) .
3 في المطبوع : ونحوهم .
4 هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : (عن مالك قولين) ، وهو الصواب .
5 في المطبوع : وأبو الحسن الأشعري وأصحابه لهم قولان .
6 في المطبوع : فقد . وسياق العبارة غير واضح ، ولعلها(فالخوارج قد اختلف الناس في تكفيرهم)
7 في المطبوع : لما .
8 في المطبوع : لأحد، وهو الأصوب.
9 في (خ) والمطبوع : تعلم .
10 ? هكذا في كلا المخطوطتين . والعبارة فيها سقط . وفي المطبوع : (عباد القبور) .وهو الصواب.
11 في المطبوع : (وإنما فرضه) . ولعله الأصوب .

قال الشيخ ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم " ما نصه : " فكما أن إثبات المخلوقات أسبابا لا يقدح في توحيد الربوبية ، ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء ، فلا يجوز[1] أن يدعى المخلوق لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة : من شرك أو غيره أسبابا لا يقدح في توحيد الإلهية[2] ، فإن أحسن أحواله أن يكون مجتهدا في هذه المسألة أو مقلدا "[3].

والجواب أن يقال :

قد تقدم لهذا العراقي ويأتيك عنه في غير موضع أنه استدل بإجابة الدعاء عند القبور و[إثابة][4] من سأل أهل القبور على استحباب ذلك، وأنه دين يحبه الله ويرضاه، وحكى هنا عن الشيخ أن ذلك لا يقدح في توحيد الربوبية، ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء. فلا يجوز أن يدعى المخلوق لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة فهذا يهدم قوله، ويدفع في صدره، ولكن[5] لا شعور له بما في كلام الشيخ من الحق والهدى .

وكذلك [قوله][6] : " [إثبات][7] بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لا يقدح في توحيد الإلهية "، والعراقي يجعل السبب دليلا على جواز دعاء غير الله، والشرك في الإلهية ، فاعجب لهذه الحكاية والقضية .

---

[1] في الاقتضاء (ولا يوجب أن يدعى المخلوق) ، وكذلك في صلح الإخوان . ولعله الأصوب .

[2] اقتضاء الصراط المستقيم (2/226) .

[3] 3 اقتضاء الصراط المستقيم (2/246) . وتتمة العبارة (فيعفو الله عنه) وقد ذكرها العراقي في صلح الإخوان كاملة ، وبإضافتها تتبين الشبهة عند العراقي .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع : (إجابة) ، وهو الصواب .

[5] في المطبوع : لكنه .

[6] ساقطة من (خ) ، وفي المطبوع : (بما في قوله) .

[7] ساقطة من (خ) .

وأكثر ما يدعو هؤلاء المشركين إلى دعاء القبور والصالحين ما يحكونه من أن فلانا دعا فاستجيب له، وفلانا استغاث فأغيث ، وفلانا رُد عليه بصره، وعند السدنة وعباد[1] القبور من هذا شيء كثير قد أورد منه العراقي شيئا كثيرا جعله من قواعد مذهبه وأدلة شركه ، ومن العجب العجاب أن الهوى يعمي الرجل حتى لا يفهم ما ينقل ، وما[2] يخرج من بين شفتيه.

وأما قوله : إن الشيخ قال : " فإن أحسن أحواله أن يكون مجتهدا في هذه المسألة ، أو مقلدا " . فهذه الجملة ليست متصلة ولا مرتبطة بما ساق العراقي ، ولا مناسبة بينها وبينه ، والشيخ قد ساقها في موضع آخر ، وبحث آخر[3]، ولكن ابن جرجيس كذاب جاهل ، وقد مر لك جنس تحريفه ، قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا[4] كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(الجمعة:5).

---

[1] في (خ) : وعبادة .
[2] في المطبوع : ولا ما يخرج .
[3] الاقتضاء (2/246) .
[4] في (خ) : وقف إلى هنا .

فصـــــل

قال ابن جرجيس : النقل الثلاثون : قال الشيخ[1] في هذا الكتاب[2] في موضع آخر : " وإن[3] اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة ، وعدل [معه][4] مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافر كفرا مجازيا أو كفر أصغر، وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده ، واستفراغ وسعه في معرفة الحق ، فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده ، وخطؤه مغفور له "[5]. انتهى.

والجواب أن يقال :

كلام الشيخ في الحكم بين الناس والقضاء [فيما] [6] بينهم من الخصومات ، لا فيما يعم أصول الدين ، ودعاء الأموات ، وسياق كلام الشيخ صريح في هذا ، فإن هذه المسألة معروفة مشهورة ، كما قال ابن عباس : " كفر دون كفر، وظلم دون ظلم "[7] ،

---

[1] يعني به : ابن أبي العز الحنفي ، وهو : علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي المعروف بابن أبي العز ،قاضي القضاة بدمشق ،ثم بالديار المصرية ، امتحن بسبب اعتراضه على قصيدة ابن أيبك الدمشقي لما فيها من الشرك ، له عدة مصنفات أشهرها (شرح العقيدة الطحاوية) ، توفي سنة (792 هـ) . انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (3/7 8)،الأعلام للزركلي(4/313) .

[2] أي : " شرح العقيدة الطحاوية " ، وهو الذي نقل منه العراقي " النقل التاسع والعشرين " ، ولم يذكره الشيخ ، وهو تكرار لما سبق من الشبه .

[3] 3 في المطبوع : إذا .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع : (عنه) ، وهو الصحيح .

[5] 5 انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز (2/84-85).

[6] ساقطة من (خ) .

[7] هذا الأثر مروي عن ابن عباس ، وعطاء ، وطاووس . رواه الترمذي (5/21) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (2/522) ، والحاكم في المستدرك (2/342) . وبوب عليه البخاري في كتاب الإيمان (باب كفر دون كفر) . ورواه الطبري في تفسيره (6/256) .

عند الكلام على قوله[8]: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ)(المائدة:44) .

وقوله : "وإن جهل حكم الله فيها" – إلى آخر العبارة : دليل على أن الكلام في المسائل الاجتهادية ، فأين هذا من دعاء الأموات ، والاستغاثة بغير الله ؟ مع أن الشيخ قد قرر على حديث القضاة ثلاثة : أن الجاهل الذي ليس له أهلية اجتهاد داخل في الوعيد ، كما نص[1] الحديث[2].

فالعراقي ملبوس عليه ، لا يفهم كلام الشيخ ، ومع ذلك فالهوى قد أعمى بصيرته ، وحال بينه وبين الفهم ، فسبحان من طبع على قلبه (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) (الروم:59) .

---

[8] في المطبوع : قوله تعالى .

[1] في المطبوع : هو نص .

[2] ? والحديث هو عن بن بريدة عن أبيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (القضاة ثلاثة : قاضيان في النار، وقاض في الجنة ، رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار ، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة) .
رواه الترمذي (1/344، 3/613) ، وأبو داود (1/52، 3/299) ، وابن ماجة (2/776) .

ثم قال العراقي : النقل الحادي والثلاثون :

– وساق كلام ابن القيم : " في أن الشخص الواحد يكون فيه ولاية لله وعداوة من وجهين مختلفين ، ويكون فيه إيمان ونفاق، وإيمان وكفر، ويكون أحدهما أقرب منه إلى الآخر ، فيكون من أهله، قال الله تعالى : (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ[1] أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ)(آل عمران:67) ، وقال[2]: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ[3] إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ)(يوسف:106) ، أثبت لهم الإيمان مع [مقارنة][4] الشرك، فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسله لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله، ولو كان معهم تصديق [رسله][5] وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا يخرجهم من الإيمان بالرسل ، فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر، وشركهم قسمان: خفي و جلي[6] ، فالخفي قد يغفر"[7].

والجواب أن يقال :

أي دليل في هذا على مسألة النزاع ؟ فإن مراد الشيخ كما يعلم من تقريره وأول عبارته أن النفاق الأصغر وبعض شعبه، قد يوجد في شخص مع وجود بعض شعب الإيمان، وكذلك الكفر

---

[1] في (خ) : وقف إلى هنا .
[2] في المطبوع : قال تعالى .
[3] في (خ) : وقف إلى هنا .
[4] هكذا في (م) ، والمطبوع . وفي (خ) : مقارفة . وهو الأصوب .
[5] هكذا في (م) . وفي (خ) ، والمطبوع : برسله . وهو الأصوب .
[6] في المطبوع : جلي وخفي .
[7] مدارج السالكين (1/281) .

العملي الذي لا يخرج عن الإسلام قد يوجد مع بعض شعب الإيمان، ويكون أحدهما أقرب إليه وأولى به، وقوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ)(يوسف:106) تفيد أن الشرك قد يوجد مع الإيمان بالربوبية ، كما فسرها به[1] بعض السلف، لكنه لا يكفي في النجاة ، بل لا بد من عبادة الله وحده لا شريك له. ولذلك قال الشيخ : فإن كان مع الشرك تكذيب للرسل لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله ، وإن[2] كان معهم تصديق للرسل، وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا يخرجهم من الإيمان. فهم مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر.

فهذا في الشرك الخفي، كما يدل عليه قوله: وأما الجلي فلا يغفر إلا بالتوبة وهذا كله لنا، مبطل لما ذهب إليه العراقي. ولكنه لا يفرق بين الشرك الأكبر والأصغر ، ولا يتعقل معاني ما يقول .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعانيها[3]

---

[1] في المطبوع : فسرها بعض السلف .

[2] في المطبوع : ولو .

[3] قائل هذا البيت : أبو عبد الله محمد بن بختيار ، المعروف بالأبله البغدادي في قصيدة منها قوله :

يـا من أنامله كـالمزن هاطلـة   وجود كفيه أجرى من مجاريها
سفينة الفقر في بحر الرجا وقـفت   فامنن علي بريح منك يجريهـا
بحق من خلق الإنسـان من علق   انظر إلي رقعتي وافهم معانيها
إني فقيـر مسيكيـن بـلا سبـب   سوى حروف من القرآن أتلوها
لا يعرف الشوق إلا مـن يكابـده   ولا الصبـابة إلا من يعانيهـا

انظر : وفيات الأعيان (4/464) ، الديباج المذهب لابن فرحون (1/91) .

قال العراقي: النقل الثاني والثلاثون : قال الشيخ ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم " : " وفيه - أي في حديث أبي ذر وقول النبي ﷺ : " إن فيك لخصلة جاهلية " - إن الرجل قد يكون مع علمه وفضله ودينه فيه بعض [هذه][1] الخصال المسماة بجاهلية، ويهودية، ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره، ولا فسقه"[2]. وزعم العراقي أن هذا يفيد أن الشيخين لو أطلقا لفظ الكفر والشرك على فعل واحد فمرادهما الكفر المجازي ، أو الأصغر، وهذا مع اعتراف الفاعل بالحق وعدوله عنه . وأما مع بذل الوسع والاجتهاد ، فهو عندهم مأجور، ولو كان مخطئا.

والجواب أن يقال : تبا لهذا العراقي ما أضله عن سواء الطريق ، وما أجهله بكلام أهل الفضل والتحقيق ، وما أكذبه على الله وعلى رسوله ، وعلى أهل العلم والتصديق . **أما قوله : وقول النبي ﷺ: " إن فيك لخصلة جاهلية "** ، فهذا كذب على رسول الله[3] ﷺ ، ما قال هذا[4]، وإنما قال : " إنك أمرؤ فيك

---

1 ساقطة من (خ) .
2 اقتضاء الصراط المستقيم (1/252) .
3 في (خ) ، والمطبوع : الرسول .
4 في المطبوع : فالرسول ما قال .

جاهلية "[1]، وهكذا من خرجه[2] من أهل الدواوين الإسلامية، وشيخ الإسلام لم يقل هذا[3]، بل أورده كما جاء من غير تحريف ولا تبديل، والعراقي ليس من أهل الصنعة، بل هو ضال غبي، لا عناية له بهذا الشأن. والله المستعان. وفرق بين النسبة إلى الجاهلية أو اليهودية[4] والنصرانية ، وبين إطلاق الكفر والشرك على الفاعل ، فإن شعب الجاهلية ونحوها ليست كلها مكفرات ، ولا يقال : إن تعيير الرجل بأمه كفر. ويقال: هو جاهلية. وكذلك أكل الرشاء[5] هو من اليهودية، ولا يلزم أن يكون فاعله كافرا، والكفر والشرك هما أكبر الذنوب على اختلاف أنواعهما، ولا كذلك التعيير بالأم ونحوه مما ينسب إلى الجاهلية مما دون الشرك و[6]الكفر.

وقوله : وأما مع بذل الوسع والاجتهاد أوالتقليد فهو عنده مأجور – فهذا القول مما يستبين به جهل العراقي ، وسوء فهمه ، فإن النبي ﷺ عاب هذا على أبي ذر ، ولم يقل أحد من أهل العلم ولا قاله عن نفسه : إنه مأجور ، ولا أدخل هذه المسألة في مسائل الاجتهاد ، وأي اجتهاد في التعيير بالأم ؟! وقد قال تعالى:(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)(الحجرات :13) وهذا الضرب[7] من الناس هم أعداء النصوص والعقول والفطر ، قد استهوتهم الشياطين ، و[أزعجرتهم][8] إلى تبديل دين الله

---

[1] 5 والحديث فيه قصة : عن المعرور قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال : إني ساببت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي ﷺ : " يا أبا ذر، أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم " . رواه البخاري [كتاب الإيمان/ باب: المعاصي من أمر الجاهلية] (1/20) ، ومسلم[كتاب الإيمان/ باب : إطعام المملوك مما يأكل] (3/1282،1283) .

[2] في المطبوع : رواه من خرجه .

[3] في (خ) زيادة : وإنما قال . ثم كلمة غير واضحة وكأنه مشطوب عليها .

[4] في المطبوع : واليهودية .

[5] ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم"، رواه أبو داود [كتاب الأقضية/ باب : كراهية الرشوة] (3/300) ، والترمذي [كتاب الأحكام / باب : ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم] (3/623) ، والإمام أحمد في المسند في عدة مواضع منها (2/164) . والرشوة : الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة ، وأصله من الرشاء، وهو الذي يتوصل به إلى الماء ، فالراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل ، والمرتشي الآخذ. انظر: النهاية في غريب الحديث (2/226) .

[6] في (خ) : أو .

[7] في المطبوع : ضرب .

[8] هكذا في كلا المخطوطتين . وهوتصحيف . وفي المطبوع : (وأزعجتهم) . وهو الأصوب .

والكذب على أوليائه ، ومعاداة حزبه . ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون .

قال العراقي: النقل الثالث والثلاثون:

قال الحافظ ابن رجب[1] في " شرح كلمة الإخلاص " : " والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا وسؤالا ودعاء ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله . فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأشياء التي هي من خصائص الإلهية ، كان ذلك قدحا في إخلاصه ، وقدحا في توحيده[2] ، وهذا كله من فروع الشرك ؛ ولهذا ورد إطلاق الشرك والكفر[3] على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله[4]، أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه ، أو العمل لأجله ؛ كما ورد إطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ؛ [ولهذا][5] أطلق الشارع على أكثر الذنوب التي منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك ، كقتال المسلم ، ومن أتى حائضا، أو امرأة في

---

[1] هو : الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي ، البغدادي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، ولد في بغداد ، واشتغل بطلب الحديث ، له مصنفات منها : " شرح الترمذي ، وشرح علل الترمذي ، وشرح قطعة من البخاري ، ، وطبقات الحنابلة " توفي في دمشق سنة (795هـ) . السحب الوابلة (2/474) ، الدرر الكامنة (2/321) ، شذرات الذهب (6/339) .

[2] في (خ) : كان قدحا في توحيده .

[3] في المطبوع : الكفر والشرك .

[4] في المطبوع : من غير طاعة الله .

[5] في (خ) : وهذا .

دبرها ، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة ، وإن كان ذلك لا يخرج عن[1] الملة بالكلية ؛ ولهذا قال السلف : " كفر دون كفر، وشرك دون شرك " انتهى[2].

قال العراقي : والمقصود من هذا النقل قوله : " إن هذه الأشياء من خصائص الألوهية ، وأنه نقص في توحيده " ، وهذا كله من فروع الشرك، ويطلق عليه الكفر، ومع ذلك قال آخر العبارة : " وإن كان ذلك لا يخرج عن الملة بالكلية ، وإنه ليس بكفر وشرك مخرجين عنها، بل دون ذلك " ، وهذا على مذهبه اتباعا للشيخين و[أنهما][3] تلميذهما.

فالجواب[4] أن يقال :

هذا النقل ليس فيه ما يتمسك به المبطل ، فإن كلامه صريح في أن الإله هو الذي يقصد بهذه الأمور، مع أن النقل اعتراه ما اعترى أمثاله من التحريف، وإسقاط بعض الكلام المتصل ، وترك ما فيه ما[5] يرد على هذا العراقي ، ويبطل دعواه .

من ذلك : أنه حذف بعد قول المصنف : " كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله " – فأسقط قوله : " في قول لا إله إلا الله " ؛ لأن كلامه صريح في أن ما تقدم من العبادات صرفه لغير الله قدح في إسلام الفاعل وقول[6] لا إله إلا الله . وهذا قولنا بعينه ، فأسقطه حذرا من قيام الحجة .

---

[1] في المطبوع : من .
[2] شرح كلمة الإخلاص لابن رجب (23) .
[3] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو خطأ . وفي المطبوع : (وأنه) ، وهو الصواب .
[4] في المطبوع : والجواب .
[5] في المطبوع : مما .
[6] في المطبوع : وقوله .

وكذلك أسقط بعده[1] قول المصنف : " وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك " .
وكذلك أسقط قوله : " وكذلك ما يقدح في التوحيد ، وتفرد الله بالمنع[2] والضر،

كالطيـرة[3] والرقـى[4] المكـروهة ، وإتيـان الكهان[5] وتصديقهم بما يقولون،

---

[1] في المطبوع : بعد .
[2] في المطبوع : بالنفع .
[3] ? الطيرة : بكسر الطاء وفتح الياء ، وقد تسكن ، هي : التشاؤم بالشيء ، وهو مصدر تطير ، يقال: تطير طيرة ، وتخير خيرة ، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما . وأصله فيما يقال : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم ، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر. انظر: النهاية لابن الأثير(3/152) ، كشاف اصطلاحات الفنون (3/142) ، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (14/470) ، التمهيد لابن عبد البر (9/282) .
وقال القرافي : " التطير : هو الظن السيئ الكائن في القلب ، والطيرة : هو الفعل المرتب على هذا الظن من فرار وغيره " . الفروق (4/238) .
وقد تضافرت الأحاديث على تحريم الطيرة ، وبيان أنها من الشرك ، ومن ذلك مارواه عبدالله بن مسعود: " الطيرة شرك ، الطيرة شرك –ثلاثا- وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل " ، رواه أبو داود رقم (3910) ، والترمذي برقم (1614) ، وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ، وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (2/121) .
[4] 1 الرقية : العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة ؛ كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات . انظر: النهاية لابن الأثير (2/254) .
والأصل في الرقية الجواز ما لم تكن شركا ، قال –صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه مسلم : " اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك " [كتاب السلام/ باب: لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك] (4/1727) ، وفرق العلماء بين فعل الرقية ، وطلبها ، وقد فصل السعدي –رحمه الله- الحكم في الرقى حيث قال : " أما الرقى ففيها تفصيل :
- فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة في حق الراقي ؛ لأنها من باب الإحسان ، ولما فيها من النفع ، وهي جائزة في حق المرقي إلا أنه لا ينبغي له أن يبتدئ بطلبها ، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحدا من الخلق لا رقية ولا غيرها .
- وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ، ويطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الأكبر ؛ لأنه دعاء واستغاثة بغير الله .
فافهم هذا التفصيل وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها " القول السديد (ص42) ، وانظر في تفصيل هذه المسألة كتاب " أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين " لسليمان بن محمد الدبيخي (1/140-171) .
[5] ? الكاهن : الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار. انظر: النهاية لابن الأثير(4/214) .

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد " .
كل هذا أسقطه العراقي .

وكذلك قوله : " وقد أطلق الشارع على أكثر الذنوب ". فهذا تحريف. والعبارة : " على كثير من الذنوب " .

وأسقط : " وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع ، قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)(الجاثية:23) " .

وأسقط ما ساق الشيخ من الأحاديث وكلام السلف ، وأسقط قول الشيخ: "فدل على أن كل من أحب شيئا أو أطاعه ، وكان من غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله، وعادى لأجله فهو عبده ، وذلك الشيء معبوده وإلهه ، ويدل عليه أيضا أن الله سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان ، كما قال تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ[1] أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)(يس60) ، وقال حاكيا عن خليله إبراهيم -عليه السلام- أنه قال لأبيه : (يَا أَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ[2] إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً) (مريم:44) - إلى غير ذلك مما في الرسالة من الفوائد الرادة عليه ، المبطلة لإفكه وضلاله ، ولم أر من بلغ هذه الغاية في الكذب والتحريف وتغيير العبارات بحذف بعضها ونقل بعضها ، وتبديل كلام أهل العلم ، اللهم إلا ما حكى الله عن اليهود ، وما جاءت به السنة من أوصافهم، فهم سلف العراقي وأئمته الأولون .

ثم عبارة الشيخ ابن رجب تشهد لكلام شيخنا -رحمه الله- ، فإن قوله : "وإن كان ذلك لا يخرج عن الملة بالكلية " - ليس راجعا إلى كل ما ذكر، بل هو راجع إلى قوله : " ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه- : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " ثم إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة =على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء" [كتاب التفسير/ باب : حتى إذا فزع عن قلوبهم] (4/1804) .

[1] ? في (خ) وقف إلى هنا .

[2] ? في (خ) وقف إلى هنا .

النفس أنها كفر وشرك ، كقتال المسلم ومن أتى حائضا " - إلى آخر عبارته ، وهذا بين بحمد الله .

وليس المقصود أن دعاء الموتى ، ومحبتهم مع الله، وخوفهم ورجاءهم ، ونحو ذلك يكون شركا دون شرك ، هذا لا يفهمه كلامه ، ولا يدل عليه بوجه فإن ابن رجب أعلم بالله ودينه من أن يتكلم بهذه الفضيحة التي لا يقولها مسلم.

ورأيت على النسخة التي رفعت إلي عن هذا العراقي على قول ابن رجب: "والإله هو الذي يطاع فلا يعصى "– إلى آخره ، ما نصه : " لا يلزم أن هذه الأشياء إذا استعملت في غير الله أن يكون غيره إلها ، كما تتوهمه الخوارج المكفرون للأمة المحمدية ، وهذا إذا كانت موجودة في غير من[1] أمر الشرع باستعمال هذه الأشياء معه ، فإن رسول الله[2] قد أمر الله[3] بطاعته ، كقوله: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)(النساء:59) ، وكذلك التعظيم والإجلال في قوله: (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ)(الفتح: 9) ، وكذا غير ذلك ، كما في الكتاب والسنة مما بينته في غير هذا الكتاب ، فلا يهولنك ما في حنك العبارة ، فإنه اصطلاح لابن تيمية وذويه " انتهى .

فالظاهر أن هذا من كلام العراقي ؛ لأن ألفاظه ركيكة ، وتركيبه تركيب جاهل[4]، وهكذا كلام العراقي ليس له لسان طالب علم ، حتى في التعبير.

وجواب هذا أن يقال :

التعريف للإله من حيث هو، و[كذلك][5] أشرك من اتخذ مع الله آلهة أخرى ، وسمى الشارع معبوده[6] إلها. قال الله تعالى : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ)(يس:74) وقال: (أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ)(الصافات:86) ، ونحو ذلك كثير في القرآن .

وقال في القاموس : " أله يأله إلهة وألوهية : عبد يعبد عبادة وعبودية "[7]، وكل من عبد شيئا فقد اتخذه إلها ، فإن كان قصد غير الله بالطاعة والهيبة والإجلال والمحبة والخوف والرجاء والتوكل والسؤال والدعاء لا يصيره إلها، وإن[8] هذا وهم

---

1 في المطبوع : في غير أمر .
2 في المطبوع : الرسول .
3 في المطبوع : أمر بطاعته .
4 في المطبوع : وتركيبه مظلم ينادي بأنه تركيب جاهل .
5 هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : (ولذلك) وهو الأصوب .
6 في المطبوع : معبودهم .
7 القاموس المحيط للفيروز أبادي (ص1603).
8 في المطبوع : فإن .

للخوارج المكفرين لهذه الأمة ، فليهن قوم نوح وعاد وثمود، وقوم فرعون ومشركي أهل الكتاب والعرب هذا الحكم الذي نفى[1] عنهم اتخاذ إله مع الله ولو صدر منهم ما صدر من العبادات لغير الله .

الله أكبر! ما أضل[2] هذا العراقي وما أجهله ، فإن عوام المشركين من أهل الكتاب والأميين يعلمون أن من عبد شيئا فقد اتخذه إلها ، قال قوم نوح : (لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تذرن) (نوح:23) ، وقالت عاد : (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ)(الأعراف:70)، وقالت قريش: (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً)(ص:5)، فكل هؤلاء المشركين وأمثالهم يعلمون أن الإلهية [تدرون][3]مع هذه العبادات[4] حيث دارت ، وهذا الثور الكبير يقول : لا يلزم أن هذه الأشياء إذا استعملت في غير الله أن يكون هذا الغير إلاها[5] . فعلى عقله التباب والعفاء، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وأما قوله :(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (المائدة:92) ، فطاعة الرسول طاعة للمرسل ، فهي طاعة لله[6] من أجل الطاعات . قال [تعالى][7]: (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)(الحشر:7) ، وكذلك[8] أولو الأمر من العلماء والأمراء، إذا أمروا بالمعروف يطاعون تبعا لطاعة الله ورسوله.

وأما التعزير والتوقير فالمقصود منه : ما يليق بالمنصب الشريف النبوي، وليس المقصود ما يختص بمقام الربوبية ، ويدخل في تعريف العبودية[9] ، ولو قيل ذلك للزم جواز عبادته ﷺ ، قال تعالى[10]: (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً)(آل عمران:80) ، والأرباب هنا : هم المعبودون .

---

1 في المطبوع : نفى به العراقي .
2 في المطبوع :ماأغفل .
3 هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع : (تدور) وهو الصواب .
4 في (خ) : العبارات .
5 في (خ) : غيره إلاها .
6 في (خ) : الله .
7 ساقطة من (خ) .
8 في (خ) : وكذا .
9 ? في المطبوع : العبادة .
10 في المطبوع : والله تعالى يقول .

وقوله : " فإنه اصطلاح ابن تيمية[1] وذويه " - يطلعك على جهل العراقي وعدم معرفته بنصوص أهل العلم ، فإن هذا التعريف مجمع عليه لا ينازع فيه مسلم ، فضلا عن العالم[2] .

[1] في المطبوع : لابن تيمية.
[2] في المطبوع : عالم .

ثم قال العراقي: النقل الرابع والثلاثون:

قال ابن القيم في المدارج : " قلت أما المستحل فذنبه دائر بين الكفر والتأويل ، فإنه إن كان عالما بالتحريم فكافر، وإن لم يكن عالما فمتأول أو مقلد"[1].

والجواب : إن هذا قد تقدم . فذكره محض تكرير، وتقدم أن الكلام في الأحكام التي يحكم بها الحاكم[2] بين الناس، فالمستحل للحكم بغير ما أنزل الله كافر، إن كان عالما بالتحريم، وإلا فمتأول أومقلد ، وهذا القسم فيه تفصيل، كما تقدم فيما نقلناه عن ابن القيم نفسه[3] .

ثم قال العراقي : النقل الخامس والثلاثون في الكتاب المذكور:

" وكفر الجحود كفران : كفر مطلق، ومقيد خاص ، فالمطلق : أن يجحد جملة ما أنزل الله ، ورسالة الرسول . والخاص المقيد : أن يجحد[4] فرضا من فروض الإسلام ، أو محرما من محرماته ، أو صفة وصف الله بها نفسه ، أو خبرا أخبر الله به عمدا[5]، أو تقديما لقول من خالفه[6] عليه لغرض من الأغراض .

---

1 المدارج (1/323) .

2 في المطبوع : الحكام .

3 في المطبوع زيادة : رحمه الله .

4 في المطبوع سقطت عبارة : (جملة ما أنزل الله ورسالة الرسول والخاص المقيد أن يجحد) .

5 في المطبوع : يجحد ذلك عمدا .

6 في المطبوع : لقول متبوعه .

وإما[1] جحد ذلك جهلا أو تأويلا يعذر صاحبه فلا يكفر. كحديث الذي جحد قدرة الله عليه ، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فغفر[2] الله له[3] ورحمه بجهله[4] [إذا][5] كان الذي فعل مبلغ[6] علمه . ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادا أو[7] تكذيبا"[8].

والجواب أن يقال :

هذا من جنس ما قبله قد[9] تكرر الجواب عنه ، وتقدم أن الجاهل والمتأول لا يعذر إلا مع العجز ، ولذلك[10] قيده الشيخ ابن القيم بقوله : "تأويلا يعذر صاحبه"، فليس كل تأويل وكل جهل يعذر صاحبه ، وليس كل ذنب يجري التأويل فيه ويعذر الجاهل به . وقد تقـدم أن عامة الكفار والمشركين من عهد قوم نوح إلى وقتنا[11]جهلوا وتأولوا ، وأهل الحلول والاتحاد كابن عربي[12]

---

[1] في المطبوع : وإن كان .

[2] في المطبوع : فقد غفر .

[3] في المطبوع : له الله .

[4] في المطبوع : بأهله .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : إذ .

[6] في المطبوع : هو مبلغ .

[7] في المطبوع : وتكذيبا .

[8] مدارج السالكين (1/338) .

[9] في المطبوع : وقد .

[10] في (خ) : وكذلك .

[11] في المطبوع : وقتنا هذا .

[12] هو : محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي ، أبو عبد الله الطائي الأندلسي ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة وصنف فيها كتابه المسمى (بالفتوحات المكية) في نحو عشرين مجلدا ، فيه ما يعقل وما لا يعقل ، وله كتاب (فصوص الحكم) فيه أشياء كثيرة من الكفر صريح ، قال الذهبي –رحمه الله-: " ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص " فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو" وله مصنفات أخرى كثيرة جدا ، توفي سنة (638هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء(23/48) ، شذرات الذهب (3/190) ، نفح الطيب (2/638) .

والتلمساني[1] تأولوا[2]، وعباد القبور والمشركون الذين هم محل النزاع تأولوا وقالوا : لا يدخل على الملك العظيم[3] إلا بواسطة ، وقالوا : إذا تعلقت روح الزائر بروح المزور فاض عليها مما ينزل على روح المزور، كما ينعكس شعاع الشمس[4]، والنصارى تأولت فيما أتته من الإفك العظيم والشرك الوخيم ، فقاتل الله العراقي ما أعظم جهله ، وما أشد عداوته لتوحيد الله ودينه[5] وعباده المؤمنين .

وفي العبارة التي نقلها عن ابن القيم وتقسيمه الكفر إلى مطلق ، وخاص مقيد ما يرد على هذا العراقي في زعمه أن عباد القبور مسلمون ، كما قال[6] إخوانه من الضالين ، محتجين بأنهم يؤذنون ويصلون ويصومون ، ولم ينظروا إلى ما معهم من الكفر الخاص [و][7] المقيد[8]، والعراقي كعنز السوء يبحث عن حتفه بظلفه[9].

فكان كعنز السوء قامت بظلفها   إلى مدية[10] تحت التراب تثيرها[11]

---

[1] في المطبوع : وابن الفارض والتلمساني . وهو : أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي العابدي الكرمي ثم التلمساني ، أحد زنادقة الصوفية ، وله عدة مصنفات ، وقد نسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض ، توفي سنة (690هـ) . انظر: البداية والنهاية (13/326) ، شذرات الذهب (3/412) .

[2] ? في المطبوع : وغيرهم من الصوفية تأولوا .

[3] ? في (خ) والمطبوع : المعظم .

[4] ? في المطبوع : شعاع الشمس على المرايا والصور .

[5] ? في المطبوع : لتوحيد الله وعباده المؤمنين .

[6] في (خ) : قاله .

[7] ساقطة من (خ) .

[8] في المطبوع : الكفر الخاص ، والضلال البعيد .

[9] ? في المطبوع : تبحث عن حتفها بظلفها .

وهذا المثل : أصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فبحثت الشاة الأرض فظهر فيها مدية فذبحها بها فصار مثلا لكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره . انظر : لسان العرب (5/3127).

[10] المدية : هي السكين ، والشفرة . انظر: لسان العرب (7/4162) .

[11] هذا البيت للفرزدق . انظر : ديوان الفرزدق (ص198) .

قال العراقي: النقل السادس والثلاثون[1]:

قال ابن القيم في المدارج : " وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله – إلى أن قال : ومن أنواعه : سجود المريد للشيخ ، ومن أنواعه : النذر لغير الله ، ومن أنواعه : الخوف من غير الله ، والتوكل على غير الله ، والعمل لغير الله ، والخضوع والذل لغير الله ، وابتغاء الرزق من [عند][2] غيره ، ومن أنواعه : طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم بنفسه "[3].. فهذا صريح كلامه : أن الاستغاثة بالموتى وطلب الحوائج منهم ، والنذر لغير الله ، [والسجود لغيره][4]، والحلف بغيره، كل هذا من أنواع الشرك الأصغر عندهم ، لا الأكبر المخرج عن[5] الملة ، [و][6] هم شرطوا أنه إنما يكون محرما إذا لم يكن فاعله مجتهدا، ولا مقلدا، ولا مؤولا، ولا له شبهات يعذره الله فيها، ولا جاهلا، ولا له حسن قصد ، كما تقدم عن الشيخين في عدة نقول .

---

[1] في المطبوع : في النقل السادس والثلاثين .
[2] ساقطة من (خ) .
[3] مدارج السالكين (1/344).
[4] ساقطة من (خ) .
[5] في المطبوع : من .
[6] ساقطة من (خ) .

والجواب أن يقال :

من زعم أن هذا النوع الذي هو السجود للشيخ والنذر والتوكل والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره، وطلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم من الشرك الأصغر ، فهو من أجهل الناس بدين الله ، وأضلهم عن سبيله ، وكلام الشيخ لا يدل على هذا وليس فيه ما يتمسك به المبطل. فإنه لما عد الشرك الأصغر وفرغ من المقصود منه قال : "ومن[1] أنواع الشرك " ، وهذا رجوع إلى ما ذكر من الشرك الأكبر، ويدل عليه أول الكلام والسياق .

قال[2] رحمه الله : " وأما[3] الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو : أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشايخ أعظم ما[4] يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن منهم[5] جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر، قال الله[6] تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ[7] يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّه لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)(الزمر:3) ، فهذه حال من اتخذ من دونه وليا[8]، يزعم أنه يقربه[9] إلى الله[10]، وما أعز من تخلص من هذا ، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره .

والذي قام بقلوب هؤلاء[11] المشركين وسلفهم : أن آلهتهم تشفع عند الله لهم، وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك

---

[1] في المطبوع : من
[2] في المطبوع : وقال .
[3] في المطبوع : أما .
[4] في المطبوع : مما .
[5] في المطبوع : نحن وغيرنا منهم .
[6] في المطبوع : قال تعالى .
[7] في (خ) : وقف إلى هنا .
[8] في المطبوع : من دون الله أولياء .
[9] في المطبوع : أنهم يقربونه .
[10] 10 في المطبوع : إلى الله زلفى .
[11] في (خ) : (هؤلاء) مكررة .

عليهم في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له "[1] ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلا طويلا في تقرير هذا الشرك الأكبر.

ولكن تأمل قوله : " وما أعز من تخلص من هذا ، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره " - يتبين لك[2] بطلان الشبهة التي أدلى بها الملحد ، و[3] زعم أن كلام الشيخ في هذا الفصل – أعنى الفصل الأول- في الشرك الأكبر ، وذكر الآية التي في سورة " سبأ " : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[4] فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ)(سبأ:22) ، وتكلم عليها- ثم قال : " والقرآن مملوء من أمثالها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، ويظن[5] في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، كما قال عمر-رضي الله عنه-[6] : " إنما تنتقض[7] عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية "[8] ، وهذا لأنه إذا لم يعرف[9] الشرك وما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه وأقره ، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنقض بذلك عرى الإسلام ، ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة يرى ذلك عيانا ، والله المستعان "[10].

وهذا بعينه فعل عباد القبور، وهم المقصود بهذا الكلام ، بل شركهم انتهى إلى توحيد الربوبية والأفعال ، يعرف ذلك من عرف القوم وما هم عليه من الكفريات الشنيعة[11] .

وقال ابن القيم في كلامه على هدم اللات ، في كتاب " الهدي " : " وما كان يفعل عند هذه المشاهد[12]، من النذر لها

---

1 مدارج السالكين (1/340) .
2 في المطبوع : يتبين لك إن شاء الله .
3 في المطبوع : إذ زعم .
4 في (خ) : وقف إلى هنا .
5 في المطبوع : ويظنونه .
6 في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنه) .
7 في المطبوع : تنقض .
8 9 اشتهر هذا القول عن عمر-رضي الله عنه- ، ويستشهد به ابن تيمية ، وابن القيم كثيرا ، ولم أجد من خرجه – فيما اطلعت عليه من مراجع - .
9 في المطبوع : لأنه لم يعرف .
10 مدارج السالكين (1/340-344) .
11 في المطبوع : من الكفريات الشنيعة ، إذ يزعمون أن لأوليائهم الرفع، والخفض، والقبض، والبسط .
12 في المطبوع : و في الهدي : (وكان يفعل عندها ما يفعل عند هذه المشاهد) .

والتبرك بها، والتمسح بها، وتقبيلها، واستلامها، هذا كان شرك القوم بها ، ولم يكونوا يعتقدون أنها خلقت السموات والأرض ، بل كان شركهم بها كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه "[1].

فقف وتأمل هل يكون في[2] الشرك الأصغر؟!

" **فصل** : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله ، وقول: هذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده "[3].

ثم قال الشيخ - رحمه الله - بعد ما ذكر الشرك الأكبر والأصغر : " ومن أنـواع الشـرك : سجود المريد للشيخ ، ومن أنواعه : التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم ، ومن أنواعه : النذر لغير الله ، والتوكل على غير الله[4] ، والعمل لغير الله[5] ، والإنابة والخضوع ، والذل لغير الله[6] ، وابتغاء الرزق من عند غيره ، وإضافة نعمه إلى غيره ، ومن أنواعه : طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن استغاث به أو سأله أن يشفع له عند الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عند الله ، فإن الله[7] لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، والله تعالى لم يجعل سؤال غيره سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن .

والميت محتاج إلى [ما][8] يدعو له ، كما أوصانا النبي إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة[9]، فعكس المشركون هذا ، وزاروهم زيارة العبادة ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ،

---

1 انظر : زاد المعاد (3/601-602) .
2 في المطبوع : (هذا في) ، وهو الأصوب .
3 المدارج (1/344) .
4 في (خ) : غيره .
5 في (خ) : لغيره .
6 في (خ) : لغيره .
7 في المطبوع : الله تعالى .
8 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : من .
9 ? يشير إلى الأحاديث الواردة في السلام على أهل القبور والدعاء لهم ، ومنها الحديث الذي في صحيح مسلم : " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية " [كتاب الجنائز/ باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها] (2/671) .

وتغيير دينه ، ومعاداة أهل التوحيد ، ونسبتهم إلى نقص[1] الأموات ، وهم تنقصوا الخالق بالشرك ، وأوليائه الموحدين بذمهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أمروهم به، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل مكان وزمان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ولله در خليله إبراهيم حيث يقول : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ[2] * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ) (إبراهيم:35-36) ، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيد الله[3]، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله "[4]. انتهى كلامه .

فانظر إلى هذا التقرير الواضح البين الذي لا يحتمل التأويل ، وقوله : "ومن أنواعه[5] طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وأن هذا أصل شرك العالم " ، وقوله : " فعكس المشركون هذا ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد "، وقوله : " وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل مكان وزمان ، واستدلاله بقول الخليل: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ) ، وقوله : " وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله " .

فانظر وتأمل هذه النصوص الجلية[6] الواضحة في الشرك الأكبر الذي هو دين العراقي وأمثاله ، هل يمكن صرفها إلى الشرك الأصغر ؟

وهل يقبل ذلك عقل من له أدنى ممارسة في العلم[7] الديني النبوي ؟

وهذا العراقي رأى سلفا له قد شبه بها في زمن الشيخ فتبعه ، ولم يبال بما تقدم من التقرير والتوضيح لغلبة الهوى ، ومحبة ما هو عليه من عبادة الصالحين ، ودعوة الناس إلى ذلك ، قال تعالى : (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ)(البقرة:93) ، وبالجملة فمن وقف على كلام ابن القيم[8] في هذا الموضع تبين له الهدى ، وعرف سبيل من ضل وغوى .

---

1 ? في المطبوع : تنقص .
2 ? في (خ) : وقف إلى هنا .
3 ? في المطبوع : توحيده لله .
4 ? انظر : مدارج السالكين (1/ 344-346) .
5 في المطبوع : لم يثبت : (ومن أنواعه) .
6 في المطبوع : الجليلة .
7 في المطبوع : للعلم .
8 في المطبوع : الشيخ ابن القيم .

وأيضا فالعدول إلى الاسم الظاهر في المعطوف[1]، وهو قوله: " ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ " – يفيد أن هذا رجوع إلى الشرك من حيث هو، لا إلى الأصغر ، وكذلك سجود المريد للشيخ[2] لا يختلف في أنه من الشرك الأكبر، كما نص عليه فقهاء المذاهب في باب الردة[3]. وقد أجاب شيخنا - رحمه الله - عن هذه الشبهة بنحو ما ذكرنا ، والحق ظاهر بحمد الله لا تخفى أنواره ، ولكن أهل الزيغ يتبعون المتشابه من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم ، قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : " إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه فأولئك الذين سمى الله ، فاحذروهم "[4] . انتهى .

ثم قال العراقي : النقل السابع والثلاثون :

---

[1] في المطبوع : المعطوفات .

[2] في (خ) : كتبت عبارة (يفيد أن هذا رجوع إلى الشرك من) وهي مكررة لامعنى لها .

[3] انظر مثلا : المبسوط للسرخسي (24/130) ، التمهيد لابن عبد البر(6/383) ، حاشية ابن عابدين (1/445) ، (6/134) ، إعانة الطالبين للدمياطي (4/136) ، كشاف القناع للبهوتي (6/421) .

[4] رواه البخاري (4/1655) [كتاب التفسير/ باب : (منه آيات محكمات)] ، وأبو داود (4/198) [كتاب السنة / باب : مجانبة أهل الأهواء] .

قال ابن المقري الشافعي[1] في مختصر الروضة : " إن من كان من أهل الشهادة لا يكفر ببدعة على الإطلاق [و][2] ما استند إلى تأويل يلتبس الأمر على مثله ، وهو الذي رجحه شيخنا أبو العباس ابن تيمية".

والجواب : إن هذه العبارة يحتج بها على العراقي وأمثاله من القائلين إن عبادة الأولياء والصالحين شرك أصغر أو مستحبة ، كما زعمه هذا الضال ، وذلك من وجوه :

الأول : أن الكلام في البدعة ، والبدعة في عرف الشرع دون الشرك الأكبر والكفر، فكلامه في أهل البدع ، والعراقي تأوله[3] في أهل الشرك ؛ ولذلك[4] فرق الفقهاء بين المبتدع ومن يدعو غير الله، ويستغيث به، ويتوكل عليه، كما ذكر[5] ابن القيم وغيره من المصنفين في الكبائر، وكابن حجر[6].

الوجه الثاني: أن هذا مقيد [بما][7] كان من أهل الشهادة ، وهذا القيد يخرج عباد القبور؛ لأن المقصود بالشهادة : التوحيد[8]، كما في حديث وفد عبد القيس : " ألا وآمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان[9] ؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا من

---

[1] ? سبق التعريف به (ص453) .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وفي صلح الإخوان : ما استند . وهو الصواب .

[3] 3 في المطبوع : تأويله .

[4] 4 في (خ) : وكذلك .

[5] 5 في المطبوع : ذكره .

[6] هكذا في كلا المخطوطتين . و في المطبوع : كابن حجر الهيثمي .
ولعل المقصود بابن حجر هنا : الهيتمي لأنه ألف في الكبائر: وهو : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، أبو العباس ، مولده في محلة أبي الهيتم في مصر ، وإليها نسبته ، له عدة مصنفات ، منها (الزواجر عن اقتراف الكبائر) ، توفي سنة (974هـ). انظر : شذرات الذهب (4/370) ، الأعلام (1/234) .

[7] ? هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : بمن . وهو الصواب .

[8] ? في المطبوع : والتوحيد .

[9] ? في المطبوع : الإيمان بالله .

المغنم الخمس"[1] ، فأهل[2] الشهادة هم أهل الإيمان باتفاق المسلمين ، ومن عداهم ليس من أهل الشهادة وإن قالها[3] بلسانه كاليهود والمنافقين .

الثالث : إن قوله : " على الإطلاق " ، لا ينافي أنه يكفر ببعض البدع المقيدة.

الرابع : أن قوله : " وما استند إلى تأويل يلتبس الأمر على مثله " ، مخرج لعباد القبور وأهل الردة ، فإنه لا تأويل معهم يلتبس به الأمر؛ ولهذا لم يعذر أهل الفترة ونحوهم ، ممن اتخذ مع الله الها آخر.

وقد سئل شيخ الإسلام عن رجل قال : قال رسول الله[4] : " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة "[5] ، قال آخر: إذا سلك الطريق الحميدة ، واتبع الشرع دخل ضمن هذا الحديث ، وإذا فعل غير ذلك ولم يبال بما نقص دينه وزاد في دنياه لم يدخل

---

[1] رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع ، منها : [كتاب الإيمان / باب أداء الخمس من الإيمان] (1/29) ، ومسلم في صحيحه في عدة مواضع ، منها : [كتاب الإيمان / باب الأمربالإيمان بالله تعالى...] (1/46،47،49،50) ، ولفظ الحديث : " عن أبي جمرة قال : كنت أقعد مع ابن عباس ، يجلسني على سريره ، فقال : أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي ، فأقمت معه شهرين ، ثم قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي – - قال : من القوم ؟ أو من الوفد ؟ قالوا ربيعة ، قال : مرحبا بالقوم ، أو بالوفد ، غير خزايا ولا ندامى ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع ، أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس ...الحديث " .

[2] في المطبوع : وأهل .

[3] في المطبوع : قالها من قالها .

[4] في المطبوع : النبي .

[5] 6الحديث بهذا اللفظ رواه ابن حبان في صحيحه (1/364) [كتاب الإيمان/ باب فضل الإيمان] ، والحاكم في المستدرك (4/279) . وروى البخاري ومسلم حديثا بلفظ مقارب عن أبي ذر رضي =الله عنه قال : ثم أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليه ثوب أبيض ، وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال : " ما من عبد قال " لا إله إلا الله " ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ؟ قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق ، على رغم أنف أبي ذر ، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا ، قال : وإن رغم أنف أبي ذر" ، رواه البخاري [كتاب اللباس/ باب : الثياب البيض] (5/2193) ، ومسلم [كتاب الإيمان / باب : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار] .

ضمن هذا الحديث[1]. قال[2] له ناقل الحديث : أما[3] لو قلت كل ما [لا][4] يليق ، وقلت لا إله إلا لله دخلت الجنة ، ولم أدخل النار[5].

أجاب[6] شيخ الإسلام[7] بقوله : " الحمد لله رب العالمين ، من اعتقد أنه بمجرد تلفظ اللسان[8] بهذه الكلمة يدخل الجنة ولم[9] يدخل النار بحال ، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع المؤمنين ، فإنه قد تلفظ بها المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وهم كثير.

---

[1] في المطبوع : سقط من قوله (وإذا فعل غير ....هذا الحديث) .

[2] في المطبوع : فقال .

[3] في المطبوع ، والفتاوى : (أنا) وكلاهما محتمل .

[4] ? ساقطة من كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع ، ومن الفتاوى ، وهو الذي يقتضيه السياق .

[5] 5 روى الترمذي في سننه قريبا من هذا السؤال ، ونسبه إلى الزهري – رحمه الله - ، حيث قال: "روي عن الزهري أنه سئل عن قول النبي - صلى الله عليه وسلم - من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال : إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي ، قال أبو عيسى: ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم : أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة وإن عذبوا بالنار بذنوبهم، فإنهم لا يخلدون في النار ، وقد روي عن عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وعمران بن حصين، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأنـس بـن مالك، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " سيخرج قوم من النار من أهل التوحيد ويدخلون الجنة " ، هكذا روي عن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وغير واحد من التابعين " [كتاب الإيمان / باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله] (5/24) .

وقال ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " : " وقالت طائفة منهم الضحاك والزهري : كان هذا قبل الفرائض والحدود ، فمن هؤلاء من أشار إلى أنها نسخت ، ومنهم من قال: بل ضم إليها شروط زيدت عليها ، وزيادة الشروط هل هي نسخ أم لا فيه خلاف مشهور بين الأصوليين ، وفي هذا كله نظر ، فإن كثيرا من هذه الأحاديث متأخر بعد الفرائض والحدود ، وقال الثوري : نسختها الفرائض والحدود ، فيحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء ، ويحتمل أن يكون مراده : أن وجوب الفرائض والحدود تبين بها أن عقوبات الدنيا لا تسقط بمجرد الشهادتين ، فكذلك =عقوبات الآخرة ، ومثل هذا البيان وإزالة الإيهام كان السلف يسمونه نسخا وليس هو نسخا في الاصطلاح المشهور ، وقالت طائفة : هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأن يقولها بصدق وإخلاص ، وإخلاصها وصدقها يمنع الإصرار على معصية ، وجاء من مراسيل الحسن عن النبي -صلى الله عليه وسلم - : من قال " لا إله إلا الله " مخلصا دخل الجنة ، قيل : وما إخلاصها ؟ قال: أن تحجزك عما حرم الله . وروي ذلك مسندا من وجوه أخر كمال " (1/210) .

[6] في المطبوع : فأجاب .

[7] في المطبوع : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

[8] في المطبوع : الإنسان .

[9] في المطبوع : ولا .

بل المنافقون قد يصومون ويصلون ويتصدقون ، ولكن لا يقبل منهم ، قال[1] الله تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)(النساء:142) ، وقال تعالى : (قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ[2] إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (التوبة:53-54) ، وقال[3]: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ[4]) – إلى قوله: (فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا)(الحديد: 12-15) ، وفي الصحيحين عن النبي أنه قال : " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان " ، ولمسلم : " وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم "[5]، وفي الصحيحين عنه أنه قال : " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[6].

ولكن إذا قال : " لا إله إلا الله " خالصا صادقا من قلبه ، ومات على ذلك ، فإنه لا يخلد في النار، إذ لا يخلد في النار من في قلبه مثقال حبة خردل[7] من إيمان، كما صحت بذلك الأحاديث عن النبي [8] ، لكن من دخلها من فساق أهل القبلة ، من أهل السرقة، والزنا، وشرب الخمر، وشهادة الزور، وأكل

---

[1] في (م) : (قال) مكررة .
[2] في (خ) وقف إلى هنا .
[3] في المطبوع : وقال تعالى .
[4] ? في كلا المخطوطتين أثبت الآية (8) من سورة التحريم (يوم لا يخز الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) ، وأكمل الآية من سورة الحديد .
[5] ? رواه البخاري [كتاب الإيمان / باب علامة المنافق] (1/21) ، ومسلم [كتاب الإيمان / باب بيان خصال المنافق] (1/78،79) .
[6] رواه البخاري [كتاب الإيمان / باب علامة المنافق] (1/21) ، ومسلم [كتاب الإيمان / باب بيان خصال المنافق] (1/78،79) .
[7] في المطبوع : من خردل .
[8] يشير إلى الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: "يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمما قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحياء ، فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية ؟ " . رواه البخاري في صحيحه [كتب الإيمان/ باب : تفاضل أهل الإيمان في الأعمال] (1/16) ، ومسلم [كتب الإيمان/ باب : إثبات الشفاعة، وإخراج الموحدين من النار] (1/172) .

الربا، وأكل مال اليتيم، وغير هؤلاء ، فإنهم إذا عذبهم فيها[1] عذبهم على قدر ذنوبهم ، كما في الأحاديث الصحيحة: " منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخـذه إلى حقويه "[2] ، ويمكثون فيها ما شاء الله أن يمكثوا ، أخرجوا بعد ذلك كالحمم ، فيلقون في نـهر يقال له : الحياة[3] ، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل[4]، فيدخلون الجنة مكتوب على رقابهم : هؤلاء الجهنميون ، عتقاء الله من النار .

وتفصيل هذه الجملة طويل لا يحتمله هذا الموضع . والله أعلم "[5].

---

[1] 4 في المطبوع : عذبهم الله فيها .

[2] 5 رواه مسلم في صحيحه [كتاب الجنة ، وصفة نعيمها / باب : شدة حر نار جهنم] (4/ 2185) ، والحاكم في المستدرك (4/629) ، والإمام أحمد في المسند (3 /13، 78)، (5/10) ، وابن أبي عاصم في السنة : (2/397،398) [باب في ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر] . والحقو : هو موضع شد الإزار. انظر : النهاية (1/417) .

[3] في المطبوع : نهر الحياة .

[4] 1 الحِبة : -بالكسر- بزور البقول وحب الرياحين ، وقيل : هو نبت صغير ينبت في الحشيش .

وأما الحَبة –بالفتح- فهي الحنطة والشعير ونحوهما .

وحميل السيل : هو مايجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره .

فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة ، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها . انظر: النهاية (1/326،442) ، لسان العرب (1/293) .

[5] انظر : مجموع الفتاوي لابن تيمية (35 / 201-203) .

قال العراقي : النقل الثامن والثلاثون:

قال الشيخ تقي الدين في " الفرقان " : " وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا[1] يغلط ، ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى [إليه][2] بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ، ويكون مما نهى الله عنه ، فيجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات الله لأوليائه، وتكون من الشيطان لبسها عليه ، لينقص درجته[3] ولا يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله ، فإن الله تجاوز لهذه الأمة[4] ، فقال تعالى : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا[5] لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) (البقرة:286) ، وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، وعمرو بن العاص : " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر"[6]

---

[1] في (خ) ، والمطبوع : مالا .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، وهو تصحيف . وفي المطبوع : عليه .

[3] في المطبوع : من درجته .

[4] في المطبوع : الأمة عن الخطأ

[5] في (خ) : وقف إلى هنا .

[6] 6 رواه البخاري [كتاب الاعتصام بالسنة/ باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ] (6/ 2676) ، ومسلم [كتاب الأقضية / باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد ..] (3/1342) .

، فلم يؤثم المجتهد المخطئ بل جعل له أجرا على اجتهاده، وخطأه مغفور"[1].

ثم قال العراقي : النقل التاسع والثلاثون:

قال الشيخ تقي الدين في " اقتضاء الصراط المستقيم " : " ثم هذا التحريم والكراهة قد يعلمه الداعي وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه، بأن يكون مجتهدا أو مقلدا ، والمجتهد والمقلد[2] [اللذين لا يعذرانِ][3] في سائر الأعمال ، وغير المعذور قد يتجاوز عنه في ذلك الدعاء لكثرة حسناته، و[سبق][4] قصده أو لمحض رحمة الله به "[5] . انتهى.

ثم قال : النقل الأربعون :

قال الشيخ في هذا الكتاب أيضا : " فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله ، وأوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله ، فقد شرع من

---

[1] انظر : مجموع الفتاوي (11/201-203) .
[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع ، والاقتضاء (كالمجتهد والمقلد) ولعله الأصوب .
[3] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع ، والاقتضاء : (اللذين يعذران) .
[4] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (وحسن) . وفي الاقتضاء : (وصدق) .
[5] انظر : الاقتضاء (2/215) .

الدين ما لم يأذن به الله ، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ[1] شريكا لله، نعم قد يكون متأولا في هذا الشرع ، فيغفر له لأجل تأويله ، إذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطئ ، ويثاب على اجتهاده ، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك ، وإن كان الفاعل أو القائل[2] مأجورا أو معذورا – إلى أن قال -بعد كلام قليل- : ثم قد يكون كل منهما معفوا عنه لاجتهاده ومثابا على الاجتهاد ، فيتخلف عنه الذنب[3] لفوات شرطه ، أو لوجود[4] مانعه"[5].

والجواب عن هذا كله قد تقدم ، ولم يأت العراقي بمزيد حجة ، بل هو من جنس ما قبله : تحريف ظاهر ، ونقل لا حجة فيه.

فأما ما نقله عن " الفرقان " فحق ، لكن ليس من مسألة النزاع في شيء ، بل حاصله : أنه لا تشترط العصمة في الولي ، ولا العلم بكل ما يحتاجه ويرد عليه ، والفرق في جميع الجزئيات الواردة بين أمر الله ونهيه ، وأنه ربما ظن في بعض الخوارق أنها كرامة ، وهي تلبيس من الشيطان ، وأن هذا قد يغفر مع الخطأ والنسيان ، فأي دليل في هذا على أن الولي يدعو أهل القبور ويستغيث بهم، ويتوكل عليهم ، ويجعلهم وسائط بينه وبين الله في حاجاته وملماته ؟!

ولا يقاس الخطأ في أصل الدين وشهادة أن لا إله إلا الله بالخطأ في غيره ، فأي حجة في هذا ؟ ولا يلزم من المغفرة في هذا أن يغفر الشرك الأكبر، وقد قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)(النساء:48) الآية ، وهذا الأحمق من المحن على

---

[1] في المطبوع : اتخذه .
[2] في المطبوع : القائل أو الفاعل .
[3] في الاقتضاء : الذم .
[4] في المطبوع : ولوجود .
[5] انظر : الاقتضاء (2/84) .

كلام أهل العلم ، يضعه في غير موضعه ، فيزيل بهجته ويكدر صفوه .

وأما حديث أبي هريرة : " إذا اجتهد الحاكم – إلى آخره " فقد تقدم الجواب عنه.

وقوله في النقل التاسع[1] : ثم هذا التحريم والكراهة قد يعلمه الداعي ، وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه ، بأن يكون مجتهدا أو مقلدا ، فقد قيد هذا الكلام بأن المراد ما يعذر فيه ، وليس كل الذنوب[2] وكل الخطأ يعذر فيه ، قد تقدم تقرير هذا.

وقوله : والمعذور قد يتجاوز عنه ، فهو مما يدل على أن كلام الشيخ فيما دون الشرك الأكبر، فإن الشرك الأكبر لا يغفر بنص القرآن ، وإجماع الأمة ، فلا يحمل كلام أهل العلم على ما يخالف الكتاب والسنة .

وأما قوله في النقل الأربعين من نقوله[3]: فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله وأوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا لله – فهذا هو عين ما نقمه المسلمون على العراقي وأمثاله من الداعين[4] إلى دعاء الصالحين والاستغاثة بهم ، وجعلهم وسائط بينهم وبين الله ، فهؤلاء الضلال ممن شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، ومن أطاعهم في فعل الشرك الذي أجمعت الرسل والكتب السماوية على تحريمه ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله .

فكيف ينقل هذا من افترى على الله الكذب ، وكتب خمسين دليلا على جواز الاستغاثة بغير الله[5] بالأموات بزعمه ، وأنها مستحبة ؟

فقاتله الله ما أعمى بصيرته وما أغلظ جهله .

---

1 هكذا في كلا المخطوطتين ، و في المطبوع : التاسع والثلاثين .
2 في (خ) : عبارة (كل الذنوب) مكررة .
3 في المطبوع : قوله .
4 في المطبوع : من الدين الذي دعا به إلى دعاء الصالحين .
5 (بغير الله) : ساقطة من المطبوع .

وإن كان تمسكه بقول الشيخ : " نعم قد يكون متأولا في هذا الشرع فيغفر له لأجل تأويله إذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطئ "–

فهذا الكلام ليس فيه ما يتمسك به العراقي ، إلا أن[1] التأويل والاجتهاد فيما قد يخفى ، وأي خفاء فيما دلت عليه شهادة أن لا إله إلا الله من توحيد الله وترك الشرك به ؟!

ولذلك قال الشيخ : إذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعفى فيه[2] عن المخطئ ، يعني وأما ما لا يعفى معه عن المخطئ فيعاقب ولا يعذر، بل يذم وتجري عليه الأحكام الشرعية. وقد تقدم تقرير هذا مرارا ، والعراقي تشبع[3] بما لم يعط ، وتكثر[4] بما ليس له .

---

[1] في المطبوع : لأن .
[2] في المطبوع : معه .
[3] في المطبوع : يتشبع .
[4] في المطبوع : يتكثر .

قال العراقي : النقل الحادي والأربعون :

قال ابن القيم في " الداء والدواء " : " فصــل :
وأما الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشرك - يعني شرك من يجعل[1] مع الله إلها آخر[2]- وأخف أمرا فإنه يصدر ممن يعتقد أن لا إله إلا الله[3]، وأنه[4] لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله ، وأنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته ، بل يعمل لحظ نفسه تارة ، ولطلب الدنيا تارة ، ولطلب الرفعة تارة، والمنزلة والجاه عند الخلق تارة ، فلله من عمله وسعيه نصيب ، ولنفسه وحظه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب ، وللخلق نصيب ، وهذا حال أكثر الناس ، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان[5] في صحيحه[6] : " الشرك في هذه الأمة أخفى[7] من دبيب [النمل][8] قالوا : وكيف ننجوا

[1] في المطبوع : تجعل .
[2] 2 هذه العبارة من قول العراقي .
[3] (إلا الله) مكررة في (خ)
[4] في المطبوع : لم تثبت (أنه) .
[5] هو : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، أبو حاتم التميمي البستي ، عربي الأصل ، ولد في بست ، كان بحرا في العلوم ، له عدة تصانيف منها : (الجرح والتعديل ، الثقات ، معرفة المجروحين ، المسند الصحيح) ، قال الذهبي : " ثقة في نقله " توفي سنة 354 هـ ببست .
انظر : ميزان الاعتدال (6/98) ، لسان الميزان (5/119) ، المغني في الضعفاء (2/175) .
[6] 6 لم أجد الحديث في صحيح ابن حبان .
[7] في (خ) : من أخفى .
[8] ساقطة من كلا المخطوطتين .

منه يا رسول الله ؟ قال : قل : (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم) "[1] فالرياء كله شرك "[2]– إلى أن قال :

" فصــل : ويتبع هذا : الشرك[3] به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات ، فالشرك في الأفعال كالسجود لغير الله[4]، والطواف بغير بيته ، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره ، وتقبيل الأحجار ، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها ، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى لله فيها ، فكيف بمن اتخذ القبور أوثانا يعبدها من دون الله ؟ "[5] إلى آخر ما قال .انتهى.

فانظر إلى إقراره أن الشرك في المعاملة

---

1 رواه الإمام أحمد في المسند (4/403) ، وابن أبي شيبة في المصنف (10/337) [كتاب الدعاء/ باب : في التعوذ من الشرك ، ما يقوله الرجل حين يبرأ منه] ، والطبراني في المعجم الأوسط (4/10) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/226 - 227) : " ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان " . وله شاهد من حديث معقل بن يسار، قال : " انطلقت مع أبي بكر الصديق- رضي الله عنه - إلى النبي ﷺ ، فقال : يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل ، فقال أبو بكر : وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي ﷺ : " والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل ، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره ؟ قال : " قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم " ، رواه أبويعلى في المسند (1/62) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص250) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص 265-266) .

2 الجواب الكافي : (194) .

3 في المطبوع : (هذا الشرك : الشرك) .

4 في المطبوع : لغيره .

5 الجواب الكافي : (196) .

والعبادة يصدر ممن يعتقد أن لا إله إلا[1] الله ، وأنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع إلا الله ، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، وأنه يعمل لحظ نفسه وللخلق وللشيطان، ولطلب الدنيا ، ثم قال : " وهذا حال أكثر الخلق ، وهذا الشرك يغفر بالاستغفار، كما ذكر النبي ﷺ لأصحابه : أنهم ينجون بقولهم : (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم) "[2] - حتى قال - رحمه الله- : " ويتبع هذا الشرك – يعني شرك العبادة – والسجود[3] لغير الله والطواف بغير بيته ، وتقبيل الأحجار والقبور والسجود لها "[4].

فجعل كل هذه من جنس الشرك الأصغر الأول الذي أخبر أنه يصدر ممن يعتقد أن لا إله إلا الله ، وأنه حال أكثر الناس ، وأنه يغفر بالاستغفار وبالاجتهاد والتقليد والتأويل والجهل[5]، كما مر عنهما في مواضع متعددة .

والجواب أن يقال :

هذا النقل اعتراه تحريف وإلحاد ، وصرف للكلام عن مدلوله ، يتبين بسياق كلام الشيخ ابن القيم ، فإنه لما تكلم على الكبائر- رحمه الله- وتقسيم الذنوب إلى صغائر وكبـائر، وأن

---

1 في المطبوع : (ولا) وهو خطأ مطبعي .
2 الجواب الكافي (194) .
3 في المطبوع : السجود . وهو الأصوب .
4 الجواب الكافي (196) .
5 في المطبوع : والجهد .

الشرك أكبر الكبائر لمنافاته الحكمة المقصودة بإيجاد الخلق وتكلم على ذلك ، فقال رحمه الله : " ووقعت مسألة ، وهي أن المشرك إنما قصد تعظيم جناب الرب -تبارك[1] وتعالى- ، وأنه لعظمته لا ينبغي[2] الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك ، والمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الرب ، وإنما قصد تعظيمه، فلم كان هذا القدر موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى، ومخلدا في النار، وموجبا لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم ؟

ويترتب على هذا سؤال آخر، وهو[3] أنه : هل يجوز أن يشرع سبحانه[4] وتعالى [العباد][5] التقرب إليه بالشفعاء والوسائل فيكون[6] تحريم هذا إنما استفيد من الشرع ، أم ذلك قبيح في الفطر والعقول يمتنع أن تأتي به شريعة، بل جاءت الشريعة بتقرير ما في الفطر والعقول من قبحه الذي هو أقبح من كل قبيح ؟ وما السر[7] في كونه لا يغفر من بين الذنوب ؟ "[8].

فأجاب عن هذا كله بقوله : " فنقول وبالله التوفيق[9]، ومنه نستمد المعونة[10] والتسديد ، فإنه من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع .

الشرك[11] : شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله .

وشرك في عبادته ومعاملته- وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله- .

[والمشرك][12] نوعان[13] :

---

1 في المطبوع : سبحانه .
2 في المطبوع : لا ينبغي لمثلي .
3 في المطبوع : هو .
4 في المطبوع : يشرع الله .
5 في (خ) ، والمطبوع : لعباده . وهو الصحيح .
6 في المطبوع : ليكون .
7 في المطبوع : وأما الشرك .
8 الجواب الكافي (191-192) .
9 في المطبوع : التوفيق والتأييد.
10 في المطبوع : العون .
11 ? هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وفي (الجواب الكافي) : الشرك شركان . وهو الأصوب.
12 هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع ، والجواب الكافي : (والشرك) . وهو الصواب .
13 في المطبوع ، والجواب الكافي : (الأول نوعان) . وهو الأصوب .

أحدهما : شرك التعطيل[1]: وهو أقبح أنواع الشرك ، [كشر][2] فرعون ، إذ قال : (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)(الشعراء:23)، وقال : (يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً)(غافر:36-37) ، والشرك والتعطيل متلازمان : فكل مشرك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون المشرك مقرا بالحق [له][3] سبحانه وتعالى وصفاته ، ولكنه عطل [حق][4] التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل ، وهو ثلاثة أقسام :

تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه وتعالى عن كماله بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله ، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد .

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ، ولا هاهنا شيئان ، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه .

ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته ، وإنه[5] لم يكن معدوما أصلا ، بل لم يزل ولا يزال ، والحوادث عندهم[6] بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها[7] العقول والنفوس[8].

---

[1] سبق التعريف بشرك التعطيل .

[2] في (خ) ، والمطبوع : كشرك . وهو الصواب .

[3] ساقطة من (خ) ، والمطبوع .

[4] ساقطة من (خ) .

[5] 5 في (خ) والمطبوع : وإن .

[6] في المطبوع : لم تثبت (عندهم) ، وهو الأصوب .

[7] في المطبوع : فسموها .

[8] 8 يطلق الفلاسفة العقل على المعاني التالية :

- أنه جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها ، ليس مركبا من قوة قابلة للفساد .

- أن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني ، فالعقل قوة تجريد تنزع الصور من المادة ، وتدرك المعاني الكلية .=

والعقل الفعال فوق العقل الإنساني : وهو الذي تفيض عنه الصور على عالم الكون والفساد ، فتكون موجودة فيه من حيث هي فاعلة ، ومن تستر بالإسلام سمى به الملائكة ، حيث يقول الفلاسفة: الصادر الأول من البارئ تعالى هو العقل الكل ، وله ثلاثة اعتبارات : وجودة في نفسه ، ووجوبه بالغير ، وإمكانه لذاته ، فيصدرعنه ، أي : عن العقل الكل بكل اعتبار أمر، فباعتبار وجوده يصدر عنه عقل ثان ، وباعتبار وجوبه بالغير يصدر نفس ، وباعتبار إمكانه يصدر جسم ، وهو فلك الأفلاك، وإنما قلنا :إن صدورها عنه على هذا الوجه استنادا للإشراف إلى الجهة الأشرف ، والأخس إلى الأخس ، فإنه أحرى وأخلق ، وكذلك يصدر من العقل الثاني عقل ثالث ونفس ثانية وفلك ثان ، هكذا إلى

ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تبارك وتعالى، وأوصافه وأفعاله [ومن][1] غلاة الجهمية والقرامطة ، فلم يثبتوا له اسما ولا صفة ، بل جعلوا المخلوق أكمل منه، إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها.

فصل : النوع الثاني : شرك من جعل معه إلها آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربو بيته ، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، فجعلوا المسيح إلها وأمه إلها ، ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة ، ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه ، وأنها تحدث بدون مشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته[2]، ولهذا كانوا أشباه المجوس .

ومن هذا شرك الذي حاج إبراهيم في ربه: (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)(البقرة: 258) فهذا جعل نفسه ندا لله عز وجل يحيي ويميت بزعمه ، كما يحيي الله ويميت ، فألزمه إبراهيم أن طرد قولك : أن

العقل العاشر الذي هو في مرتبتة التاسع من الأفلاك ، أعني فلك القمر، ويسمى هذا العقل بالعقل الفعال ، ويسمى في لسان أهل الشرع بجبرائيل عليه السلام .

ويقولون : إن العقول - التي يسميها من يتظاهر بالإسلام منهم ملائكة - يقولون إنها معلولة متولدة عن الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته ، ويقولون إنها هي رب العالم ، فالعقل الأول أبدع كل ما سوى الله عندهم ، والثاني أبدع ما سوى الله وسوى العقل الأول ، حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر الفعال المتعلق بفلك القمر ، فيقولون : إنه أبدع ما تحت الفلك ، فهو عندهم المبدع لما تحت السماء من هواء وسحاب، وجبال، وحيوان، ونبات، ومعدن، ومنه يفيض الوحي والعلم على الأنبياء وغيرهم، والخطاب الذي سمعه موسى إنما كان عندهم في نفسه لا في الخارج، وهو فيض فاض عليه من هذا العقل الفعال . ويجعلون العقول بمنزلة الذكور ، والنفوس بمنزلة الإناث . وقد يفسرون عالم الملك بعالم الأجسام، وعالم الملكوت بعالم النفوس ؛ لأنها باطن للأجسام ، وعالم الجبروت بالعقول ؛ لأنها غير متصلة بالأجسام ، ولا متعلقة بها ، ومنهم من يعكس . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقد ذهب الفلاسفة أهل المنطق إلى جهالات قولهم أن الملائكة هي العقول العشرة ، وأنها قديمة أزلية ، وان العقل رب ما سواه ، وهذا شيء لم يقل مثله احد من اليهود والنصارى ومشركي العرب ، ولم يقل احد أن ملكا من الملائكة رب العالم كله ، ويقولون : إن العقل الفعال مبدع كل ما تحت فلك القمر ، وهذا أيضا كفر لم يصل إليه احد من كفار أهل الكتاب ومشركي العرب ، ويقولون : إن الرب لا يفعل بمشيئته وقدرته ، وليس عالما بالجزئيات ، ولا يقدر أن يغير ، بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته وعلمه ". الفتاوى (9/104) .

وانظر : الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية (1/8-9) ، بغية المرتاد (1/218) ، درء التعارض (1/35) ، كشاف اصطلاحات الفنون 3/305 .

[1] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : من . وهو الصواب .

[2] 2 في المطبوع : لم يثبت (وقدرته وإرادته) .

تقدر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها ، وليس هذا انتقالا[1] كما زعم بعض الحذاق[2]، بل إلزام على طرد الدليل إن كان حقا[3].

ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أربابا مدبرة لأمر هذا العالم ، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم .

ومن هذا شرك عباد الشمس[4] وعباد النار[5] وغيرهم.

---

[1] الانتقال في الاستدلال ، أسلوب من أساليب الجدل ، وهو : أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل، ومن مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول ، أو عند فهم وجه الدلالة ولكنه يقصد المغالطة ، فيأتي بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفرا دون الانقطاع أو التسليم. انظر : كشاف اصطلاحات الفنون (4/255) ، مناهج الجدل في القرآن الكريم لزاهر الألمعي (ص82) .

[2] الحذق و الحذاقة : المهارة في كل عمل . انظر : لسان العرب (2/811) .

[3] قال ابن الحنبلي في " استخراج الجدل من القرآن " (ص67-68) : " فالصادر من خصمه معارضة إلا أنها فاسدة ...ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم وأفلج للحجة " . وقال البغوي في تفسيره (1/316-317) : " فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى ، لاعجزا ، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول : =فأحيي من أمت إن كنت صادقا ، فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى ، (قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) أي : تحير ودهش وانقطعت حجته " ، وذكر قريبا من هذا القول بعض المفسرين ، مثل الزمخشري في الكشاف (1/388) .

والصحيح ما أقره المحققون ، وذكره جمهور المفسرين ، قال ابن كثير : "ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة : " فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " أي : إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت ؟ فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته ، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إلها كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب ؟ فلما علم عجزه وانقطاعه ، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي أخرس..... وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين : أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه ، ومنهم من قد يطلق عبارة ترديه ، وليس كما قالوه ، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ، ويبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني ولله الحمد والمنة " (1/469) ، وانظر تفسير الرازي (4/26-27) ، تفسير النسفي (1/130) .

[4] عبدة الشمس : زعموا أن الشمس ملك من الملائكة ، ولها نفس وعقل ، ومنها نور الكواكب وضياء العالم ، وتكوّن الموجودات السفلية ، وهي ملك الفلك ، فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء ، ومن سنتهم أن اتخذوا لها صنما ، فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون به .
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (3/722) ، الفهرست لابن النديم (488) .

[5] زعموا أن النار أعظم العناصر جرما ، وأوسعها حيزا وأعلاها مكانا وأشرفها جوهرا وأنورها ضياء وإشراقا وألطفها جسما وكيانا ، والاحتياج إليها من الاحتياج

ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الإله على الحقيقة ، ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ، ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة ، وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه والانقطاع إليه أقبل عليه واعتز به.

ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى المعبود الذي هو[1] فوقه، والفوقاني يقربه إلى ما[2]هو فوقه حتى تقربه تلك[3] الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل .

فصــل : وأما الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشرك ، وأخف أمرا فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله ، وأن لا يضر وينفع ويعطي ويمنع إلا الله عز وجل ، وأنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولكن لا يخلص لله في معاملته[4] وعبوديته ، بل يعمل لحظ نفسه ، ولطلب الدنيا تارة ، ولطلب الرفعة [تارة][5] والمنزلة تارة[6] والجاه عند الخلق تارة ، فلله تعالى من عمله وسعيه نصيب وللخلق نصيب[7]، وهذا حال أكثر الناس ، وهو الشرك الذي قال فيه النبي فيما رواه ابن حبان في صحيحه : " الشرك في الأمة[8] أخفى من دبيب النمل ، قالوا : كيف[9] ننجوا منه يا رسول الله ؟ قال : قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم " ، فالرياء كله شرك ، قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ[10] أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)(الكهف:110). أي : كما أنه إله واحد لا إله سواه ، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده ، فكما تفرد

إلى سائر الطبائع ، ولا كون في العالم إلا بها ، ولا حياة ولا نمو ولا انعقاد إلا بممازجتها ، فيقومون بحفر أخدود مربع في الأرض ويؤججوا النار فيه ، ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا شرابا لطيفا ولا ثوبا فاخرا ولا عطرا فائحا ولا جوهرا نقيا إلا طرحوه فيها تقربا إليها وتبركا بها ، وحرموا إلقاء النفوس فيها وإحراق الأبدان بها، وعلى هذا المذهب أكثر ملوك الهند وعظمائها ، يعظمون النار لجوهرها تعظيما بالغا ويقدمونها على الموجودات كلها ، ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين .
انظر: الملل والنحل (3/728) ، فصول في أديان الهند لمحمد الأعظمي (95) .

[1] في المطبوع : الذي فوقه .

[2] في المطبوع : من .

[3] في المطبوع : تقربه الآلهة .

[4] في المطبوع : لله معاملته .

[5] ساقطة من (خ) ، و المطبوع .

[6] في المطبوع : سقطت (تارة) .

[7] في المطبوع : سقطت (للخلق نصيب) .

[8] في المطبوع : هذه الأمة .

[9] في المطبوع : وكيف .

[10] في (خ) : وقف هنا .

بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية ، فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة ، وكان من دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : " اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا لوجهك[1]، ولا تجعل لأحد فيه شيئا "[2] .

وهذا [الشرط][3] في العبادة يبطل ثواب العمل ، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبا ، فإنه ينزله[4] منزلة من لم يعمله ، فيعاقب على ترك الأمر، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أمر بعبادته خالصة ، قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ)(البينة:5) ، فمن لم يخلص لله في عبادته[5] لم يفعل ما أمر به ، بل الذي[6] أتى به شيئا غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل منه ، ويقول سبحانه وتعالى : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملا أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك معي به ، وأنا بريئ منه[7] "[8] ، وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور و غير مغفور[9]، وأكبر وأصغر .

والنوع الأول ينقسم إلى كبير وأكبر، وليس شيء منه مغفور ، فمنه : الشرك بالله في المحبة والتعظيم : أن يحب مخلوقا كما يحب الله ، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله ، وهو الشرك في الدين، قال سبحانه وتعالى فيه : (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ[10])(البقرة:165-166) ، وقال أصحاب هذا الشرك لألهتهم[11]وقد جمعتهم الجحيم : (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(الشعراء:97-98) ، ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه وتعالى في الخلق والرزق ، والإماتة والإحياء

---

1 1 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع (لوجهك خالصا) .

2 رواه أبو الشيخ الأنصاري في(طبقات المحدثين بأصبهان) (4/261) .

3 ? هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (الشرك) وهو الصواب .

4 في المطبوع : ينزل .

5 في المطبوع : لله عبادته .

6 في المطبوع : بل يكون الذي .

7 في المطبوع : منه بريء.

8 رواه بهذا اللفظ ابن ماجة [كتاب الزهد/ باب: الرياء والسمعة] (2/1405) ، والطبراني في المعجم الكبير (19/140) ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة(3/371) ، ورواه مسلم في صحيحه ، بنحوه [كتاب الزهد والرقائق/ باب : من أشرك بعمله غير الله] (4/2289) .

9 في المطبوع : سقطت (وغير مغفور) .

10 في (خ) أكمل الآية : (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) .

11 في المطبوع : لألهتهم يوم القيامة .

، والملك والقدرة ، وإنما سووهم به في الحب والتأله لهم ، والخضوع والذلة ، وهذا غاية الظلم والجهل ، فكيف يسوى التراب برب الأرباب ؟ وكيف يسوى العبد بمالك الرقاب ؟ وكيف يسوى الفقير بالذات ، [الضعيف بالذات][1] العاجز بالذات ، المحتاج بالذات ، الذي ليس له من ذاته إلا العدم، بالغنى بالذات ، والقادر بالذات ، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته ؟ فأي ظلم أقبح من هذا ؟! وأي حكم أشد جورا منه ؟! حيث عدل من لا [عدله][2] بخلقه ، كما قال تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)(الأنعام:1) ، فعدل المشرك من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، فيا لك[3]من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه.

فصــل : ويتبع هذا الشرك : الشرك به سبحانه[4] في الأفعال والأقوال، والإرادات والنيات ، والشرك في الأفعال : كالسجود لغيره ، والطواف بغير بيته ، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره[5]، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض[6] أو تقبيل القبور واستلامها ، والسجود لها وقد

---

[1] ساقطة من (خ) . و في المطبوع : لم يثبت (بالذات) .

[2] في المطبوع : عدل له . وهو الصواب .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع (فيا له) . وهو الأصوب .

[4] في المطبوع : سبحانه وتعالى .

[5] في المطبوع : لقبره .

[6] ? روي عن النبي بإسناد لا يثبت : " الحجر يمين الله فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله عز وجل أن لا يعصه " ، رواه عبد الرزاق في المصنف (5/39) ، والديلمي في الفردوس (2/159) ، ورواه الحاكم في المستدرك (1/457) ، وابن خزيمة في صحيحه (4/221) بألفاظ أخرى ، قال ابن الجوزي : حديث لا يصح ، فيه إسحاق بن بشير كذبه ابن أبي شيبة وغيره ، وقال : الدارقطني هو في عداد من يضع ، وقال ابن العربي : هذا حديث باطل فلا يلتفت إليه .

انظر : العلل المتناهية لابن الجوزي (2/575) ، فيض القدير(3/409-410) .

والمشهور إنما هو عن ابن عباس قال : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه "، وفي لفظ : " هذا الركن يمين الله في الأرض يصافح به عباده مصافحة الرجل أخاه " رواه الفاكهي في أخبار مكة (1/89) ، وصححه ابن تيمية في شرح العمدة (2/435) ، وقال محقق كتاب " أخبار مكة " : إسناده حسن . يقول شيخ الإسلام : "ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه إلا على من لم يتدبره فإنه قال (يمين الله فى الارض) فقيده بقوله : (فى الأرض) ولم يطلق فيقول (يمين الله) ، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق ، ثم قال (فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه) ومعلوم أن المشبه غير المشبه به

لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى لله تعالى فيها، وكيف[1] بمن اتخذ القبور أوثانا[2] يعبدها من دون الله؟ [ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"][3] وفي الصحيح عنه ﷺ : " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد"[4] ، [وفي الصحيح أيضا عنه : " إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد][5] فإني أنهاكم عن ذلك "[6]، وفي مسند الإمام أحمد ، وصحيح ابن حبان عنه ﷺ : " لعن الله زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج"[7] ، وقال ﷺ : " اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[8] ، وقال ﷺ : " إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار[9] الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة "[10]، فهذا حال من سجد لله في المسجد على[11] قبر ، فكيف حال من سجد للقبر نفسه ؟ وقد قال ﷺ : " اللهم لا

، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلا " . مجموع الفتاوى (6/397).

[1] في المطبوع : فكيف .

[2] في المطبوع : اتخذ أوثانا .

[3] مابين القوسين ساقط من (خ).

[4] أخرج الشطر الأول منه البخاري في صحيحه [كتاب الفتن/ باب ظهور الفتن] (6/2591) ، وأخرجه بتمامه ابن خزيمة ، وصححه (2/6) برقم (789) ، والإمام أحمد في المسند (1/405،435) ، وابن حبان في صحيحه [كتاب الصلاة/ ذكر الزجر عن اتخاذ المرء القبور مساجد للصلاة فيها] (6/94) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان : إسناده حسن .

[5] هذا الجزء ساقط من كلا المخطوطتين ، والمثبت من (الجواب الكافي) ومن المطبوع ، وهو الصحيح .

[6] رواه مسلم في صحيحه [كتاب المساجد و مواضع الصلاة / باب : النهي عن بناء المساجد على القبور] (1/377-378) ، وأبو عوانة في المسند (1/401) ، وابن حبان في صحيحه [كتاب التاريخ/ ذكر اتخاذ الله جل وعلا صفيه ﷺ خليلا] (14/334) .

[7] الحديث بهذا اللفظ لم أجده ، ونصه عند أبن حبان : " لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذات عليها المساجد والسرج " ، وفي لفظ : " لعن الله زائرات القبور" ، [كتاب الجنائز/ فصل في زيارة القبور](7/452-453) ،وفي لفظ: "لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج " ، رواه الإمام أحمد (1/229،287،324،337) ، و أبو داود[كتاب الجنائز/ باب: في زيارة النساء القبور] (3/218) ، و الترمذي [كتاب أبواب الصلاة/ باب : ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجد] (2/136) ، وقال : حديث حسن . والحديث صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان .

[8] سبق تخريجه (ص439) ، ونص الحديث : " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " .

[9] في المطبوع : شر .

تجعل قبري وثنا يعبد " ، وقد حمى النبي ﷺ حمى[1] التوحيد أعظم حماية ، حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه وتعالى عند طلوع الشمس وعند غروبها ، لئلا يكون ذريعة[2] إلى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالين[3]، وسد الذريعة فمنع من الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيها[4] للشمس .

وأما السجود لغير الله [فقال][5] : " فلا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله"[6]، ولا ينبـغي فـي كـلام اللـه –عـز وجـل- ، ورسـوله[7]ﷺ للـذي هـو في غاية[8] الامتناع شرعا، كقوله: (وَمَا

---

[10] الحديث بهذا اللفظ لم أجده ، وروى البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها - أن أم حبيبة وأم سلمة- رضي الله عنهما - ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال : " إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " ، رواه البخاري في عدة مواضع منها [كتاب المساجد/ باب: ما يكره من الصلاة في القبور] (1/165) ، ومسلم [كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب: النهي عن بناء المساجد على القبور...] (1/375-376) .

[11] في المطبوع : المسجد المتخذ على قبر .

[1] في المطبوع : سقطت (حمى) .

[2] في المطبوع : ذلك ذريعة .

[3] في المطبوع : الحالتين .

[4] في المطبوع : فيهما . وهو الأصوب .

[5] ساقطة من (خ) . وفي المطبوع : فقال ﷺ .

[6] لم أجد الحديث بهذا اللفظ الذي ساقه ابن القيم - رحمه الله – ، ووجدته بألفاظ مختلفة أقربها ما رواه أبو هريرة : " أن رسول الله ﷺ دخل حائطا من حوائط الأنصار فإذا فيه جملان يضربان ويرعدان ، فاقترب رسول الله ﷺ منهما ، فوضعا جرانهما بالأرض ، فقال من معه : سجد له ، فقال رسول الله ﷺ : " ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ، ولو كان أحد ينبغي أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظم الله عليها من حقه " رواه ابن حبان [كتاب النكاح/ باب : معاشرة الزوجين] (9/470) ، والهيثمي في موارد الظمآن (4/225) ، والحديث صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان ، وأخرجه الحاكم (4/171-172) دون قصة الجملين ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وفي سنن ابن ماجة : عن عبد الله بن أبي أوفى قال : لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ، قال : ما هذا يا معاذ ؟ قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك ، فقال رسول الله ﷺ : " فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرا أحد أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه " ، وأخرجه البيهقي (7/291-292) ، والإمام أحمد في المسند (4/381) ، وقال الألباني (في صحيح سنن ابن ماجة) : حسن صحيح (2/121) .

[7] في المطبوع : وكلام رسوله .

[8] في المطبوع : هو غاية .

يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً) (مريم:92) ، وقوله تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ)(يس : 69) ، وقوله : (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ)(الشعراء :210-211) ، وقوله عن الملائكة : (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) (الفرقان:18) .

فصــل : ومن الشرك به سبحانه وتعالى : الشرك في اللفظ ، كالحلف بغيره ، كما روى الإمام[1] أحمد ، وأبو داود عنه ﷺ : " من حلف بغير الله فقد أشرك " . صححه الحاكم ، وابن حبان .

ومن ذلك قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل : "ما شاء الله وشئت . [فقال][2]: أجعلتني لله ندا ؟! قل : ما شاء الله وحده " ، هذا مع أن الله تعالى أثبت للعبد مشيئة ؛ لقوله تعالى : (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)(التكوير:28) .

فكيف بمن يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله تعالى[3] وحسبك ، وما لي إلا الله تعالى[4] وأنت ، وهذا من الله ومنك ، وهذا من بركات الله تعالى[5]وبركاتك ، والله لي في السماء وأنت في الأرض[6] ؟! أو يقول : والله وحياة فلان ! أو يقول : نذرا لله تعالى ولفلان ، وأنا تائب لله ولفلان ، وأرجو الله وفلان ، ونحو ذلك ! فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل : " ما شاء الله وشئت " ، ثم انظر أيها أفحش[7] ، يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة ، وأنه إذا كان قد جعله لله ندا بها ، فهذا قد جعل من لا يداني [رسول]ﷺ[8] في شيء من الأشياء - بل لعله أن يكون من أعدائه - ندا للرب[9] تعالى رب العالمين .

فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف

---

1 في المطبوع : لم يثبت (الإمام) .
2 ساقطة من كلا المخطوطتين .
3 في المطبوع : ساقطة (تعالى) .
4 في المطبوع : ساقطة (تعالى) .
5 في (خ) والمطبوع : ساقطة (تعالى) .
6 في المطبوع : لي في الأرض .
7 في (خ) : أيهما أفحش . وفي المطبوع : فحش .
8 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (الرسول) . وهو الصواب .
9 في (خ) : الرب .

بالبيت والدعاء ، كل ذلك محض حق لله[1] -عز وجل- الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وفـي مسند الإمـام أحمد - رضي الله عنه - : " أن رجلا أتى النبي وقد أذنب ذنبا ، فلما وقف بين يديه قال : " اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد " . فقال : عرف الحق لأهله "[2].

فصـل : وأما الشرك في الإرادات والنيات ، فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقل من ينجو منه ، فمن أراد بعمله غير وجه الله تعالى أو نوى شيئا غير التقرب إليه ، وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك في نيته وإرادته ، والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ، وإرادته ونيته ، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها ، وهي حقيقة الإسلام: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً[3] فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران:85) وهي ملة إبراهيم [4] التي من رغب عنها فهو من أسفه[5] السفهاء.

فصـل : فإذا عرفت هذه [المقدمة][6] انفتح لك باب الجواب عن السؤال المذكور، فنقول ومن الله[7] نستمد الصواب :

حقيقة الشرك : هو التشبه بالخالق -عـز وجل- ، والتشبيه به إلى المخلوق[8]، هذا[9] هو التشبيه في الحقيقة ، لا إثبات صفات الكمال التي[10] وصف الله تعالى بها نفسه ، ووصفه[11] بها رسوله ، فعكس من نكس الله قلبه ، وأعمى عين بصيرته فأركسه

---

[1] في المطبوع : الله .

[2] رواه الإمام أحمد في المسند (3/435) ، والطبراني في المعجم الكبير (1/286)، والحاكم في المستدرك ، وصححه (4/255) وتعقبه الذهبي ، وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (1/168) ، وقال الهيثمي في المجمع (10/202) : " فيه محمد بن مصعب وثقه أحمد ، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح " . قال محققوا المسند : إسناده ضعيف لانقطاعه(24/353) .

[3] في (خ) : وقف هنا .

[4] في المطبوع : سقطت (صلى الله عليه وسلم) .

[5] في المطبوع : فهو أسفه .

[6] في (خ) : الحقيقة .

[7] في المطبوع : الله تعالى .

[8] في المطبوع : هو تشبيه المخلوق بالخالق عز وجل . وفي(الجواب الكافي): هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به .

[9] في المطبوع : وهذا .

[10] في كلا المخطوطتين : الذي .

[11] في كلا المخطوطتين : ووصف .

[بكبسه][12] الأمر ، وجعل التوحيد تشبيها ، والتشبيه تعظيما وطاعة .

فالشرك تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية ، فإن من خصائص الإلهية[1] : التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعلق الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل به وحده ، فمن علـق ذلك بمخلـوق فقـد شبهـه بالخـالق تعالى ، وجعـل مـن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفـعا ولا موتا ولا حيـاة ولا نشـورا فضـلا عـن غيره شبيها[2] لمن الأمر كله [له][3] ، فأزمة الأمور كلها بيده ، ومرجعها إليه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد ، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه : تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ، ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه ، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل و[الاستعانة][4]، وغاية الذل مع غاية الحب ، كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة أن يكون له وحده[5]، ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره ، فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله ، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه وتعالى عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلهية : [المعبودية][6] التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما : غاية الحب مع غاية الذل ، هذا تمام العبودية ، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين ، فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبه[7] به

---

[12] هكذا في (م) و (خ) . وفي (الجواب الكافي) : بلبسه . وفي المطبوع : بنسبة.

[1] في كلا المخطوطتين زيادة عبارة (قال من خصائص الإلهية) . وهي مكررة لا معنى لها هنا .

[2] في (خ) ، و (الجواب الكافي) : تشبيها .

[3] لم تثبت في كلا المخطوطتين . والمثبت من المطبوع ، وفي (الجواب الكافي) : له الأمر كله.

[4] في (خ) : الاستغاثة .

[5] في المطبوع : لله وحده .

[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع و(الجواب الكافي) : (العبودية) وهو الصواب.

[7] في المطبوع : شبهه .

في خالص حقه ، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم و[احتالتهم][1] عنها، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت لهم [من الله الحسنى][2] ، فأرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم[3] وعقولهم ، فازدادوا بذلك نورا على نورهم يهدي الله لنوره من يشاء .

إذا عرفت هذا عرفت أن من خصائص الإلهية : السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به ، ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبه[4] به[5]، هذا في جانب التشبيه به.

[وأما في جانب التشبه به][6]: فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفا ورجاء و[النجاة][7] واستعانة. فقد [شبهه][8] بالله ونازعه ربوبيته وإلهيته ، وهو حقيق بأن يهنه[9] الله[10] غاية الهوان ، ويذله غاية الذل ويجعله تحت أقدام خلقه ، وفي الصحيحين[11] عنه قال: " يقول الله عز وجل : العظمة إزاري ، والكبرياء رداءي ، فمن نازعني واحدة منهما عذبته "[12] ، وإذا

---

1 هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (واجتالتهم) وهو الصواب .
ومعناها : أي : استخفتهم فجالوا معهم في الضلال . لسان العرب (2/730) .

2 في (خ) : منا الحسنى .

3 في المطبوع : فطرتهم .

4 في المطبوع : شبهه .

5 في المطبوع زيادة : (ومنها الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به) .

6 لم تثبت هذه العبارة في كلا المخطوطتين ، ولا في المطبوع ، والمثبت من (الجواب الكافي) وهو الذي يقتضيه المقام .

7 هكذا في كلا المخطوطتين .وهو تصحيف . وفي الجواب الكافي ، والمطبوع : (والتجاء) .

8 هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . و في المطبوع : شبه نفسه . وفي (الجواب الكافي) : (تشبه) . وهو الصواب .

9 في المطبوع : يهينه .

10 في المطبوع : الله عز وجل .

11 هذا الحديث لم يخرج في الصحيحين كليهما بل في مسلم منفردا . وفي (الجواب الكافي) : وفي الصحيح .

12 رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا : قال رسول الله : " العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته " [كتاب البر والصلة / باب : تحريم الكبر] (4/ 2023) ، والبيهقي في جامع شعب الإيمان (6/280) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص194) ، ورواه =أبوداود [كتاب اللباس/ باب :

كان المصور الذي يصنع الصورة بيده ، من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون[1] ، [و][2] يقال لهم : أحيوا ما خلقتم[3]. وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : " قال الله -عز وجل- : ومن أظلـم ممن ذهب يخلق كخلقي[4] ؟ فليخلقـوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة "[5] ، فنبه بالذرة [وأصغره][6] ، والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر.

والمقصود : أن هذا حال من تشبه به في خواص ربوبيته وإلهيته ، وكذلك من تشبه في الاسم[7] الذي لا ينبغي إلا له وحده ، كملك الأملاك ، وحاكم الحكام ونحوه ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " إن أخنع الأسمـاء عنـد الله[8] شـاهـان شـاه- ملك الملـوك – لا مالك[9] إلا الله تعالى "[10] ، وفي لفظ : " أغيظ رجل على الله تعالى : رجل يسمى[11] بملك الأملاك "[12]، فهذا مقت الله تعالى وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي

ماجاء في الكبر(4/59) ، وابن ماجة [كتاب الزهد/ باب: الحياء] (2/1398) ، بنحوه .

[1] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع ، والجواب الكافي : [لقول النبي ﷺ : " أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون] وهو : ساقط من كلا المخطوطتين .

[2] ساقطة من (خ) .

[3] ? رواه كاملا الإمام أحمد في المسند (2/26) ، والعجلوني في كشف الخفاء (1/145) ، وروى مسلم في صحيحه (3/1669،1670) الشطر الأول " أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون " [كتاب اللباس والزينة / باب : تحريم تصوير صورة الحيوان ...]حديث(98) ، والشطر الثاني حديث آخر : " ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم " برقم (96) ، وروى البخاري الشطر الأول منه فقط في عدة مواضع، منها : [كتاب البيوع / باب : التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء] (2/742) .

[4] في المطبوع : خلقا كخلقي .

[5] رواه البخاري [كتاب اللباس/ باب نقض الصور](13/528) ، ومسلم [كتاب اللباس والزينة / باب تحريم تصوير صورة الحيوان ...] (3/1664) .

[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (الصغيرة) .

[7] في المطبوع : (ولذلك يغضب الله على من يتشبه به في الاسم) ، وفي (الجواب الكافي): (والمقصود : أن هذا حال من تشبه به في صنعه صورة ، فكيف حال من تشبه به في خواص ربو بيته وإلهيته، وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده) . وهو الأصوب .

[8] في المطبوع : الله تعالى .

[9] في المطبوع : لا ملك .

[10] رواه البخاري[كتاب الأدب/ باب أبغض الأسماء إلى الله](5/2292) ، ومسلم [كتاب الآداب/ باب تحريم التسمي بملك الأملاك] (3/1688) . ونصه : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:" إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك"، زاد ابن أبي شيبة في روايته:" لا مالك إلا الله عز وجل " قال الأشعثي: قال سفيان مثل شاهان شاه . وأخنع : أوضع وأذل . النهاية (2/84) .

[11] في المطبوع : تسمى .

لا ينبغي إلا له ، وهو سبحانه وتعالى ملك الملوك وحده ، وهو حاكم الحكام وحده ، وهو الذي يحكم على الحكام كلهم ، ويقضي عليهم كلهم لا غيره .

فصـل : إذا تبين هذا فهنا أصل عظيم سر عظيم[1] يكشف سر المسألة ، وهو أن أعظم الذنوب عند الله إساءة[2] الظن به ، فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس ، فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته ؛ ولهذا توعد سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم ، كما قال تعالى: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ[3] وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)(الفتح:6) ، وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته : (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ)(فصلت:23) ، و[4] قال تعالى عن خليله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-[5] : (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكاً آلِهَةً[6] دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(الصافات : 85-87) أي : ضنكم[7] أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ، وما ظننتم[8] بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص ، حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره ! فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير، وأنه غني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم[9] بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك[10] فيه غيره ، والعالم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافيه من خلقه ، والكافي لهم وحده لا يحتاج إلى معين ، والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه[11] . وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم [الذي

---

[12] رواه مسلم [كتاب الآداب/ باب : تحريم التسمي بملك الأملاك] (3/1688) ، والإمام أحمد في المسند (2/ 315) ، ولفظ مسلم : " أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك ، لا ملك إلا لله ".

[1] في المطبوع : لم يثبت (سر عظيم).

[2] في المطبوع : هو إساءة .

[3] في (خ) : وقف هنا .

[4] في المطبوع : وقد .

[5] في المطبوع : .

[6] في (خ) : وقف هنا .

[7] في المطبوع : فما ظنكم .

[8] في المطبوع : وما ظنكم .

[9] في (خ) : القائم .

[10] في المطبوع : يشركه .

[11] في المطبوع زيادة عبارة : (ما اتخذتم من دونه أولياء تدعونهم وتتوسلون بهم إليه بزعمكم.)

تعينهم][1]على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة، لحاجتهم وعجزهم وضعفهم، وقصورهم[2] ، فأما القادر على كل8شئ ، الغني بذاته عن كل شئ، العالم بكل شئ، الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شئ، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده ، وظن به [ظن][3] السوء ، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ، ويمتنع في العقول والفطر، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح. يوضح هذا : أن العابد معظم لمعبوده متأله له خاضع ذليل له ، والرب تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتأله والخضوع والذل ، [وهذا من خالص حقه][4] ، فمن أقبح الظلم أن يعطى حقه لغيره ، ويشرك بينه وبينه فيه ، ولا سيما إذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه، كما قال تعالى : (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ[5] فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) (الروم:28) ، أي : إذا كان أحدكم يأنف بأن يكون مملوكه شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من [عبدي][6] شركاء فيما أنا منفرد به ، وهو الإلهية التي لا تنبغي [لغيره][7]، ولا تصلح [لسواه][8] ! فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظمني حق عظمتي ، ولا أفردني كما أنا منفرد به وحدي دون خلقي. فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره ، كما قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً[9] قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحج:67).فما قدره[10]– من هذا شأنه وعظمته - حق قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة ، بل هو أعجز شيء وأضعفه ، فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك[11] الضعيف الذليل . وكذلك ما قدره حق قدره من قال :

---

[1] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي (الجواب الكافي) : (ومن يعينهم) . وفي المطبوع : (ويعينهم) وهو الأصوب .

[2] في المطبوع : وقصور علمهم .

[3] في (خ) : كلمة غير واضحة .

[4] في (خ) : وهو من خالص حقه، وفي المطبوع : وهذا خالص حقه .

[5] في (خ) : وقف هنا .

[6] في (خ) ، والمطبوع : عبيدي . وهو الأصوب .

[7] في (خ) ، والمطبوع : لغيري .

[8] في (خ) ، والمطبوع : لسواي .

[9] في (خ) : وقف هنا .

[10] في المطبوع : قدر.

[11] في المطبوع : أشرك معه . وهو الأصوب .

إنه لم يرسل إلى خلقه رسولا ، ولا أنزل كتابا ، بل نسبه إلى ما لا يليق به ولا يحسن منه ، من إهمال خلقه[1] وتركهم سدى ، وخلقهم باطلا أوعبثا .

ولا قدره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فنفى سمعه وبصره وإرادته واختياره وعلوه فوق خلقه ، وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد ، أو نفي عموم قدرته وتعلقها بأفعال [عباده][2] من طاعتهم ومعاصيهم ، فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه ، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاءون ، بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى ، فيكون في ملكه [ما لا يشاء][3] ، ويشاء ما لا يكون ، تعالى الله عز وجل عن قول أشباه المجوس علوا كبيرا.

وكذلك ما قدره حق قدره من قال : إنه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تأثير له فيه البتة ، بل هو نفس فعل الرب جل جلاله ، فيعاقب عبده على فعله[4] ، وهو سبحانه وتعالى الذي جبر العبد عليه ، وجبره على الفعل أعظم من إكراه المخلوق المخلوق ، فإن كان[5] من المستقر في الفطر والعقول : أن السيد لو أكره عبده على فعل وألجأه إليه ، ثم عاقبه عليه لكان قبيحا، فأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير؟ ولا هو واقع بإرادته ، بل ولا هو فعله البتة ، ثم يعاقب[6] عليه عقوبة الأبد ؟! تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا ، وقول هؤلاء شر من أقوال [أشباه][7] المجوس . والطائفتان ما قدروا الله حق قدره.

وكذلك ما قدره[8] من لم يصنه عن بئر وحش[9] ، ولا مكان يرغب عن ذكره ، بل جعله في كل مكان ، وصانه عن عرشه أن يكون مستويا عليه ، يصعد إليه الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، وتعرج الملائكة والروح[10]، وتنزل من عنده ، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه ، فصانه عن استوائه على

---

[1] في كلا المخطوطتين : يوجد بياض بقدر كلمة .
[2] في (خ) : لم يثبت (عباده) .
[3] في (خ) : ما يشاء .
[4] في المطبوع : فعله هو .
[5] في المطبوع : سقطت (كان) .
[6] في المطبوع : يعاقبه .
[7] ساقطة من (خ) .
[8] في المطبوع : ما قدره حق قدره .
[9] في المطبوع : (ولاحش) . وأصل الحش : البستان ، ثم سمي به مكان النجاسات ؛ لأنهم كانوا كثيرا ما يتغوطون في البساتين . انظر : النهاية (1/390) .

سرير الملك ، ثم جعله في كل مكان يأنف الإنسان بأن غيره من الحيوان أن يكون فيه .

وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته، ولا من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة بفعله[1]، ولا من نفى حقيقة فعله ، ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به. أفعاله[2] [منقولات][3] منفصلة عنه ، فنفى حقيقة محبته ، وإتيانه ، واستوائه على عرشه، وتكليمه موسى من جانب الطور، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه ، إلى غير ذلك من أفعاله- سبحانه -[4] وأوصاف كماله التي قد نفوها، وزعموا أنهم بنفيها قدروه حق قدره.

وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا ، وجعله يحل في مخلوقاته ، أو جعله عين هذا الوجود .

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال : إنه رفع أعداء [رسله][5] وأهل بيته ، و[أعمل][6] ذكرهم ، وجعل فيهم الملك والخلافة و[العفو][7]، ووضع أولياء رسله[8] وأهانهم وأذلهم وضرب عليهم [الذلة][9] أينما ثقفوا ، وهذا يتضمن غاية القدح في الرب سبحانه وتعالى[10] عن قول الرافضة علوا كبيرا ، وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين : إنه أرسل ملكا ظالما ، فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله تعالى ، ومكث زمنا طويلا يكذب عليه [كل][11] وقت ويقول: قال كذا ، وأمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ، ويستبيح دماء أتباعهم وأموالهم وحريمهم ، ويقول : " الله تعالى أباح لي ذلك "، والرب تبارك وتعالى يظهره، ويؤيده، ويعليه، ويقويه، ويجيب دعواته، ويمكنه ممن يخالفه، ويقيم الأدلة على

---

[10] هكذا في كلا المخطوطتين . و في المطبوع ، و (الجواب الكافي) زيادة : (إليه) .

[1] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع ، و(الجواب الكافي) : المقصودة بفعله . وهو الأصوب.

[2] في المطبوع : أفعال . وفي (الجواب الكافي) : بل أفعاله .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع ، وفي(الجواب الكافي) : (مفعولات) .

[4] في المطبوع : لم يثبت (سبحانه).

[5] في (خ) : كلمة غير واضحة . وفي المطبوع : (رسوله) وهو الأصوب .

[6] في المطبوع : وأعلى . وهو الأصوب .

[7] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : العز .

[8] في المطبوع : رسوله .

[9] لم تثبت في كلا المخطوطتين ، والمثبت من (الجواب الكافي) ، و من المطبوع .

[10] في المطبوع : تبارك وتعالى.

[11] ساقطة من (خ) .

صدقه، ولا يعاديه أحد إلا ظفر به ، فيصدقه بقوله وفعله وتقريره ، ويحدث أدلة تصديقه شيئا بعد شيء ، ومعلوم أن هذا يتضمن أعظم القدح والطعن في الرب سبحانه[1] ، وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته - تعالى[2] عن قول الجاحدين علوا كبيرا-، فوازن بين قول هذا وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين :

رضيعي لبـان ثدي أم تقاسما   بأسحم داج[3] عوض[4] لا يتفرق[5]

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال : إنه يجوز أن يعذب أولياءه ومن لم يعصه طرفة عين ، ويدخلهم دار الجحيم ، وينعم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة عين ، ويدخلهم دار النعيم ، وإن كلا الأمرين بالنسبة إليه سواء ، وإنما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك ، [فمعناه][6] نظرا للخبر[7] ، لا لمخالفة[8] حكمته وعدله ، وقد أنكر سبحانه وتعالى في كتابه على من يجوز عليه ذلك غاية الإنكار، وجعل الحكم به من أسوأ الأحكام[9].

وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ، ولا يبعث من في القبور، ولا يجمع خلقه ليوم يجازي فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه ، ويكرم المتحملين[10] المشاق في هذه الدار من أجله وفي مرضاته بأفضل كرامة[11] ، ويبين لخلقه الذي يختلفون[12] فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

---

[1] في المطبوع : زيادة (وتعالى) .

[2] في المطبوع : تعالى ربنا .

[3] بأ سحم داج : الليل . وقيل : أراد بأسحم داج : سواد حلمة ثدي أمه . وقيل : أراد بالأسحم هنا الرحم . انظر : لسان العرب (4/1960) .

[4] عوض : كلمة تجري مجرى اليمين ، ومن كلامهم لا أفعله عوض العائضين ولا دهر الداهرين، أي : لا أفعله أبدا ، ويقال : ما رأيت مثله عوض ، أي : لم أر مثله قط . لسان العرب (4/1960) .

[5] في المصادر : (نتفرق) . والقائل : أعشى بني ثعلبة ، ويسمى أعشى قيس . انظر : ديوان الأعشى (ص116) ، وانظر : تفسير الطبري (8/141) ، لسان العرب (4/1960) .

[6] ساقطة من (خ) ، ولعل الصواب (فمنعناه) .

[7] في المطبوع : فمعناه للخبر .

[8] في (م) : لا لمخالفة . مكررة .

[9] قال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) [سورة الجاثية : (21)] ، وقال سبحانه : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون) [سورة القلم (35-36)] .

[10] في المطبوع : المحتملين .

[11] في المطبوع : كرامته .

[12] في المطبوع : كانوا يختلفون .

وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه ، ونهيه وارتكبه ، وحقه فضيعه ، وذكره فأهمله وغفل قلبه عنه ، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه ، و[طاعته][1] المخلوق أهم عنده من طاعته ، فلله الفضلة من قلبه وقوله وعمله، وسواه المقدم في ذلك ؛ لأنه المهم عنده ، يستخف بنظر الله إليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه ، ويستحيي من النـاس ولا يستحيي من الله -عز وجل-، ويخشى الناس ولا يخشى الله -عز وجل- ، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه وإن عامل الله عز وجل عامله بأهون ما عنده وأحقره[2]، وإن قام في خدمة إلهه من البشر قام بالجد والاجتهاد، وبذل النصيحة ، وقد فرغ له قلبه وجوارحه ، وقدمه على كثير من مصالحه ، حتى إذا قام في حق ربه- إن ساعده القدر – قام قياما لا يرضاه مثله لمخلوق من مخلوقاته ، وبدا له من ما لم يستحيي أن يواجه به مخلوقا لمثله[3] ، فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه !

وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع ، والخوف والرجاء !

فلو جعل من أقرب الخلق إليه شريكا في ذلك لكان ذلك جراءة وتوثبا على محض حقه، واستهانة به، وشريكا[4] بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح إلا له سبحانه[5] ، فكيف وإنما[6] أشرك بينه وبين أبغض الخلق وأهونهم عليه ، وأمقتهم عنده ؟! وهو عدوه على الحقيقة ، فإنه ما عبد من دون الله إلا الشيطان ، كما قال تعالي: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (يس: 60-61) .

ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الأمر للشيطان ، وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة ، كما قال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ

---

1 في (خ) ، والمطبوع : (طاعة) ، وهو الأصوب .

2 في (م) : كتب بالهامش : قف على هذا فقد ابتلي به كثير من الناس .

3 هكذا في كلا المخطوطتين ، و العبارة غير واضحة .وفي (الجواب الكافي) : " وبذ ل له من ماله ما يستحيي أن يواجه به مخلوقا مثله " . والعبارة أيضا غير واضحة . و في المطبوع : "وبدا له منه ما يستحيي أن يواجه به مخلوقا مثله" . ولعلها الأصوب .

4 في المطبوع : تشريكا .

5 في المطبوع : سبحانه وتعالى .

6 في (خ) : وإن .

إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا[1] مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)(سبأ: 40-41) ، فالشيطان يدعو المشرك إلى عبادته ، ويوهمه أنه ملك.

وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب ، وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ؛ ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشيطان – لعنه الله تعالى[2]- فيسجد لها الكفار، فيقع سجودهم له ، وكذلك عند غروبها .

وكذلك من عبد المسيح وأمه –عليهما السلام- لم يعبدهما ، وإنما عبد الشيطان ، فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم وأمرهم بها ، وهذا هو الشيطان الرجيم - لعنه الله[3] - لا عبد الله ورسوله ، ونزل هذا كله على قوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)(يس:60) ، فما عبد أحد من بني آدم غير الله عز وجل كائنا من كان إلا وقعت عبادته للشيطان ، [فيستمتع][4] العابد بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان ؛ ولهذا قال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ) من إغوائهم وإضلالهم : (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا[5] قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (الأنعام:128) ، فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر[6] الكبائر عند الله ، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه ، وأنه يوجب الخلود في النار، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه ، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع

---

[1] في (خ) : وقف هنا .

[2] ساق ابن القيم – رحمه الله – في كتاب " زاد المعاد " فصلا في حفظ المنطق واختيار الألفاظ ، حيث قال "ومن هذا قوله : " لا يقولن أحدكم (تعس الشيطان) فإنه يتعاظم حتى يكون مثل البيت ، فيقول بقوتي صرعته ، ولكن ليقل : (بسم الله) ، فإنه يتصاغر حتى يكون مثل الذباب " ، وفي حديث آخر : " إن العبد إذا لعن الشيطان يقول إنك لتلعن ملعنا " ، ومثل هذا قول القائل : (أخزى الله الشيطان ، وقبح الله الشيطان) ، فإن ذلك كله يفرحه ، ويقول : " علم ابن آدم أني قد نلته بقوتي " ، وذلك مما يعينه على إغوائه ، ولا يفيده شيئا ، فأرشد النبي من مسه شيء من الشيطان أن يذكر الله تعالى ، ويذكر اسمه ، ويستعيذ بالله منه ، فإن ذلك أنفع له وأغيظ للشيطان " (2/355-356) .

[3] في المطبوع : الله تعالى .

[4] في (خ) : فيستمع .

[5] في (خ) : وقف هنا .

[6] في المطبوع : من أكبر .

عبادة إله غيره ، كما يستحيل عليه تناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله ، وكيف يظن بالمنفرد بالربوبية والإلهية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك [أو][1] يرضى به ! تعالى الله عز وجل [عن][2] [ذلك][3] علوا كبيرا "[4] . انتهى ما نقلته .

فقف وتأمل كلامه[5]- رحمه الله-[6] ، فإنه فصّل وبيّن أن الشرك شركان، شرك تعطيل لذات الرب أو[7] لأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته، وذكر أن هذا أيضا تعطيل لمعاملته على العبد من حقيقة التوحيد ، ثم ذكر شرك أهل الوحدة ، وشرك الملاحدة القائلين بقدم العالم ، وشرك الجهمية والقرامطة.

ثم ذكر النوع الثاني ، وهو شرك من أشرك في العبادة والمعاملة ، كشرك النصارى ، وشرك المجوس ، وشرك القدرية ، وشرك الذي حاج إبراهيم في ربه، وشرك من يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أربابا مدبرة ، وشرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم .

قلت : ومنه شرك عباد[8] القبور الذين يزعمون أن أرواح الموتى تدبر شيئا من أمر هذا العالم كما صرح به داود[9] - قاتله الله-.

ثم قال الشيخ : " **فصـل** : وأما الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخف أمرا ، فإنه يصدر ممن يعتقد أن لا إله إلا الله ، وأن لا يضر ولاينفع ولايعطي ولايمنع إلا الله – عز وجل - ، وأنه لا إله غيره ، ولا رب سواه. " . فذكر الشرك في العبادة ، والعمل لحظ النفس وقرره واستدل [عليه][10]، ثم قال : "وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور وغير مغفور ، وأكبر وأصغر.

والنوع الأول : ينقسم إلى كبير وأكبر ، وليس شيء منه مغفورا ، فمنه -أي من الشرك الأكبر- الشرك بالله في المحبة والتعظيم ، أن يحب مخلوقا كما يحب الله ، وهذا من الشرك

---

[1] في (خ) : و .
[2] في (خ) : في .
[3] لم تثبت في كلا المخطوطتين . والمثبت من (الجواب الكافي) ومن المطبوع .
[4] انظر : الجواب الكافي (191-210).
[5] في المطبوع : كلام الشيخ .
[6] في (خ) : (رحمه الله) مكرره .
[7] في المطبوع : و .
[8] في المطبوع : غلاة عباد .
[9] في المطبوع : ابن جرجيس .
[10] في (خ) : عليهم .

الذي لا يغفره الله ، وهو الشرك في الدين ، قال سبحانه وتعالى فيه : (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ[1] أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّه)(البقرة:165) ، وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم : (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ[2] * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(الشعراء:97-98)، ومعلوم أنهم ما سووه[3] به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة ، وإنما سووهم به في الحب والتأله لهم ، والخضوع والذلة ، وهذا غاية الظلم والجهل ، فكيف يسوى التراب برب الأرباب ! و[سوف][4] يسوى العبد بمالك الرقاب ؟! وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات ، العاجز بالذات ، المحتاج بالذات ، الذي ليس له من ذاته إلا العدم ، بالغني بالذات ، والقادر بالذات ، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته ! فأي ظلم أقبح من هذا ؟! وأي حكم أشد جورا منه، حيث عدل من لا عدل له ؟! "[5].

وترك العراقي هذا كله عنادا وصدا عن سبيل الله ، واقتصر على أول الفصل -وهو الشرك في المعاملة والعمل لطلب الدنيا- ، والغالب أن فعل[6] هذا وتركه لأنه عين فعل عباد القبور، وقد أصاب مقتله ، وعدل عنه اختيارا ، مع أنه جاهل بحقيقة الشرك في المعاملة والعمل لطلب الدنيا ، فهذا عمل صورته [لله][7] وقصده فيه فاسد .

وأما القسم الذي ذكر الشيخ أنه لا يغفر ، وهو الشرك في المحبة والتعظيم ونحوه ، فهذا صورته وحقيقته وقصد فاعله لغير الله ، وفرق بين الشرك في النيات ، والشرك بالأفعال ، وكذلك مثل الثاني بالسجود لغير الله ، والطواف [بيته][8]، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره .

ثم قال : " **فصل** : ومن الشرك به سبحانه وتعالى ، الشرك في اللفظ كالحلف بغيره "[9] -إلى آخر الفصل المتقدم .

---

[1] في (خ) : وقف هنا .
[2] في (خ) : وقف هنا .
[3] في المطبوع : سووهم .
[4] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : وكيف . وهو الصواب .
[5] انظر : الجواب الكافي (194-196) .
[6] في المطبوع : فعله .
[7] في (خ) : لم يثبت (لله) .
[8] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : بغير بيته . وهو الصواب .
[9] الجواب الكافي (198) .

فهذا تركه العراقي عمدا لما فيه من التصريح بأن الحلف بغير الله شرك، والنذر لغيره شرك . والله المستعان.

وذكر الفصل من شرك الإرادات والنيات ، وترك الفصل الذي بعده مع أنه قرر فيه أن الشرك تشبيه المخلوق بالخالق ، وأن من خصائص الإلهية : التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق .

وقرر تقريرا حسنا مفيدا من فرائد الدرر وعجائب الغرر[1] في الرد على عباد القبور الذين هم في محل النزاع ، فراجعه في أول الجواب بعد خمسة فصول في المقدمة تعرف به تحريف العراقي ، وأن الكلام في أول الفصل السادس في عباد القبور ومن شابههم من أهل الشرك وتشبيه المخلوق بالخالق .

فقف عليه إلى آخر ما نقلناه من كلامه ترى العجب العجاب من توحيد رب الأرباب ، وكشف زيغ كل جاهل مرتاب ، ومن له فطنة ونفس ذكية يعرف هذا بأول نظرة ، ويستبين له بأدنى لحظة ، ومن لم يجعل الله له نورا فلا يزداد بكثرة النقل والكشف إلا شكا وحيرة . والله المستعان.

وقول العراقي : فانظر إلى إقراره بأنه يصدر ممن يعتقد أن لا إله إلا الله، وأنه لا ينفع ولا يضر ، ولا يعطي ولا يمنع إلا الله ، وأنه يعمل لحظ نفسه – ثم قال : وهذا حال أكثر الخلق . وهذا الشرك يغفر بالاستغفار إلى آخر عبارته .

فهذا تلبيس وخلط ، تقدم أن الكلام في الشرك الخفي كما بينه المصنف ، وأما الشرك الأكبر فهو المراد بما بعد ذلك ، فالعراقي مخلط لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم ، ولا عرف المراد من كلام أهل العلم ، فهو في ظلمة الجهل وأسر العادة التي نشأ عليها ، لم يرتفع عن حضيضها الأسفل ، ولا عرف ما كتب ونقل ، والشرك في العبادة يطلق ، ويراد به الرياء والعمل لغير الله ، وأما الشرك بالله فهو جعل إله آخر يسوى بينه وبين الله في العبادة ، والكل شرك في عبادة الله ، و[المصنف][2] أجمل أولا ، ثم فصّـل وقسّم ، وبين أتم البيان[3]، والمرتاب يتعلق بأدنى شبهة .

---

[1] غرة الشيء : أوله و أكرمه ، وغرة المتاع : خياره ورأسه ، وغرة قومه : سيدهم .
لسان العرب (3234/6-3235) .

[2] في (خ) : كتب بدل كلمة المصنف : (ص) ولعله اختصارا .

[3] 2 في المطبوع : بيان .

قال العراقي: النقل الثاني والأربعون في " إغاثة اللهفان " :

" وأما نجاسة الشرك الأكبر الذي لا يغفره[1]، [فإن][2] الله لا يغفر أن يشرك به[3]، والمخففة : الشرك الأصغر كيسير الرياء ، والتصنع للمخلوق ، والحلف به وخوفه ورجائه "[4] . انتهى .

فجعل الحالف[5] بالمخلوق ، والخوف والرجاء من المخلوق من جنس الشرك الخفيف ، ولم يجعله من المخرج عن[6] الملة .

والجواب أن يقال : ليس النزاع معكم معاشر[7] عباد القبور في خصوص الحلف ، وخوف المخلوق ورجائه فيما يقدر عليه ، بل النزاع في الشرك الأكبر الذي لا يغفر، وقد قرره ابن القيم في هذا الكتاب تقريرا حسنا واضحا ، ونذكر نص كلامه ليتبين إلحاد هذا الضال المفتري .

فذكر[8]- رحمه الله تعالى[9]- في الباب التاسع طهارة القلب - وأطال الكلام، ثم قال :

" **فصـل**[10] : وقد وسم الله [سبحانه][11] الشرك واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه دون سائر الذنوب ، وإن كان[12]

---

1 في المطبوع : لا يغفر

2 في(خ) : لأن .

3 هذه العبارة غير واضحة . وفي (صلح الإخوان) : وأما نجاسة الشرك فهي نوعان ، مغلظة و مخففة . فالمغلظة : الشرك الأكبر الذي لا يغفر ، فإن الله لايغفر أن يشرك به.

4 انظر : إغاثة اللهفان (1/59) .

5 في المطبوع : الحلف .

6 في (خ) : من .

7 في (م) : كلمة غير واضحة ، وكأنها معاشر . مكررة .

8 في المطبوع : فقد ذكر .

9 في المطبوع : رحمه الله .

10 في المطبوع : الفصـل .

11 ساقطة من (خ) .

12 في المطبوع : كانت .

مشتملة على ذلك " – ثم [ساق][1] الآيات في ذلك – ثم قال : " فأما نجاسة الشرك فهي نوعان ، نجاسة مغلظة ، ونجاسة مخففة. فالنجاسة المغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفر، والمخففة الشرك الأصغر، كيسير الرياء والتصنع للمخلوق والحلف به وخوفه ورجائه"[2].

وهذا حق لا نزاع فيه : فأما الحلف فنطلق [عليهم][3] ما أطلقه رسول الله من تسميته شركا وكفرا ، ولا نقول : شركا أكبر[4]، ولا [كفر][5] أكبر بل ننتهي حيث انتهى الشارع ، صلوات الله وسلامه عليه . وقد قال ابن القيم في " المدارج " -في الكلام على الحلف- : " وقد يكون هذا شركا[6] أكبر بحسب ما قام بقلب فاعله "[7]، وقد ذكر القاضي عياض[8] وغيره: "ولا شك أنه إذ[9] قام بقلبه تعظيمه بالحلف كتعظيم الله ، فهو شرك أكبر"[10].

وأكثر عباد القبور يعظمونهم ويحبونهم أشد من تعظيم الله وحبه ، ولا ينكر هذا إلا مكابر، وبعضهم يحلف بالله كاذبا مائة مرة ، ولا يحلف بشيخه ومن يعتقده كاذبا ولو مرة[11] واحدة ، ومن قال : إن هذا شرك أصغر فهو من أضل الورى، وأجهلهم بأصول الإيمان والهدى ، وما يجب لله على عباده من التعظيم والحب والخوف والرجاء .

---

1 ساقطة من (خ) .
2 إغاثة اللهفان (1/59).
3 في المطبوع : (عليه) .
4 في المطبوع : شركا كفرا .
5 ساقطة من (خ) .
6 في المطبوع : شرك .
7 انظر : مدارج السالكين (1/344) .
8 ? هو : القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، المالكي ، صاحب المصنفات الكثيرة المفيدة منها (الشفا في بيان حقوق المصطفى ، وشرح صحيح مسلم ، ومشارق الأنوار) وغير ذلك ، وله شعر حسن ، كان إماما في علوم كثيرة مثل الفقه واللغة والحديث والأدب وأيام الناس - ولي القضاء وله خمس وثلاثون سنة ، ولد سنة 476 هـ ، ومات – رحمه الله - سنة 544هـ . انظر: سير أعلام النبلاء(20/212-213) ، البداية والنهاية(16/352)، شذرات الذهب(4/138).
9 في (خ) والمطبوع : إذا .
10 إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (5/400) ، وانظر : إعانة الطالبين (4/312) ، فتح المعين (4/312) .
11 في المطبوع : ولا مرة.

واعلم أن الخوف والرجاء فيما يقدر عليه المخلوق لا يكون بمنزلة الخوف والرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والعراقي التبس عليه الأمر ؛ بأنه[1] أجنبي عن مسائل التوحيد والإيمان .

وقال ابن القيم في " الإغاثة " – لما تكلم على ما في الصلاة عند القبور واتخاذها أعيادا من المفاسد : " فمن مفاسد اتخاذها أعيادا : الصلاة إليها، والطواف بها ، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها ، وعبادة أصحابها، و[الاستعانة][2] بهم ، وسؤالهم النصر والرزق والعافية ، وقضاء الديون ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات[3] وغير ذلك من أنواع الطلبات – إلى أن قال : وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا ، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه " مناسك حج المشاهد " مضاهاة منه بالقبور للبيت ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ، ودخول في دين عباد الأصنام "[4].

قلت : ولعمر الله إن هذا بعينه ما عليه العراقي وشيعته ، ولكنه مشبه قد أعمى الله بصيرته . وسيأتي مزيد تقرير لهذا في موضعه[5].

قال العراقي: النقل الثالث والأربعون :

قال ابن القيم في " الداء والدواء " : " فصل : وأما الشرك به سبحانه في اللفظ كالحلف به ، وقول القائل : ما شاء الله وشئت – إلى أن قال : وأما الشرك في الإرادات

---

1 في المطبوع : فإنه .
2 في (خ) : الاستغاثة .
3 في (خ) : اللهفان .
4 إغاثة اللهفان (1/194) .
5 في (خ) : موضع .

والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، قل من ينجو منه "[1] .

قال العراقي : فانظر إلى قوله : " إن الشرك في الإرادات والنيات هو البحر الذي لا ساحل له " ، ومع ذلك لم يحكم على فاعله وقائله وناويه بالشرك المخرج عن الملة ، فلو كان مخرجا لما كان المسلمون إلا قليلين ، بل أقل من كل قليل ، حتى من يدعي التوحيد ، فإن النيات الفاسدة للمخلوق وابتغاء القرب منه ، وطلب الجزائل[2] والتذلل له والسجود له كالتعظيم للحكام ، وأهل الدنيا من أهل الأموال، فإن هذا لا ينجو منه إلا المخلصون ، وقليل ما هم .

والجواب أن يقال:

قد تقدم هذا الفصل فيما نقلناه قريبا فراجعه تعرف مااعتراه من تحريف العراقي ، وتقدم جوابه مفصلا فراجعه إن شئت[3].

---

[1] الجواب الكافي (ص198-200).

[2] في المطبوع : الجزائل منه .

[3] تقدم (ص488، 507) .

النقل الرابع والأربعون :

قال ابن القيم في " بدائع الفوائد " في قوله تعالى : (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا[1] فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)(البقرة:89) ما نصه : " كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية ، ويستنصرون عليهم بالنبي قبل ظهوره ، فيفتح لهم وينصرون ، فلما ظهر النبي كفروا وجحدوا نبوته، فاستفتاحهم به مع جحد نبوته[2] مما لا يجتمعان ، فإن كان استفتاحهم به لأنه نبي كان جحد نبوته محالا ، وإن كان جحد نبوته كما يزعمون حقا كان استفتاحهم باطلا ، وهذا مما لا جواب لأعدائه عنه البتة "[3] انتهى.

وذكر المفسرون أن [استفتاحهم به][4] – يعني اليهود، قبل ظهوره للوجود – هو قولهم : " اللهم بحرمة هذا النبي الذي يكون آخـر الزمـان انصرنـا وافتـح لنا " ، فينصـرون ويفتح لهم ، ورأيت فـي بعض حواشي البيضاوي[5] ،

---

[1] في (خ) : وقف هنا .
[2] في (خ) : زيادة عبارة (كما يزعمون حقا) ، وهي مكررة .
[3] بدائع الفوائد(144/4-145).
[4] ساقطة من (م) .
[5] هو : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي ، صاحب (الطوالع ، والمصباح في أصول الدين ،

نقلا عـن السعد التفتازانـي[1] ، قال : "والأظهر أنهم كانوا يطلبون الفتح من الله عليهم متوسلين بذكره ويجعلون أسمه شفيعا"[2] انتهى.

والجواب أن يقال : ليس في كلام ابن القيم ما يدل [ما][3] مسألة النزاع. وليس في كلام المفسرين[4] ما يدل على ذلك ، هل قال أحد : إنهم يسألونه الفتح والنصر على [أعدائهم][5] من المشركين ، وأن الآية دلت على هذا بوجه من الوجوه؟ هذا لا يقوله عاقل فضلا عن المسلم فضلا عن العالم - سبحان الله وتعالى عما يشركون - وإنما كان استفتاحهم به طلب الفتح بخروج محمد النبي الذي بشرت به الأنبياء وذكرت صفته [ونعته][6] في التوراة الذي أظل زمان خروجه، هذا الذي ذكره المفسرون ، كابن جرير وابن كثير[7] وأمثالهم من الأئمة الذين إليهم المرجع في علم التأويل ، وما نقله العراقي لم يقله المفسرون ، وإنما نقله بعضهم كالقرطبي[8]، فكلام العراقي مجازفة .

ومختصر الكشاف في التفسير المسمى"بأنوار التنزيل وأسرار التأويل" وله شرح المصابيح في الحديث) ، كان إماما مبرزا نظارا ، ولي قضاء القضاة بشيراز ، كانت وفاته في بلدة تبريز سنة (685هـ) . انظر: طبقات الشافعية للسبكي (8/157) ، شذرات الذهب (5/392) ، طبقات المفسرين (1/248) .

[1] هو : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (بفتح الفوقيتين والزاي وسكون الفاء وبالنون) : قرية من قرى نسا-بخراسان- ، الإمام العلامة عالم النحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق وغيرهما ، قال ابن حجر: مات في صفر سنة 792 هـ ، وكان مولده سنة 712 هـ بتفتازان . انظر : الدرر الكامنة(6/112) ، طبقات المفسرين(2/319) ، شذرات الذهب (6/319)، وانظر : معجم البلدان (2/35) ، الأنساب للسمعاني (1/471) .

[2] لم أجد هذا النقل – فيما اطلعت عليه من مراجع - .

[3] في المطبوع : (على) ، وفي (خ) : (من) ، وفي هامش(خ) : (لعله:على).

[4] في (م) : (وليس في كلام المفسرين ما يدل) .

[5] في (خ) : عدوهم .

[6] في (خ) : وفعله .

[7] هو : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، الحافظ عماد الدين المعروف بالحافظ ابن كثير ، ولد سنة (700هـ) ، وقدم دمشق ولازم الحافظ المزي ، وتزوج ابنته ، وسمع عليه أكثر تصانيفه ، وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية فأكثر عنه ، وصنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام . انظر : الدرر الكامنة (1/373)، البدر الطالع (1/153) .

[8] تفسير القرطبي (2/27) .

قال ابن كثير: " يقول تعالى : ولما جاءهم يعني : اليهود ، كتاب من عند الله وهو : القرآن الذي أنزل على محمد ، مصدقا لما معهم يعني : من التوراة ، وقوله : وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي[1] : وقد كانوا من قبل مجيء هذا[2] الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ، يقولون : " إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم[3] قتل عاد و إرم " ، ثم حديث[4] عاصم بن[5] عمر[6]، وذكر قول ابن عباس يستفتحون على الذين كفروا، قال : " يستظهرون، يقولون : نحن نعين محمدا عليهم " ، ثم قال : " وقال العوفي[7] عن ابن عباس: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يقول : يستنصرون بخروج محمد على مشركي العرب " . قال : وقال أبو العالية[8] : " كانت اليهود تستنصر بمحمد على مشركي العرب ، يقولون : " اللهم ابعث هذا

---

[1] (أي) : سقطت من المطبوع .

[2] (هذا) : سقطت من المطبوع .

[3] في (خ) زيادة : معه . وفي المطبوع : نقاتلكم معه فنقتلكم.

[4] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : ذكر حديث .

[5] يوجد في (م) ، و(خ) : كلمة بين (عاصم وابن) كلمة غير واضحة كأنها (عن) وهي زائدة لا معنى لها .

[6] هو عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، أحد علماء التابعين ، وثقة ابن معين وأبو زرعة ، توفي سنة 120 هـ . انظر : التاريخ الكبير للبخاري (6/478) ، سير أعلام النبلاء (5/240) ، ميزان الاعتدال (4/10) .
والحديث هو ما ذكره محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن أشياخ منهم ، قال : " فينا والله وفيهم يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة ، يعني (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) ، قالوا : كنا قد علوناهم قهرا دهرا في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، وهم يقولون : إن نبيا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به ، يقول الله – تعالى - : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ". انظر: تفسير الطبري (1/410) ، تفسير ابن كثير(1/186-187) ، السيرة النبوية لابن هشام (2/541) .

[7] هو : عطية بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الجدلي ، أخذ القرآن ومعانيه من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث ، وروى عن ابن عباس وأبي هريرة ، وكانت وفاته سنة (111هـ) . انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (6/304) ، سير أعلام النبلاء(5/325) ، العبر في خبر من غبر للذهبي (1/104) .

[8] هو : رفيع بن مهران البصري ، أبو العالية الرياحي التابعي ، كان إماما في القرآن والتفسير والعلم والعمل ، وأخذ القراءة عرضا عن أبي وزيد بن ثابت وابن عباس ، رأى أبا بكر وقرأ = =القرآن على أبي ، وغيره ، وسمع من عمر وابن مسعود وعلي وعائشة - رضي الله عنهم - وطائفة ، توفي سنة(90هـ) . انظر : طبقات المفسرين1/178 ، العبر للذهبي (1/81) .

النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم" وهكذا ذكره[1] غيره من المفسرين كابن جرير[2] وغيره من أهل العلم والأثر، فهذه الأقوال أظهر مما نقله القرطبي. 8

[و][3] لو سلم تسليما صناعيا ، فليس النزاع في سؤال الله بحرمة نبيه ، هذه مسألة أخرى كما تقدم ، إنما النزاع في مسألة[4] غير الله والطلب من سواه ، فإيراد هذا مغالطة وخروج عن محل النزاع ، دعاه إليه الإفلاس ، وسيأتي الكلام على مسألة سؤال الله بحرمة عبد من عباده ، وقد تقدم بعض ذلك ، والاحتجاج بالآية على اليهود من جهة استفتاحهم قبل مبعثه ﷺ وكفرهم بعد مبعثه ، وتقرير أنهم أهل تحكم وتشه[5] وهوى ، ليسوا بأهل إيمان وصدق ومتابعة ، فإن كان صدر منهم ما حكاه القرطبي ، فليس فيه تشريع[6] لنا ، وأمر أن[7] نفعل ما فعلت اليهود كما زعمه العراقي .

---

[1] في المطبوع : ذكر .

[2] تفسير الطبري (1/410) .

[3] في المطبوع : ثم .

[4] في المطبوع : مسألة دعاء .

[5] في المطبوع : عناد .

[6] في المطبوع : هو تشريع .

[7] في المطبوع : بأن .

قال العراقي : النقل الخامس والأربعون :

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية : " وقد اتفق العلماء على أنها[1] لا تنعقد اليمين بغير الله[2] كالملائكة والكعبة وأحد الشيوخ ، بل ينهي عنه إما نهي تحريم أو تنزيه ، ولم يقل أحد إنه ينعقد اليمين في أحد[3] من الخلق إلا في نبينا ﷺ ، وعن أحمد في ذلك روايتان ، وقد طرد بعض أصحابه- كابن عقيل - الخلاف في سائر الأنبياء ، والقول بانعقاد اليمين بالنبي ﷺ شاذ لم يقل أحد به فيما نعلم "[4] انتهى.

ثم قال العراقي : فقد تبين أن الحلف بغير الله تعالى منهي عنه إما نهي تحريم أو تنزيه ، بل رواية عن[5] أحمد بن حنبل وغيره أنه مباح ، وأما الحلف بالنبي ﷺ فذهب أحمد أنه[6] ينعقد اليمين به ؛ لأنه [جزء][7] الإيمان وعليه الفتوى ، وطرد بعض أصحابه ذلك في جميع الأنبياء ، وقول الشيخ رحمه الله : " إن القول بانعقاد اليمين به شاذ لا ينبغي في حق الإمام أحمد " ،

---

[1] في المطبوع : أنه .
[2] في المطبوع : الله تعالى .
[3] في المطبوع : بأحد .
[4] انظر : مجموع الفتاوى (1/335-336).
[5] في المطبوع : سقطت (عن) .
[6] في المطبوع : إلى أنه .
[7] غير واضحة في كلا المخطوطتين ، وكأنها (جزء) كما هو مثبت في المطبوع ، و صلح الإخوان .

كيف يكون شاذا ، وقد [قال][1] إمام السنة وقامع البدعة الصديق الثاني؟! فلو كان وحده لكفى به بقوله سندا، فكيف وقد قال تعالى : (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الحجر: 72) ، فلو استند بظاهر الآية لكفى بقول الله حجة .

والجواب : أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -[2] أدى ما عليه ، حكى أن اليمين لا تنعقد بغير الله ، وأنه منهي عنه ، ولم يستثن إلا نبينا ﷺ [3]، فإن[4] عن أحمد رواية بانعقادها به ﷺ ، وبيّن – رحمه الله – أن هذا شاذ لم يقل به أحد، وهذا ليس فيه ما يتمسك به مبطل ، فإنه وإن حكى الخلاف فقد ضعفه، واختار القول الراجح الذي دلت عليه السنة المستفيضة ، وجرى عليه العمل عند أهل العلم والحديث ، وفي القرون المفضلة .

وقوله ﷺ : " من حلف بغير الله فقد أشرك " دليل شرعي على العموم ، والرواية عن الإمام أحمد [و][5] ذكر الشيخ أنها شاذة لا توافق أصوله وقواعده وما تواتر عنه ، وهذا معنى الشذوذ[6].

---

[1] في المطبوع : قاله . وهو الصواب .

[2] في المطبوع : سقطت (رحمه الله) .

[3] في المطبوع : لم يثبت ﷺ .

[4] في المطبوع : قال .

[5] لم تثبت في المطبوع وهو الصواب .

[6] والشاذ في اللغة : من شذ يشذ شذوذا : ندر عند الجمهور ، وقال الأزهري : شذ الرجل إذا انفرد عن أصحابه ، وكذلك كل شيء منفرد فهو شاذ . انظر : القاموس المحيط مادة "شذ" . تهذيب اللغة (11/271) .

واصطلاحا : اختلف في تعريفه على أقوال :

الأول : عرفه الإمام الشافعي- وجماعة من علماء الحجاز- بقوله : ليس الشاذ –من الحديث - أن يروى الثقة حديثا لم يروه غيره ، إنما الشاذ من الحديث أن يروي الثقات حديثا فيشذ عنهم واحد فيخالفهم . **الثاني** : قال الحاكم : هو ما انفرد به ثقة من الثقات ، وليس له أصل ، والصحيح متابع لذلك الثقة . **الثالث** : عرفه الحافظ أبو يعلى الخليلي بأنه : ما ليس له إلا إسناد واحد يشذ بذلك شيخ ثقة أو غير ثقة ، فما كان من غير ثقة فمتروك لا يقبل ، وما كان عن ثقة يتوقف فيه ولا يحتج به .

والراجح –والله أعلم – رأي الشافعي وهو اختيار ابن الصلاح . انظر : تدريب الراوي (1/232-233) ، معرفة علوم الحديث للحاكم (ص119) ، الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص141) ، إعلام الموقعين لابن

وكلام العراقي واعتراضه على[1] الشيخ جهل عظيم ، فإن الراوي الواحد إذا انفرد بقول أو رواية تخالف المعروف الثابت وصف القول والرواية بالشذوذ، وقد حكموا على ما خالف المصحف العثماني من القراءة[2] بالشذوذ ، كقراءة ابن مسعود مع العلم بأنها ثابتة ، قرأ بها من هو من أجل الصحابة وأعلمهم .

واستدلال العراقي بقوله تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الحجر:72) جهل عظيم بمعنى الآية ، وما عليه أهل العلم ، فإن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه ، وقسمه به تشريف له ، أو تنبيه على ما فيه من الآية والبرهان ، ولا يقاس به غيره تعالى وتقدس ، وقد أقسم تعالى[3] بالصافات والمرسلات والنازعات ، أفيقال : بجواز الحلف بها ؟! مع أن الكلام فيما هو أعظم من الحلف من الشرك[4] الصراح ، كالمحبة، والخضوع، والاستغاثة، والتوكل، والإنابة، والركوع، والسجود، وغير ذلك مما يختص بالملك الحق المعبود .

وأما الحلف : قد[5] تقدم أن الشيخ محمدا وأتباعه لا يقولون إنه كفر مخرج عن الملة ، بل هم أهل علم وسنة يطلقون ما أطلق الشارع ، ويتبعون ولا يبتدعون .

ثم قال العراقي: النقل السادس والأربعون :

القيم (3/46) .

[1] في (خ) : على ، مكررة .
[2] في المطبوع : القراءات .
[3] في المطبوع : لم يثبت (تعالى) .
[4] في المطبوع : والشرك .
[5] في المطبوع : فقد .

قال ابن قدامة[1] تلميذ شيخ الإسلام[2] ابن تيمية في كتابه " مغني[3] ذوي الأفهام ": " ويكره الحلف بغير الله تعالى "[4]. انتهى ، وجعل[5] عليه علامة المذاهب الأربع ، على قانون رموزه.

النقل السابع والأربعون :

قال الشيخ ابن قدامة في كتابه المتقدم : " ويباح التوسل بالصالحين أحياء وأمواتا "[6].

ثم قال : النقل الثامن والأربعون :

قال صاحب " الإنصاف " في " التنقيح " : " ويحرم حلفه بغير الله، وقيل : يكره ، وعنه : يباح "[7] . انتهى ، أي : عن الإمام[8] أحمد ابن حنبل صاحب المذهب[9]، ومذهبه : أن الحنث

---

[1] هو : جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي ، الشهير" بابن المبرد" الصالحي الحنبلي ، ولد سنة (840هـ) ، وكان إماما علامة يغلب عليه علم الحديث والفقه ويشارك في النحو والتصريف والتفسير، وله مؤلفات كثيرة وغالبها أجزاء ، درس وأفتى ، وتوفي يوم الإثنين سادس عشر المحرم سنة 909 هـ ، ودفن بسفح قاسيون . وهو لم يعاصر شيخ الإسلام وليس هو من تلاميذه ، والعراقي اعتقد أنه ابن عبد الهادي صاحب " الصارم المنكي " . انظر: شذرات الذهب (8/43) ، النعت الأكمل (67-70) ، الأعلام للزركلي (8/225) .

[2] في المطبوع : الشيخ .

[3] في (خ) : معين . وهو تصحيف .

[4] مغني ذوي الأفهام (ص157) [باب الأيمان] .

[5] في المطبوع : جعل .

[6] مغني ذوي الأفهام (ص68) [باب صفة الحج ، ودخول مكة] .

[7] التنقيح المشبع للمرداوي (ص392) .

[8] في المطبوع : سقطت (الإمام) .

[9] في كلا المخطوطتين بياض بقدر كلمة ، وفي صلح الإخوان (المذهب الأحمد) .

بالنبي ﷺ فيه الكفارة، وطرد ذلك ابن عقيل في جميع الأنبياء[1].

والجواب أن يقال : مسألة الحلف بغير الله قد تقدم الكلام فيها، ومما ينبغي أن [يعلم][2] أن القائلين بالتحريم من الأئمة وأهل العلم لا يشق غبارهم صاحب[3] " مغني ذوي الأفهام " ولا من هو أجل منه ، ونحن لا ننكر أن بعض الناس قال بالكراهة ، وإنما النزاع في تصويب أحد القولين ، وأيهما تشهد له الأحاديث النبوية ، وقال [شيخ][4] الإسلام : " يحرم الحلف بغير اسمه[5]، قال[6] ابن مسعود : " لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليّ من أن أحلف بغيره [صادقا][7] "[8]، قال[9] شيخ الإسلام : " ومعنى قول ابن مسعود : أن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق ، وسيئة الشرك أعظم من سيئة الكذب "[10] .

قلت : والكذب محرم بالإجماع ، ولا يعرف عن الشارع عليه أفضل الصلاة والسلام[11] إطلاق الشرك والكفر على مكروه من المكروهات ، ومن أطلق الكراهة من الأئمة فالأولى حمل كلامه على كراهة التحريم ، إحسانا للظن بالعلماء ، وليت هؤلاء القبوريين اقتصروا على ما فيه الخلاف ، بل قد تقدم[12] أنهم أتوا من الشركيات ما لم تأت به جاهلية العرب .

وأما ما ذكره في النقل السابع والأربعين فالجواب عنه من وجوه :

الأول : أن الواجب في مسألة النزاع ردها إلى الكتاب والسنة ، ولا حجة في قول آحاد العلماء ، ولا يصح نسبة هذا

---

[1] انظر: الإنصاف للمرداوي (27/462) ، الفروع لابن مفلح (6/303) .

[2] ساقطة من (خ) .

[3] في المطبوع : لا صاحب .

[4] في كلا المخطوطتين بياض بقدر كلمة ، والمثبت من المطبوع ، وهو الذي يقتضيه السياق .

[5] في المطبوع : اسمه تعالى .

[6] في (خ) : قال ، مكررة .

[7] ساقطة من (خ) .

[8] رواه الطبراني في المعجم الكبير(9/205) وقال الهيثمي في المجمع (4/180) رجاله رجال الصحيح ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف(4/20 "القسم الأول ") ، وعبد الرزاق (8/469) .

[9] في المطبوع : وقال .

[10] الفتاوى الكبرى (4/621) ، وانظر: مجموع الفتاوى(27/350) .

[11] في المطبوع : ﷺ.

[12] في المطبوع : تقدم لك .

القول إلى المذهب ، كما يعرفه من عرف قواعد المذهب في لزوم السنة وسد الذرائع.

الثاني : أن التوسل في عرف أهل العلم ليس هو التوسل في عرف العراقي وشيعته من عباد القبور[1]، بل التوسل عندهم يطلق على المتابعة والاقتداء ، ويطلق على سؤال الله بحق الأنبياء والصالحين ، وليس النزاع في هذا كله[2] ، وإنما النزاع في اتخاذ الأنداد والآلهة ، والتوسل بدعائهم والاستغاثة بهم ، والطواف بقبورهم .

---

[1] الوسيلة : هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ، ويتقرب به وجمعها وسائل ، يقال وسل إليه وسيلة وتوسل ، إذا عمل عملا تقرب به إليه ، والواسل : الراغب إلى الله ، قال لبيد :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

وتوسل إليه بوسيلة : إذا تقرب إليه بعمل . وجمعها الوسائل ، قال الله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) ، وقال الراغب : " والوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة " .

أما المعنى الشرعي فهو مأخوذ من هذا المعنى اللغوي : فهو التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة على وفق ما شرعه الله تعالى .

أما التوسل في عرف المتأخرين فيطلق على عدة أمور ، منها ما هو بدعة ولا يصل إلى الشرك : وهو التوسل بالحق والجاه . ومنها ما هو شرك : كالتوسل بالذوات الفاضلة ، كما يطلق على دعاء غير الله تعالى ، والاستغاثة به ، وهذا لم يكن معروفا لا في اللغة العربية ، ولا في الشرع، بل نص غير واحد من السلف على عدم جوازه ، يقول الإمام أبو حنيفة – رحمه الله - : " ويكره أن يدعو الله إلا به " ، وفي رواية : " لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به " .

انظر : تهذيب اللغة للأزهري (13/67-68) ، النهاية في غريب الحديث (185) ، لسان العرب (8/4837) ، التوسل والوسيلة لابن تيمية (69-73) ، إغاثة اللهفان (1/217) ، شفاء السقام للسبكي (110-111، 160-173) .

[2] لا يعني هذا أن الشيخ يرى هذا النوع من التوسل ، ولكن يريد إخراج ما لم يصل إلى حد الشرك الأكبر ؛ ليبين أن الخلاف مع عباد القبور في قضايا الشرك الأكبر ، والتي لا يسع فيها الخلاف كما هو منهجه في هذا الكتاب . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " التوسل والوسيلة " (80-90) : " وأما السؤال بحق فلان فهو مبني على أصلين : **أحدهما**- ما له من الحق عند الله ، **والثاني** - هل نسأل الله بذلك كما نسأل بالجاه والحرمة؟ =

أما الأول : فمن الناس من يقول للمخلوق على الخالق حق يعلم بالعقل ، وقاس المخلوق على الخالق ، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة وغيرهم ، ومن الناس من يقول لا حق للمخلوق على الخالق بحال ، لكن يعلم ما يفعله بحكم وعده وخبره كما يقول ذلك من يقوله من أتباع جهم والأشعري وغيرهما ممن ينتسب إلى السنة، ومنهم من يقول بل كتب الله على نفسه الرحمة وأوجب على نفسه حقا لعباده المؤمنين كما حرم الظلم على نفسه ، لم يوجب ذلك مخلوق عليه ، ولا يقاس بمخلوقاته ، بل هو بحكم رحمته وحكمته وعدله ، كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم ، كما قال في الحديث الصحيح الإلهي : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته

الثالث : أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس[1]، وتوسل بدعائه بالاستسقاء[2]، ولم يأت القبر الشريف ، ولم يتوسل به ، لعلمهم بالسنة وأحكام الشريعة .

وتوسلَ معاوية بيزيد بن الأسود[3]، وهكذا أئمة الدين في كل عصر ومصر يتوسلون بدعاء الصالحين الأخيار بالاستسقاء وغيره ، ولم يقل أحد منهم إنه يستسقى عند القبور ويتوسل بها عند الحوادث ، هذا لا يقوله من شم رائحة الشريعة ، وسلم من سوء المعتقد وخبث السريرة.

بينكم محرما فلا تظالموا"، وقال تعالى : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) ، وقال تعالى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ، وفى الصحيحين عن معاذ ، عن النبي ، أنه قال : "يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، يا معاذ ، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقهم عليه أن لا يعذبهم " ، فعلى هذا القول لأنبيائه وعباده الصالحين عليه سبحانه حق أوجبه على نفسه مع إخباره ، وعلى الثاني يستحقون ما أخبر بوقوعه وإن لم يكن ثم سبب يقتضيه .

فمن قال : ليس للمخلوق على الخالق حق يسأل به ، كما روي أن الله تعالى قال لداود : "وأي حق لآبائك عليّ ؟ فهو صحيح ، إذا أريد بذلك أنه ليس للمخلوق عليه حق بالقياس والاعتبار على خلقه كما يجب للمخلوق على المخلوق ، وهذا كما يظنه جهال العباد من أن لهم على الله سبحانه حقا بعبادتهم ، وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعلمه يصير له على الله حق من جنس ما يصير للمخلوق على المخلوق ، كالذين يخدمون ملوكهم وملاكهم فيجلبون لهم منفعة ويدفعون عنهم مضرة ويبقى أحدهم يتقاضى العوض والمجازاة على ذلك ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه ألم أفعل كذا ؟ يمن عليه بما يفعله معه ، وإن لم يقله بلسانه كان ذلك فى نفسه . وتخيل مثل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه... . ومن قال بل للمخلوق على الله حق فهو صحيح إذا أراد به الحق الذي أخبر الله بوقوعه ، فإن الله صادق لا يخلف الميعاد ، وهو الذي أوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته ، وهذا المستحق لهذا الحق إذا سأل الله تعالى به يسأل الله تعالى إنجاز وعده ، أو يسأله بالأسباب التي علق الله بها المسببات ، كالأعمال الصالحة ، فهذا مناسب ، وأما غير المستحق لهذا الحق إذا سأله بحق ذلك الشخص فهو كما لو سأله بجاه ذلك الشخص وذلك سؤال بأمر أجنبى عن هذا السائل لم يسأله بسبب يناسب إجابة دعائه " .

[1] وهذا ثابت في الحديث الذي رواه أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا " ، قال : فيسقون . رواه البخاري [كتاب الاستسقاء/ باب : سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا] (1/342) .

[2] في المطبوع : في الاستسقاء .

[3] يزيد بن الأسود الجرشي ، من سادة التابعين بالشام ، أدرك الجاهلية ، وأسلم في حياة النبي . انظر : طبقات ابن سعد (7/444) ، الاستيعاب (4/131) ، سيرأعلام النبلاء(4/136) ، الكاشف (3/240) .

الرابع : أن الاحتجاج بقول صاحب " مغنى ذوي الأفهام " جهل بقواعد المذهب واصطلاح أهله ، فإن الكتب المعتمدة في الفتوى عندهم معروفة محصورة ، وهي كتب أئمة المذهب ورجاله الذين إليهـم المـرجع ، وصاحب " معني ذوي الأفهام " ليس هو الحافظ محمد[1] بن عبد الهادي تلميذ شيخ الإسلام [ابن تيمية][2]، كما زعمه هذا الجاهل الغبي[3].

وأما النقل الثامن والأربعون : فتقدم[4] أن العراقي ذكر هذا النقل في الثالث والعشرين ، وكرره هنا لإيهام الجهال أنه كثير النقول .

وقصة توسل معاوية بيزيد هي: " أن السماء قحطت ، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون ، فلما قعد معاوية على المنبر قال أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطى الناس ، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه ، فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا ، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي ، يا يزيد ارفع يديك إلى الله عز وجل ، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم ، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس ، وهب لها ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم . قال ابن حجر في " التلخيص الحبير " : "حديث أن معاوية استسقى بيزيد بن الأسود رواه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح ، ورواه أبو القاسم اللالكائي في" السنة" في كرامات الأولياء منه " . تلخيص الحبير (2/101) ، وانظر : السنة للالكائي " كرامات الأولياء " (9/190) .

[1] في المطبوع : محمد بن أحمد .

[2] ساقط من (خ) .

[3] بعد هذه الكلمة بياض بقدر سطرين في كلا المخطوطتين .

[4] في المطبوع : فقد تقدم .

النقل التاسع والأربعون[1]

قـال ابن عبدالوهـاب فـي " مختصـر الشـرح الكبيـر " فـي " باب الأيمان " : " ويكـره الحلـف بغيـر اللـه ، ويحتمـل أن يكـون محرما . وقيـل : يجـوز لأن [اللـه][2] أقسـم بمخلوقاتـه ، فقـال : ﴿والنجم﴾ ﴿والشمـس﴾ ﴿والضحـى﴾ ﴿والليـل﴾ وغيـر ذلك ، ولقـوله[3] ﷺ : " أفلح وأبيه إن صدق"[4] ، وحديث أبي العشـراء : " وأبيـك لـو طعنت في فخذها أجزأك"[5]،

---

[1] في المطبوع : قال العراقي .

[2] ساقط من (خ) .

[3] في المطبوع : لقوله .

[4] 4 رواه مسلم [كتاب الأيمان/ باب: الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام] (1/41) ، وأبو داود [كتاب الصلاة] بدون ذكر الباب (1/107) ، والبيهقي في السنن [كتاب الصيام/ باب : لايجب صوم بأصل الشرع غير صوم رمضان] (4/201) .

[5] 5 عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه أنه قال : يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في الحلق واللبة ؟ قال : "وأبيك لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك ". رواه بهذا اللفظ : البيهقي في السنن الكبرى [كتاب الصيد والذبائح/ باب : ما جاء في ذكاة مالا يقدر على ذبحه إلا برمي أو سلاح] (9 /246) ، وابن عدي في الكامل (2/259) ، ورواه أصحاب السنن الأربعة بدون القسم . أبو داود[كتاب الأضاحي / باب : ما جاء في ذبيحة المتردية](3/103) ، والترمذي [كتاب الأطعمة/ باب : ما جاء في الذكاة في الحلق واللبة] (4/62) ، والنسائي[كتاب الضحايا/ باب : ذكر المتردية في البئر التي لا يوصل إلى حلقها](7/228) ، وابن ماجة[كتاب الذبائح/ باب : ذكاة النادّ من البهائم] (2/1063) . قال ابن حجر : (حديث أبي العشراء الدارمي عن أبيه....، رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة عنه به دون القسم ....، وأبو العشراء مختلف في اسمه وفي اسم أبيه وقد تفرد حماد بن سلمة بالرواية عنه على الصحيح ولا يعرف حاله) التلخيص الحبير(4/134) ، وقال في التقريب " أعرابي مجهول" ، وقال الذهبي في "الميزان " : " ولا يدرى من هو ، ولا من أبوه ، انفرد عنه حماد بن سلمة " ، وضعفه الألباني في عدة مواضع منها (إرواء الغليل 8/168) .

ولنا قوله : " من حلف بغير الله فقد أشرك " "[6] .

هذا ملخص ما [قال][2] أمليته من حفظي [حيث][3] لم توجد النسخة عندي حال الكتابة ، فقوله : " ويكره الحلف "، وتقديمه [على[4] التحريم دليل على [المتقدمين][5] كانوا مختارين كراهة التنزيه حتى حكى قول التحريم بيحتمل ، الدال][6]على التضعيف ، وذكر أن بعض أهل العلم قائل بالجواز ، وهي رواية عن الإمام أحمد كما تقدم عن صاحب " لإنصاف" ، وقوله : ولنا ، دليل على ما اختاره[7] من الكراهة.

والجواب أن يقال :

قد كتبنا فيما تقدم من الرد المختصر أن العراقي دلس ولبس ، ولم يأت بالعبارة على وجهها ، بل حرفها تحريفا أحالها عن معناها ، فإن الشيخ ذكر الكراهة ، ثم ذكر التحريم في أول كلامه نقلا عن أهل المذهب ، وذكر كلام ابن عبد البر وحكاية الإجماع على التحريم ، ثم قال : " وقيل" حكاه بصيغة التمريض – وأن القائل استدل بأن الله أقسم بمخلوقاته ، وبقوله : " أفلح وأبيه إن صدق " ، وبقوله في حديث [أبي العشراء][8] : " أما وأبيك لو طعنت في فخذها أجزأك " ، ثم تعقب الشيخ هذا ، وذكر أن أحمد لم يثبت [حديث][9] أبي العشراء ، واستدل بحديث

---

[6] مختصر الإنصاف والشرح الكبير (524) ضمن مجموع مؤلفات الشيخ / المجلد الرابع .
[2] في المطبوع : ما قاله .
[3] ساقطة من (خ) .
[4] في المطبوع : الكراهة على .
[5] هكذا في (م) ، وفي المطبوع : أن المتقدمين . وهو الصواب .
[6] مابين القوسين ساقط من (خ) .
[7] في (خ) : اختار .
[8] في (خ) : العشراء.
[9] ساقط من (خ) .

عمر ، وبحديث عبد الله بن عمر ، وقرر أدلة التحريم ، وذكر عن ابن عبد البر أن قوله : " أفلح وأبيه إن صدق" غير محفوظة من وجه صحيح[1]، والحلف بغير الله تعظيم يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى[2]، وبهذا تعرف الراجح الذي اختاره الشيخ وغيره ، والشيخ في " كتاب التوحيد " استدل على هذه المسألة وترجم عليها بقول الله تعالى : (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقره :22) ، وساق حديث ابن عمر ، وقول ابن عباس في معنى الآية: ومنه : (والله وحياتك)[3].

قلت : ولأهل العلم عن حديث " أفلح وأبيه " ، وحديث " أبي العشراء " أجوبة معروفه في محلها ، منها : أن هذا مما لا تقصد[4] به اليمين ، بل هو مما جرى على ألسنتهم من غير قصد ، مثل قوله : " تربت يداك "[5] ، " ثكلتك أمك"[6] ،

" ويح عمار"[7] ، ونحو هذا .

---

[1] التمهيد (14/376) .

[2] مختصر الإنصاف والشرح الكبير (524) ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (المجلد 4) .

[3] انظر: تيسير العزيز الحميد (586) .

[4] في المطبوع : يقصد .

[5] ورد هذا اللفظ في عدة أحاديث منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " تنكح المرأة لأربع ، لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " ، رواه البخاري [كتاب النكاح/ باب : الأكفاء في الدين ، وقوله : "وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا "] (5/ 1958) ، ومسلم [كتاب الرضاع/ باب : استحباب نكاح ذات الدين] (2/1087) .

وعن عبد الله ، قال : " كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ، ففر الصبيان وجلس ابن صياد ، فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك ، فقال له النبي ﷺ : " تربت يداك ، أتشهد أني رسول الله ؟ فقال لا، بل تشهد أنى رسول الله ؟ فقال عمر بن الخطاب : ذرني يا رسول الله حتى أقتله ، فقال رسول الله ﷺ : إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله " رواه مسلم [كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب : ذكر ابن صياد] (4/2240) .

[6] ورد هذا اللفظ في الحديث الذي رواه معاذ ابن جبل – رضي الله عنه – قال : " فقلت : يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بما نقول بألسنتنا ؟ قال : " ثكلتك أمك ابن جبل ، هل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم ؟ ". رواه الترمذي في عدة مواضع منها [كتاب الإيمان / باب: ماجاء في حرمة الصلاة] (5/13) ، وقال حسن صحيح ، وابن ماجة [كتاب الفتن/ باب : كف اللسان في الفتنة] (2/1344) ، والإمام أحمد في المسند (5/231،236،237) .

[7] ورد هذا اللفظ في الحديث الذي رواه عكرمة ، قال : قال لي ابن عباس ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد ، فاسمعا من حديثه ، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه ، فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد ، فقال : " كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي ﷺ ، فينفض

وقيل : إن ذلك منسوخ ، واستدل القائل بما لا يمكن دفعه .

وبعضهم تكلم في السند كما تقدم عن أحمد فيوحديث أبي العشراء .

وقال النووي[1] في الكلام على قوله[2] : " أفلح وأبيه إن صدق " : " هذا مما جرت به عادتهم يسألون عن الجواب عنه ، مع قوله ﷺ : " من كان حالفا فليحلف بالله "[3] ، وقوله ﷺ : " إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم "[4] .

وجوابه : أن قوله ﷺ : " أفلح وأبيه " ليس هو حلفا ، إنما هو كلمة جرت
عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف[5]، والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف، لما فيه من إعظام المخلوق ، و[مضاهات][6] به سبحانه وتعالى ، فهذا هو الجواب المرضي .

وقيل : يحتمل أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى[7] . والله أعلم "[8].

التراب عنه ، ويقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. قال : يقول عمار : " أعوذ بالله من الفتن" " . رواه البخاري [كتاب المساجد/ باب : التعاون في بناء المسجد] (1/172) ، والإمام أحمد (3/90) ، و ابن حبان في صحيحه (15/554) .

[1] هو : يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي ، شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة ونوى قرية من قرى حوران ، اعتنى بالتصنيف فجمع شيئا كثيرا منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله ، فمن التي أكملها (شرح مسلم ، والروضة ، والمنهاج ، والأذكار وتهذيب الاسماء واللغات، وطبقات الفقهاء ، وغير ذلك) ومما لم يتمه : شرح المهذب الذي سماه (المجموع) ، وقد كان من الزهد والعبادة والورع والتحري على جانب كبير ، وكان آمرا بالمعروف . توفي سنة 676 هـ . انظر: البداية والنهاية (17/539-541) ، شذرات الذهب (5/354) .

[2] في (خ) ، والمطبوع : زيادة (ﷺ) .

[3] رواه البخاري [كتاب الشهادات/ باب: كيف يستحلف] (2/951) ، ومسلم [كتاب الأيمان / باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى] (3/1267) .

[4] رواه البخاري في عدة مواضع منها [كتاب الأدب/ باب : من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا] (5/2265،6/2449) ، ومسلم [كتاب الأيمان / باب : النهي عن الحلف بغير الله تعالى] (3/1266-1267) .

[5] في المطبوع : بها الحلف .

[6] في (خ) ، والمطبوع : ومضاهاته .

[7] (تعالى) : ساقطة من المطبوع .

[8] شرح النووي على صحيح مسلم (1/168).

النقل الخمسون

قال العراقي[1]: قال ابن عبد الوهاب في " مختصره " : " ولو قال : " لعمري أو لعمرك " ، فليس بيمين في قول الأكثر ، وقال الحسن[2] في قوله : " لعمري " ، كفارة "[3] انتهى.

ومعلوم أن لعمري أو لعمرك قسم [لغير][4] الله بلا نزاع ، ولكن الأكثر ما أوجب به الكفارة ، والحسن أوجبها ، فإذا كان " لعمري ، ولعمرك " هكذا ، وما[5] الفرق بينه وبين وحياتي وحياتك ؟ مع أن بعض أتباعه يكفر الناس بمثل هذه اللفظة .

والجواب أن يقال:

قوله : " وإن قال لعمري ، أو لعمرك ، فليس يمينا " يكفي في جواب هذا العراقي ، فإن المذهب ، والأكثر لا يرى هذا يمينا، وانتفاء الكفارة ؛ لانتفاء اليمين.

---

1 في المطبوع : قال العراقي : النقل الخمسون .

2 2 هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري - رضي الله عنه - ، واسم أبيه يسار مولى الأنصار ، ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر - رضي الله عنه - ، ثقة فقيه فاضل ، ومات بالبصرة عشية الخميس ودفن يوم الجمعة غرة رجب سنة (110هـ) وعمره ثمان وثمانين سنة ، وروي أن أمه كانت خادمة لأم سلمة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنها - ، وربما بعثتها في حاجة فيبكي الحسن فتناوله ثديها ، فرأوا أن تلك الحكم التي رزقها الحسن من بركات ذلك ، وروي أن أم سلمة أخرجته إلى عمر - رضي الله تعالى عنه - ، فقال: اللهم فقهه في الدين فليعلم، وحببه إلى الناس . روى عن جمع من الصحابة . انظر : طبقات ابن سعد (7/156) ، سير أعلام النبلاء (4/563) ، شذرات الذهب (1/136) .

3 انظر: مصنف ابن أبي شيبة (3/80) ، والمغني لابن قدامة (9/396) .

4 في المطبوع : بغير . وهو الصواب .

5 في المطبوع : فما .

وكذلك قوله عن الحسن فيه كفارة ، قول مرجوح ؛ لأن اليمين غير مقصودة[1]، بل هذا يجري على ألسنتهم من غير قصد ، كقوله : " [عقرى][2] ، حلقى"[3] وقوله : " ثكلتك أمك" .

وإذا كان الشيخ جزم أنه غير يمين . كيف يقول هذا الجاهل الغبي: ومعلوم أن لعمري أو لعمرك قسم بغير الله[4] بلا نزاع ؟

بل هو غير معلوم وغير مفهوم من كلام أهل العلم والإيمان وأئمة هذا الشأن ، صريح[5] كلامهم نفي هذا ، وأنه ليس [بقسم، فكيف يتجاسر هذا على مثل هذه الورطات، والمكابرة في الحسيات . يقول أهل العلم ليس][6] بيمين ، ويقول طاغية العراق : يمين بلا نزاع : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة: 79) .

وكون الحسن أوجبها ليس فيه دليل ، وقد يكون الحسن يوجب الكفارة لمعصيته وفجوره[7].

وأما " وحياتي ، وحياتك " فليست من الألفاظ المعتادة عند العرب فالإتيان بها ظاهره قصد اليمين .

وكون بعض أتباع الشيخ يكفر بذلك لا وزر على الشيخ به لبراءته منه ، ولا يكفر به إلا عوام الخلق ، ويوجد في أهل

---

[1] في (خ) : مقصود .

[2] ? في (خ) : كلمة غير واضحة .

[3] 3 قال النبي (عقرى ، حلقى) لصفية- رضي الله عنها – في الحج حينما قالت : ما أراني إلا حابستكم ، قال : " عقرى حلقي ، أو ما كنت طفت يوم النحر، قالت : بلى ، قال : لا بأس انفري" .

رواه البخاري في عدة مواضع منها : [كتاب الحج/ باب : التمتع والإقران والإفراد بالحج] (2/566) ، ومسلم[كتاب الحج/ باب: بيان وجوه الإحرام...] (2/877) .

ومعنى العبارة : أي عقرها الله وأصابها بعقر في جسدها ، وظاهره الدعاء عليها ، وليس بدعاء في الحقيقة، وهو في مذهبهم معروف . قال أبو عبيد : الصواب عقرا حلقا - بالتنوين- لأنهما مصدرا (عقر- وحلق) . وقال الزمخشري : هما صفتان للمرأة المشئومة ، أي : أنها تعقر قومها وتحلقهم ، أي تستأصلهم .

وحلقى : يعنى أصابها وجع في حلقها خاصة ، وهكذا يرويه الأكثرون غير منون بوزن غضبي حيث هو جار على المؤنث ، والمعروف في اللغة التنوين على أنه مصدر فعل متروك اللفظ تقديره عقرها الله عقرا وحلقها .

انظر: النهاية(3/272،1/428) ، لسان العرب (5/3035-3036).

[4] في المطبوع : قسم بلا نزاع .

[5] في المطبوع : بل صريح .

[6] ما بين القوسين ساقط من (خ) .

[7] في المطبوع : لمعصية القائل وفجوره .

العراق خاصة وعامة من يُكفر بتجريد التوحيد وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله .

فما من مطعن يدعيه إلا وفيه وفي أشياعه من القبائح ما لا يصفه بليغ ولا يدانيه ، فما له وللخوض فيما لا يعرفه ولا يدريه ؟

قال العراقي : الحادي والخمسون[1]

قال ابن القيم في " الهدي النبوي " : " (فصل في ألفاظ كان يكره أن تقال) منها : أن يقال : ما شاء الله وشئت .

ومنها : أن يحلف بغير الله ، صح عنه[2] أنه قال : " من حلف بغير الله فقد أشرك".

ومنها أن يقول السيد لغلامه وجاريته : عبدي وأمتي ، وأن يقول الغلام لسيده : ربي[3] . وليقل السيد : فتاي[4]، ويقول الغلام : سيدي وسيدتي[5] "[6] انتهى . فانظر إلى تصريحه بالكراهة ، ولم يقل حرام ، ولا كفر قائلها كفرا مخرجا عن الملة .

والجواب أن يقال :

قد تقدم من[7] نسب إلى الشيخ ، أو إلى أهل العلم من أتباعه أنهم كفروا بهذه الأشياء كفرا مخرجا عن الملة ، فهو من أكذب الخلق ، وأجرأهم على الفرية ، وقول زور[8].

وتقدم أن الشيخ ابن القيم قال : " من عظم مخلوقا بالحلف تعظيما كتعظيم الله فقد أشرك شركا أكبر" ، وقال -

---

[1] في المطبوع : النقل الحادي والخمسون .

[2] في المطبوع : عنه .

[3] في المطبوع : وربتي .

[4] في المطبوع : فتاي وجاريتي .

[5] الحديث هو : ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه- أن رسول الله قال : " لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل : غلامي وجاريتي ، وفتاي وفتاتي"، رواه البخاري [كتاب العتق/ باب : كراهية التطاول على الرقيق ، وقوله : " عبدي أو أمتي"] (2/901) ، ومسلم [كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها/ باب : حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد] (4/1764) .

[6] زاد المعاد (2/470) . وانظر: (2/352) .

[7] في المطبوع : أن من . وهو الأصوب.

[8] في (خ) والمطبوع : الزور .

لما عد من هذه الألفاظ ونحوها في شرح المدارج - " وقد يكون ذلك شركا أكبر، بحسب ما قام بقلب فاعله ، وحديث ابن عمر صريح في إطلاق الكفر والشرك بالحلف بغير الله ، فمن منع هذا الإطلاق فهو مشاق لله ولرسوله ، ولكن ساق البخاري في صحيحه قول ابن عباس : " كفر دون كفر، وشرك دون شرك وظلم دون ظلم" ".

وأما قول السيد لغلامه وجاريته: [عبدي وأمتي][1] ، وقول الغلام والجارية سيدي وسيدتي ، فلم يكفر بهذا مسلم ، كيف وقد أمر الرسول[2] أن يقال: سيدي ومولاي ؟!

واعتراض العراقي على عبارة " كشف الشبهات " مصدره سوء فهمه، وغلظ طبعه ، وكثافة حجابه ، وسيأتيك الكلام في هذا -إن شاء الله تعالى-[3] مفصلا قريبا :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[4]

نعم قول النبي للوفد الذين قالوا له : (أنت سيدنا) : " السيد الله "[5]، حديث ثابت خرجه الأئمة ، واحتج به أهل العلم ، ولهم في الجمع بينه وبين أمره للغلام أن يقول لسيده : سيدي وسيدتي – طرق :

منها: ترجيح حديث الرخصة للعبد والأمة ، ويحتمل أن الرخصة خاصة بالعبد والأمة ؛ لما لسيدهما من السيادة الخاصة ، وأما العامة في مقام المدح والثناء فتختص بالمنع ، وهذا الجمع فيه إعمال النص في مورده ، ولعله أولى الأقوال[6].

---

[1] ساقطة من كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع .
[2] في المطبوع : النبي .
[3] (تعالى) ساقطة من المطبوع .
[4] قائل هذا البيت : المتنبي . انظر: ديوان المتنبي (ص232) .
[5] ? والحديث هو عن مطرف قال : قال أبي : " انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : " السيد الله -تبارك وتعالى- " ، قلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا ، فقال : " قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان " ، رواه أبو داود [كتاب الأدب/ باب : في كراهية التمادح] (4/254) ، والنسائي في السنن الكبرى [كتاب عمل اليوم والليلة / باب : النهي عن أن يقال للمنافق سيدنا] (6/70) ، والبيهقي في شعب الإيمان (4/226-227) ، والبخاري في الأدب المفرد المفرد (باب : هل يقول سيدي) ، وصححه الألباني : صحيح الأدب المفرد (ص96-97) .
ورواه الإمام أحمد في المسند بنحوه (4/24، 25) .
[6] فتح الباري (5/180) .

وهذا جوابنا عن نقله الثاني والخمسين

وأما نقله الثالث والخمسون:

فحاصله : أن شيخنا -رحمه الله- ذكر في " كتاب التوحيد" حديث : " لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ، بل [يقل][1]: فتاي وفتاتي، ولا يقل العبد : " ربي وربتي " ، وليقل : " سيدي ومولاي " "[2] .

وأنه ذكر في " مختصر السيرة " و " مختصر الهدي النبوي ": سيد بني فلان ، وسيد بني فلان مرات متعددة[3].

ثم قال العراقي : فانظر إلى نقله هذا ، وقد قال في " كشف الشبهات " له : " ليس معنى السيد عندنا إلا الإله "[4] .

---

[1] في (خ) : يقال .

[2] الحديث الذي استشهد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب في (باب / لا يقول : عبدي وأمتي) هو : ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه- عن النبي أنه قال : " لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضئ ربك ، اسق ربك ، وليقل : سيدي ، مولاي . ولا يقل أحدكم : عبدي أمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي " . رواه البخاري [كتاب العتق/باب : كراهية التطاول على الرقيق ، وقوله عبدي أو أمتي] (2/901) ، ومسلم [كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها/ باب : حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد] (4/1764) . والحديث بهذا اللفظ لم أجده ، وأقرب ما وجدت للفظ المذكور هو ما رواه أبو هريرة أن رسول الله قال : " لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل : غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي " . رواه مسلم [كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها/ باب : حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد] (4/1764) ، وعن أبي هريرة أن رسول الله قال : " لا يقولن أحدكم (عبدي وأمتي) ، ولا يقولن المملوك (ربي وربتي) ، وليقل المالك : (فتاي وفتاتي) ، وليقل المملوك : (سيدي وسيدتي)، فإنكم المملوكون ، والرب الله عز وجل " ، رواه أبو داود [كتاب الأدب/ باب : لايقول المملوك ربي وربتي] (4/294) .

[3] انظر تيسير العزيز الحميد (653) ، مختصر السيرة ، ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المجلد الأول / القسم الثاني/ص170) .

[4] انظر: كشف الشبهات (ص26) ونص كلام الشيخ محمد : " وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله تعالى بهم هو الذي أحل دماءهم

فعلى هذا إذا قال أحد منا : يا سيدي أو يا مولاي ، فكأنما قال: يا إلهي .

فإذا كان لفظ السيد معناه " الإله " ، كيف جاز له نقله في كتبه ولم يعترض على رسول الله[1] ﷺ في الحديث الصحيح الذي نقله : "وليقل العبد : سيدي ومولاي[2]" ؟ وكيف ساغ له أن يقول في السيرة: سيد بني فلان في أشخاص كفار، فضلا عن مسلمين أخيار؟ فهل هذا إلا تناقض ؟

بل رأيت في كتب متعددة [في بعض][3] المعاصرين له أنه أحرق "دلائل الخيرات"[4] ؛ لأن فيها اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد، وأنه

وأموالهم ، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه = الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : " لا إله إلا الله" ، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا ، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرزاق المدبر ، فإنهم يقرون أن ذلك لله وحده ، كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد ، وهي لا إله إلا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ".

[1] في المطبوع : الرسول .

[2] (ومولاي) مكررة في (م) .

[3] في المطبوع : لبعض . وهو الصواب .

[4] اسم الكتاب (دلائل الخيرات وشوا رق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار) لأبي عبد الله محمد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملاني الشريف الحسني المتوفى سنة 854 هـ .

قال الشيخ محمد – رحمه الله - : " وأما دلائل الخيرات فله سبب ، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصر في قلبه أجل من كتاب الله ، ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القران ، وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان " . مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1/37) .

قال : من أكفر من صاحب الدلائل ؟! لتعبيره بهذه العبارة ، والله أعلم بحقيقة الحال.

فتأمل كلام الشيخين وانظر كيف لم يتفوها بالشرك المخرج عن الملة ، ولو لم [يقلدا][1] لكان قولهما واجب التأويل ؛ لأن كلام الله وكلام رسوله ﷺ إذا أطلق[2] يجب تأويلهما كما في آيات الوعيد ، كقوله تعالى[3]: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ)(المائدة : 44) ، قال ابن القيم[4] : " كفر دون كفر ، وشرك دون شرك ، وليس بالكفر المخرج عن الملة ، كما ذهب إليه ابن عباس وأكابر السلف "[5]. بل ورد[6] إطلاق الشرك في حق سيدنا آدم -عليه السلام- الذي هو نبي معصوم ، قال تعالى في حقه وحق حواء : (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً[7] جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الأعراف:190) ، فإن أكثر المفسرين على أنها

---

[1] في (خ) كلمة غير واضحة ، كأنها (يقلدا) . وفي المطبوع : يقيد . ولعل الصواب (يقيدا) .

[2] في المطبوع : أطلقا .

[3] (تعالى) مكررة في (م) .

[4] في (خ) زيادة : (رحمه الله) .

[5] انظر : مدارج السالكين (1/336) .

[6] يوجد في (خ) بعد كلمة (ورد) كلمة غير واضحة ، كأنها (كذلك) .

[7] في (خ) وقف هنا .

مقولة بسبب تسمية آدم ابنه : بعبدالحارث[1] ، وهو إبليس والقصة معلومة[2].

قال البغوي[3]: " كقول الرجل لضيفه : أنا عبدك ، وليس الشرك الضار، بالاتفاق" . وكقوله : " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب

---

[1] في المطبوع : عبدالحارث .

[2] قال ابن كثير : " يذكر المفسرون ها هنا آثارا وأحاديث سأوردها وأبين مافيها ، ثم نتبع ذلك بيان الصحيح في ذلك - إن شاء الله وبه الثقة- :

قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي قال : " لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سميه عبد الحارث فأنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره " ، وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث

به ، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به ، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه. ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا . وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعا . قلت : وشاذ هو: هلال و" شاذ " : لقبه ، والغرض أن هذا الحديث معلول به من ثلاثة أوجه :

أحدها - أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري ، وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا - فالله أعلم - .

الثاني - أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا ، كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه ، وحدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم ابنه عبد الحارث .

الثالث - أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه، قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمر وعن الحسن (جعلا له شركاء فيما آتاهما) ، قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم . وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال : قال الحسن : " عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني جعلا له شركاء فيما آتاهما " . وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : "هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا " ، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن -رضي الله عنه- أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما

بعض"[1] ، وقوله : " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[2] و : " من أتى حائضا فقد كفر"[3] ، وما أشبه ذلك كقوله : "ثنتان هما في الناس

مع تقواه لله وورعه ، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل : كعب ، أو وهب بن منبه ، وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم .

فأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادا فيعبدهم لله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت ، فأتاهما إبليس فقال : إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش ، قال فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ، ففيه أنزل الله يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة ...إلى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما) - إلى آخر الآية.

وقال العوفي عن ابن عباس ، قوله في آدم : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة إلى قوله فمرت به) شكت حملت أم لا ، : (فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن أتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) ، فأتاهما الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون أبهيمة أم لا ؟ وزين لهما بالباطل إنه غوي مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأول ، فسميا ولدهما عبد الحارث ، فذلك قول الله تعالى: (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآية .

وقال عبد الله بن المبارك : عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) ، قال : قال الله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها) آدم (حملت) : أتاهما إبليس لعنه الله ، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إبل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما ، فسمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا ، ثم حملت يعني الثانية ، فأتاهما أيضا ، فقال : أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت ، لتفعلن أو لأفعلن يخوفهما، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد فسمياه عبدالحارث ، فذلك قوله تعالى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم .

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا سعيد يعني ابن بشير، عن عقبة ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ،

كفر: الطعن في النسب ، والنياحة على الميت"[1] رواه مسلم .

وقد ذكر مسلم في أول صحيحه جملة أحاديث فيها إطلاق الكفر على المحرم وعلى

قال : " لما حملت حواء أتاها الشيطان ، فقال لها : أطيعيني ويسلم لك ولدك ، سميه عبد الحارث، فلم تفعل ، فولدت فمات ، ثم حملت ، فقال لها مثل ذلك ، فلم تفعل ، ثم حملت الثالثة ، فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة ، فهيبهما فأطاعا " .

وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله أنه قال : " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم " رواه البخاري . ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام :

- فمنها ماعلمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسول الله .
- ومنها ماعلمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا.
- ومنها ماهو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام : "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " ، وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ، لقوله : " فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" ، وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث ، فيه نظر : فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رحمه الله - في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ؛ ولهذا قال الله : (فتعالى الله عما يشركون) ، ثم قال : فذكر آدم وحواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ، = وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس ، كقوله : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) -الآية ، ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست التي يرمى بها وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ، ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم " تفسير ابن كثير(2/434-436) .

وضعف هذه القصة أيضا ابن القيم في روضة المحبين (289) ، والقرطبي في التفسير(7/214-215) ، وانظر: تفسيرالنسفي (2/90) ، تفسيرالشنقيطي " أضواء البيان " (2/341) .

وقال الشيخ ابن عثيمين : وهذه القصة باطلة من وجوه :

[الوجه الأول] أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ، وهذا من الأخبار التي لا تتلقى إلا بالوحي ، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة : إنها خرافة مكذوبة موضوعة .

[الوجه الثاني] أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء ، لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه ، فإن قلنا ماتا عليه ، كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة :

إذا ما ذكرنـــا آدم وفعاله   وتزويجـه بنتيـه بابنيـه بالخنـا
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر   وأن جميع الناس من عنصر الزنا

المكروه أولها العلماء بكفر النعمة ، والمراد [و][1] المستحل لهذه المعصية وهي متفق على تحريمها.

فإذا كان كلام المعصوم الذي لا يترك من قوله اتفق العلماء على تأويل إطلاقه ما يوهم

فمن جوز موت أحد من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية ، وإن كانا تابا من الشرك فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه .

[الوجه الثالث] أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء .

[الوجه الرابع] أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة ، فيعتذر بأكله من الشجرة : وهو معصية ، ولو وقع منه الشرك ؛ لكان اعتذاره به أقوى و أولى وأحرى .

[الوجه الخامس] أن في هذه القصة : أن الشيطان جاء إليهما وقال : " أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة "، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء ، وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله ، فإذا قال : " أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة " ، فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما ، فلا يقبلان منه صرفاً ولا عدلاً .

[الوجه السادس] أن قوله في هذه القصة : " لأجعلن له قرني إبل " : إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه ؛ فهذا شرك في الربوبية لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله ، أو لا يصدقا ؛ فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه .

[الوجه السابع] قوله تعالى : (فتعالى الله عما يشركون) بضمير الجمع ، ولو كان آدم وحواء ؛ لقال:عما يشركان .

فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها ، وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال ، والأنبياء منزهون عن الشرك مبرؤون منه باتفاق أهل العلم ، وعلى هذا ؛ فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلى بني آدم الذين أشركوا = شركاً حقيقياً ، فإن منهم مشركاً ومنهم موحداً . انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (3/84-86) .

[3] ? هو : الحسين بن مسعود بن محمد ، العلامة أبو محمد البغوي ، الفقيه الشافعي ، يعرف بابن الفراء ، ويلقب بمحيي السنة وركن الدين ، كان إماما في التفسير والحديث والفقه ، وله من التصانيف (معالم التنزيل في التفسير وهو التفسير المشهور بتفسير البغوي ، وشرح السنة ، والمصابيح ، والجمع بين الصحيحين ، والتهذيب في الفقه) ، وكانت وفاته في شهر شوال سنة (516هـ) ، وقد جاوز الثمانين بمرو الروذ – مدينة من مدائن خراسان - . انظر : طبقات الشافعية(7/75) ، سير أعلام النبلاء (19/441) ، طبقات المفسرين (1/161) .

[1] رواه البخاري في عدة مواضع ، منها [كتاب العلم / باب : الإنصات للعلماء] (1/56) ، ومسلم [كتاب الإيمان/ باب : بيان معنى قول النبي "لا ترجعوا بعدي كفارا..."] (1/81-82).

الإخراج من الملة ، فكيف غير المعصوم ممن هو من أوسط[1] طبقات العلماء إذا أطلق القول بذلك ، كيف لا يؤول كلامه ؟ مع أنه ما قصر، جزاه الله خيرا ، بين[2] أتم بيان .

فقد تحقق عندك من نقل عباراتهما[3] أنهما لا يحكمان على أحد بالشرك أو الكفر إلا ومرادهما الأصغر ممن يعتقد الشهادتين ، وهذا الأصغر لا يتحقق عندهما إلا بشروط : أن لا يكون الفاعل مجتهدا ، ولا[4] مقلدا ، ولا[5] مؤولا[6]، ولا له شبهات يعذره الله فيها ، ولا جاهلا، ولا له حسنات تمحو هذه الخطيئة ، ولا يبتلى[7] بمصائب مكفرة إلى غير ذلك، كما قدمناه لك من كلامهما، ومن اتصف بشيء من هذه الأمور

---

[2] رواه البخاري في عدة مواضع ، منها [كتاب الأدب/ باب : ما ينهى من السباب واللعن] (5/2247) ، ومسلم [كتاب الإيمان/ باب : قول النبي "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"] (1/81).

[3] رواه الترمذي [أبواب الطهارة/ باب : ما جاء في كراهية إتيان الحائض] (1/243) ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم . وأبو داود [كتاب النكاح/ بدون ذكر الباب] (2/251) . وابن ماجة [كتاب الطهارة/ باب :النهي عن إتيان الحائض] (1/209) ، والإمام أحمد في المسند (2/408،476) ، وصححه الألباني في عدة مواضع منها : صحيح سنن ابن ماجة (1/198) .

[1] رواه مسلم [كتاب الإيمان/ باب : إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة] (1/82).

[1] لم تثبت في (خ) ، ولا المطبوع . وهو الصواب .

[1] في المطبوع : وسط .

[2] في المطبوع : بل بين.

[3] في المطبوع : عبارتهما .

[4] في (خ) والمطبوع : أو .

[5] في (خ) والمطبوع : أو .

[6] في المطبوع : ولا مقلدا ، ولا مؤولا.

[7] في المطبوع : ولم يبتل.

[فهو][1] مغفور له ، ومثاب على فعله ، فقاتل الله من ينقل عنهما خلاف مذهبهما.

والجواب[2] :

سقنا كلام العراقي ؛ ليعلم الواقف عليه حاصل ما عند هذا المفتري ، وأنه في ظلمات الجهل ، والشرك ، والهوى ، وفي كلامه من الهجنة[3]، واختلال النسق والنظام ما يستبين به أنه أجنبي عن هذه الصناعة ، وأنه مزجي التجارة والبضاعة ، فلله الحمد لا أحصي ثناء عليه ، خذل هؤلاء الحيارى بعدله وحكمته ، وأقام الحجة وأوجب[4] الشكر على أهل فضله ونعمته .

أما اعتراضه على شيخنا في قوله : " إن السيد يطلق بمعنى الإله، وإن العرب تقصد من لفظ الإله ما يقصده كثير من أهل هذا الوقت بلفظ (السيد) " .

فهذا اعتراض باطل ، نشأ من جهل المعترض باللغات والاصطلاحات ، والأوضاع العرفية ، والعبرة بالمعنى والحقيقة وإن تغيرت اللغة ونقلت لاصطلاح أو عرف[5] ، والاسم الواحد قد يختلف معناه لاختلاف مسماه ، فيكون له معنى في أصل اللغة ، ثم يخصه الاصطلاح[6] بمعنى أخص ، ثم ينقله العرف الحادث ، والحكم يدور مع علته .

من عبد شيئا وتألهه وقال : هذا مولى ، أو ولي ، أو سيد ، لم يغير ذلك الاسم حقيقته وأنه إله معبود ، وكلام الشيخ لا يدل إلا على هذا ، وليس فيه أن السيد في كل لسان ، وكل لغة يقصد به[7] الإله ، هذا كذب وبهت على الشيخ ، لم [يقله][8] ولا دل عليه كلامه ، وهذا العراقي أفاك أثيم قد خلع جلباب الحياء والدين .

---

[1] في (خ) : فهذا .

[2] في المطبوع : الجواب أن يقال .

[3] الهجنة من الكلام ما يعيبك ، و الهجين : العربي ابن الأمة لأنه معيب ، وقيل : هو ابن الأمة الراعية ما لم تحصن ، فإذا حصنت فليس الولد بهجين . انظر: لسان العرب (8/4626) .

[4] في المطبوع : وواجب .

[5] في المطبوع سقط من قوله : (والعبرة ....أو عرف) .

[6] في المطبوع : لا يخصه إلا الاصطلاح .

[7] في المطبوع : بها .

[8] في (خ) : يقلد . وهو تصحيف .

وإنما قال الشيخ : " إن المشركين الأولين يقصدون[1] من لفظ الإله ما يقصده أهل زماننا بلفظ السيد "[2] ، وهذا صحيح : فإن السيد عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يدعى ويستغاث به في الشدائد ويرجى للنوازل ، ويحلف باسمه ، وينحر له على وجه التعظيم والقربة ، وبعضهم يطلق على ذلك اسم الولي ؛ كما هو اصطلاح كثير من أهل مصر[3]، وبعضهم يسمي هذا المعنى السر، فيقول : فلان فيه سر ، ومن أهل السر[4]. وهذا مشهور ومعروف[5] .

والاصطلاحات تحدث ، واللغات تختلف ، والفقهاء أطلقوا الأحكام المترتبة على المعاني والمقاصد ، وإن اختلفت الأسماء وتغيرت اللغات ، في باب البيع ، والنكاح ، [والردة][6] ، والقذف ، والشهادة ، والحكم بالإسلام فيمن قال : صبأت ونحوه ، وإن لم يحسن أن يقول : أسلمت ، كما حكم في بني جذيمة[7]، والحكم

---

[1] في المطبوع : كانوا يقصدون .

[2] ونص كلام الشيخ هو : " وأما قولي إن الإله الذي فيه السر : المعلوم أن اللغات تختلف ، فالمعبود عند العرب ، والإله الذي يسمونه عوامنا السيد والشيخ والذي فيه السر ، والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميها عوامنا السر ؛ لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر ، وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه ، فإذا قال رسول الله : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " ، وسأل بعض العامة ما فاتحة الكتاب ؟ ما فسرت له إلا بلغة بلده ، فتارة تقول : هي فاتحة الكتاب ، وتارة تقول : هي أم القرآن ، وتارة تقول : هي الحمد ، وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد ، ولكن إن كان " السر " في لغة عوامنا ليس هذا ، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم ، فهذا وجه الإنكار فبينوا لنا ، والحمد لله رب العالمين " كشف الشبهات (76) .

[3] في المطبوع : اصطلاح أهل مصر .

[4] السر : لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن ، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة ، يقول الصوفية : اعلم أن ثمة روحا آخر ألطف من هذه الأرواح كلها، وهي لطيفة داعية لهذه الأطوار إلى الله ، وهذا الروح لا يكون لكل واحد بل هو للخواص .

انظر: التعريفات للجرجاني(123) ، كشاف اصطلاحات الفنون(2/353) ، التوقيف على مهمات التعاريف (402) .

ومعنى السر هنا : النفع بالقوة والتأثير . انظر : تأسيس التقديس للبابطين (57) .

[5] في (خ) ، و في المطبوع : مشهور معروف .

[6] في (خ) : ومراده . وهو تصحيف .

[7] ? وقصة بني جذيمة كما يرويها البخاري : عن سالم عن أبيه قال : بعث النبي خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره ، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي فذكرناه ، فرفع النبي يديه فقال : " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، مرتين " . رواه البخاري [كتاب المغازي/ باب : بعث النبي

أشهر من أن يذكر ، وسياق كلام الفقهاء يطول ، والشيخ لم يقل ما حكى العراقي عنه ، وإنما قال ما [حكينا][1]، وإذا استعمل "السيد" في معناه اللغوي فالشيخ أعقل وأعلم بالله وحدود ما أنزل على رسوله من أن يمنع ما تواتر نقله ، واشتهر وضعه، وقاله الشارع المخبر عن الله ، فقد ذكر في كتاب " التوحيد " جواز ذلك للعبد والأمة ، وإن منع منه[2] مالك -رحمه الله- كما تقدم ، والمقصود إبطال اعتراضه وبيان جهله وضلاله.

وأما قوله : رأيت في كتب متعددة عن بعض المعاصرين له[3] أنه أحرق دلائل الخيرات - إلى آخر عبارته – فيقال : لولا الجهل والهوى ، واختيار الضلال على الهدى ، لما نقلت كلام خصومه[4] المجاهرين له بالعداوة ، المصرحين له بالمسبة ، ولما أقدمت على ما فيها ، وحكمتها[5] بغير هدى ولا برهان ، وما زال أهل الشرك وأهل البدع وأهل الفجور ، بل وأهل العداوات الدنيوية يرمى بعضهم بعضا ، ويفتري بعضهم على بعض ، ومن عرف الناس تبين له حقيقة ذلك ، ومن أعماه الهوى ضل عن سبيل الرشاد والهدى .

وفي كلامه من الكذب نسبة التحريق إلى الشيخ[6]، وقد صرح -رحمه الله- في رسائله المعروفة أنه لم يحرقها ، وإنما أمر بالاشتغال بما ورد من الصيغ الشرعية ، والألفاظ النبوية في الصلاة والسلام على خير البرية ، ونهى عن الغلو والإطراء الذي نهى عنه الشارع عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[7].

وفي كلامه[8] من الكذب قوله : إنه أحرق الدلائل ؛ لأن فيها اللهم صل على سيدنا ومولانا. وإنما نهى عنها ؛ لما فيها من الغلو كما يعرفه من وقف عليها ، وما فيها من الأحاديث التي لا

خالد بن الوليد إلى بني جذيمة] (4/1577) ، والنسائي في السنن الكبرى [كتاب القضاء/ باب : إذا قضى الحاكم بجور هل يرد حكمه] (3/474) ، والبيهقي في السنن الكبرى (9/115) .

1 في (خ) : حكيناه .

2 في المطبوع : سقطت (منه) .

3 في المطبوع : سقطت (له) .

4 في المطبوع : خصوم الشيخ .

5 في المطبوع : ولما أقدمت على حكايته لما فيه من الافتراء .

6 في المطبوع : للدلائل إلى الشيخ .

7 انظر : حاشية (ص568) .

8 في المطبوع : كلام العراقي .

تجوز نسبتها إلى رسول الله ﷺ [1] ، فتبين أن العراقي مخلط لا يدري ما يقول[2]

إذا [لم أنت][3] تفقه ولم تدر ما الهدى فأنت وعير في الفلاة سواء[4]

ومن الأكاذيب الظاهرة ، نسبة قوله : " ومن أكفر من صاحب الدلائل "؛ لتعبيره بهذه العبارة ، فهذا من جنس ما قبله ، وإذا اجتمع الضلال والهوى فقد استحكم البلاء والشقاء.

وأما قوله : فتأمل كلام الشيخين كيف لم يتفوها بالشرك المخرج عن الملة - فقد تقدم البيان والكشف عن شبهة هذا العراقي ، وأن كلام الشيخين في كل موضع فيه البيان الشافي : أن نفي التكفير بالمكفرات قولها وفعلها فيما يخفى دليله ، ولم تقم الحجة على فاعله ، وأن النفي يراد به : نفي تكفير الفاعل وعقابه قبل قيام الحجة ، وأن نفي التكفير مخصوص بمسائل النزاع بين [الأمة][5].

وأما دعاء الصالحين والاستغاثة بهم وقصدهم في الملمات والشدائد ، فهذا لا ينازع مسلم في تحريمه أو الحكم بأنه من الشرك الأكبر، وقد تقدم[6] عن الشيخ أن فاعله يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، كما في عبارة " الرسالة السنية " ، وتقدم قوله : " [من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم، كفر إجماعا "[7]، وتقدم قوله][8] في " الرد على المتكلمين : " وهذا إذا كان في المسائل الخفية فقد يقال : إنه خفي عليهم ، ولكنه يقع [منه][9] في مسائل يعلم الخاصة والعامة أن الرسول

---

[1] في المطبوع : النبي .
[2] في المطبوع : يقوله .
[3] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : أنت لم . وهو الصواب .
[4] أصل هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة :
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
ديوان عمر بن أبي ربيعة (356) . وينسب إلى الشعبي ، أنه كان يقول :
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فأنت وعير في الفلاة سواء .
حلية الأولياء (4/328) .
[5] ساقطة من كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع .
[6] في المطبوع : وتقدم .
[7] مجموع الفتاوى (1/124) .
[8] ما بين القوسين ساقط من (خ) .
[9] في المطبوع : منهم . وهو الصواب .

قد جاء بها "[1] [إلخ][2].. وهذا عين كلام شيخنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضاعف الله له[3] الثواب ، وأدخله[4] الجنة بغير حساب ، على رغم كل مبير[5] وكذاب ، والعراقي لم يفهم[6] هذا ؛ لغلظ فهمه وعدم علمه، بل هو يعتقد أن كلام أهل العلم وتقييدهم بقيام الحجة وبلوغ الدعوة ينفي اسم[7] الكفـر ، والشـرك ، والفجـور ، ونحو ذلك مـن الأفعـال والأقوال التي شملها[8] الشارع[9] بتلك الأسماء ، بل ويعتقد أن من لم تقم عليه الحجة يثاب على خطئه مطلقا ، وهذه من الأعاجيب التي يضحك منها اللبيب ، فعدم قيام الحجة لا يغير الأسماء الشرعية ، بل يسمى ما سماه الشارع كفرا ، أو شركا ، أو فسقا باسمه الشرعي ، ولا ينفى[10] عنه ، وإن لم يعاقب فاعله إذا لم تقم عليه الحجة ولم تبلغه الدعوة ، وفرق بين كون الذنب كفرا ، وبين تكفير فاعله ، فافهم هذا فإن العراقي خلط فيما مر، وخبط خبط عشواء[11] وسيأتيك في كلامه عبرة[12] لأولى الألباب .

وأما الثواب والأجر: فنصوص الشارع وكلام أهل العلم وكلام الشيخين صريح في أن ذلك غير حاصل لكل مخطئ ، بل هو مخصوص بمن اجتهد واتقى الله ما استطاع ، وهذا في المسائل الاجتهادية ، ومستنده قوله [illegible] : " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر" ، وقد دل الحديث على أن [الحاكم][13] المجتهد ، ونفي المؤاخذة بالخطأ والنسيان لا يلزم منه الإثابة بالاتفاق ، فاستصحب هذا معك فيما مر وما يأتي من الأبحاث ، فإن القوم زلت أقدامهم ، ولم يعقلوا عن الله ورسوله[14] ، ولا عن أهل العلم والإيمان ما يراد من

---

[1] مجموع الفتاوى (4/54، 18/54) .

[2] في كلا المخطوطتين كلمة غير واضحة ، والمثبت من المطبوع .

[3] في المطبوع : لنا وله .

[4] في المطبوع : وأدخلنا وإياه .

[5] المبير: أي المهلك الذي يسرف في إهلاك الناس .النهاية(1/161) ، لسان العرب(1/385).

[6] في(خ) والمطبوع : يفقه .

[7] في (خ) : اللهم . وهو تصحيف .

[8] في المطبوع : سماها ، وهو الأصوب .

[9] في (خ) : الشرع .

[10] في المطبوع : ينفيه .

[11] خبط البعير الأرض بيده ضربها، ومنه قيل: خبط عشواء، وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئا. لسان العرب (2/1093).

[12] في المطبوع : ما فيه عبرة .

[13] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : هذا للحاكم . وهو الصواب .

[14] في (خ) ، والمطبوع : ولا عن رسوله .

الكلام في هذه المباحث ، بل وفي[1] كل باب وشأن إلا أن يشاء ربي شيئا.

وأما قوله : بل ورد إطلاق الشرك في حق سيدنا آدم -عليه السلام- الذي هو نبي معصوم – فهذه العبارة من نوادر هؤلاء الضلال ، ومن أعجب ما يحكى ويقال . جزم بإطلاق الشرك على آدم -عليه السلام-، ثم قال : هو نبي معصوم ، ما زال هذا المعترض في [مشيمة][2] طبعه وجاهليته ، لم[3] يولد بعد .

هذا جمع بين النقيضين ، وجهل لا يخفى على ذي سمع وعين ، من قال بالعصمة مطلقا فقد أوّل هذه الآية ، وحملها على غير آدم وحواء ؛ كما هو معروف مقرر[4] عند أهل العلم والفتوى .

ومن قال بوقوع ذلك من آدم وحواء نفى القول بالعصمة مطلقا :(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)(طه :115) .

ثم في عبارة العراقي من الهجنة وسوء التعبير ما يقضي بأنه أسوأ الذرية وأقلهم أدبا مع الأب الأول الأكبر ، كيف يقول : ورد إطلاق الشرك في حق آدم ؟! والله تعالى يقول : (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا)(الأعراف :190) ، والعراقي جاهلي اللسان أغلف الجنان[5]، والله سبحانه وتعالى[6] لم يذكر آدم باسمه العلم رحمة منه وتشريفا له ولبنيه من صالح الأمم ، بل أتى بالضمير الدال على التثنية ، وفرق بين ذلك وبين الإفراد في مثل هذا المقام ، ولم يطلق الشرك بل قيده بقوله : [فلما][7] آتاهما ، والعراقي يقول : " أطلق الشرك " فافهم ما في كلامه من الكذب على الله ، وبهت أبيه آدم وعقوقه.

---

[1] في المطبوع : ولا في .

[2] في (خ) : كلمة غير واضحة كأنها (مشتمر) . والمشيمة : من شام السيف من غمده إذا سله، و يقال لما يكون فيه الولد : المشيمة والكيس والحوران والقميص .

انظر: الفائق في غريب الحديث (2/47) ، لسان العرب (2380/4-2381) .

[3] في المطبوع : ولم .

[4] في المطبوع : ومقرر .

[5] قلب أغلف : بيّن الغلفة ، كأنه غشي بغلاف ، فهو لا يعي شيئا ، وقيل : عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله . انظر: لسان العرب (6/3282) ، النهاية(3/379) .

[6] (وتعالى) : ساقطة من المطبوع .

[7] في المطبوع : فيما . وهو الصواب .

وأما قوله : قال البغوي : كقول الرجل لضيفه : أنا عبدك ، وليس الشرك الضار- أقول في جوابه : قد جنى هذا العراقي على البغوي جناية لا تقال عثرتها، ولا جبار لجرحها ، أخذ بعض[1] كلامه وحرّفه ، وأخرجه عن نسقه ونظامه.

والبغوي أجل من أن يقول لشيء من الشرك ليس بضار بالاتفاق ، هذه لا تصدر عمن يعقل ما يقول ، فضلا عن الأكابر والفحول .

وعبارة البغوي نصها : " أي جعلا له شريكا إذ سمياه عبد الحارث ، ولم يكن هذا شركا في العبادة ، و[لأن][2] الحارث ربهما ، فإن آدم كان نبيا معصوما من الشرك ، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته[3]، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك ، كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود ، كما أن الرجل إذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع ، لا على أن الضيف ربه ، ويقول للغير: أنا عبدك .

وقول يوسف - عليه السلام - لعزيز مصر: " إنه ربي " ، لا يراد به أنه معبوده ، كذلك[4] هذا "[5] انتهى .

وحاصله أن الحقيقة لم تقصد ، وإنما هو على سبيل التواضع . هذا حاصل كلامه .

فالعراقي حرفها- أي : العبارة -[6] وزاد فيها ونقص ، كما فعل بنقوله عن شيخ الإسلام ، فالعراقي لا تؤمن بوائقه ، فلا تغتر بنقله ، ولا تأخذ عنه، فإنه وضاع كذاب محرف لا يؤمن على شيء من العلم .

وأما قوله : وكقوله : " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " ، وقوله : " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" ، و : " من أتى حائضا فقد كفر " ، وقوله : " ثنتان في الناس هما [بهم] كفر[7] " .

---

[1] (بعض) : ساقطة من المطبوع .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : ولا أن . وهو الصواب .

[3] في المطبوع : وسلامة أمه .

[4] في المطبوع : وكذلك .

[5] تفسير البغوي (3/313-314).

[6] في المطبوع : حرف العبارة .

[7] في المطبوع : (ثنتان هما في الناس كفر) .

فإن كان هذا عند العراقي كفرا ليس بضار لا يعاب على فاعله ولا يعار، فقد أراح خصمه من التعب والجواب وأعلن بحقيقة ما عنده وما يذهب إليه في تلك المسائل الصعاب[1]. من كان هذا حاصله فهو ممن لم يتميز عن سائمة الأنعام ، إلا بمجرد الصورة والهيولي[2] ، فإن هذه الألفاظ النبوية ، والصيغ الشرعية يجب الإيمان بها وتلقيها بالقبول والتسليم ، وأهل العلم متفقون على أنها من كبائر الذنوب ، بل من أفحش الكبائر، فإن إطلاق الكفر على الذنب أو على فاعله يدل على غلطه[3] في نفسه وعظيم فحشه ، ولم يقل أحد من أهل العلم إنه كفر غير ضار، بل ولا يقوله جاهل، ولا ذمي يؤمن بأحد من الأنبياء ، ولم تنته جهالتهم في هذا المبحث إلى ما انتهت إليه جهالة العراقي وضلالته.

والذي حكاه الإمام أحمد وارتضاه : تلقي هذه الأخبار بالإيمان والتسليم ، وترك التعرض لتفسيرها ، كما ذكره في رسالته إلى مسدد بن مسرهد[4]، وغيرها ، ونقله عنه[5] شيخ الإسلام وغيره .

وبعض الناس تعرض لتأويلها وإنها من الكفر العملي لا الاعتقادي ، مع اعترافه بأنها من أغلظ الذنوب وأكبرها.

وأما تأويلها بكفر النعمة فهو ضعيف جدا ، إذ ما من معصية وذنب يفعله المكلف المختار إلا وفيه من كفر النعمة بحسبه ، والشكر هو استعمال النعمة في طاعة معطيها ومسديها مع محبته والرضا عنه والثناء بها عليه ، [والشكر ضد الكفر ، فمن أخل بشيء من الشكر ففيه من كفر النعمة بحسب ذلك ،

---

[1] في المطبوع : الممتنعة الصعاب .

[2] الهيولي : قيل أنه عربي مشتق على وزن " فيعولي " ، والصحيح : أنه لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة . وفي الاصطلاح : جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ، محل للصورتين الجسمية والنوعية ، ويأتي بمعنى المحل ، يقال للفضة هيولي الخاتم والدرهم، والخشب هيولي الكرسي، أي : هذا المحل الذي تصنع فيه هذه الصورة ، وهذه الصورة الصناعية عرض من الأعراض . انظر: التعريفات للجرجاني (379) ، كشاف اصطلاحات الفنون (4/399)) ، المعجم الفلسفي(2/536) ، شرح قصيدة ابن القيم (2/45) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (1/277) .

[3] في المطبوع : غلظه . وهو الأصوب .

[4] هو : مسدد بن مسرهد بن مسربل أبو الحسن الأسدي البصري أحد أعلام الحديث ، ولد في حدود (150هـ) ، وكان من الأئمة الأثبات ، روى له الجماعة سوى مسلم وابن ماجة ، توفي سنة (228هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء(10/591) ، طبقات المحدثين (1/91) .

ورسالته لمسدد بن مسرهد في طبقات الحنابلة (1/341) .

[5] (عنه) : ساقطة من المطبوع .

فتحصل أن كفر النعمة][1] لا يختص بما أطلق عليه الشارع الكفر من الأفعال ، فلا بد للنص من معنى يخصه وحكمة في تخصيص بعض الأفراد ، وهذا معلوم بالشرع والفطرة ، إذ تخصيص بعض أفراد الجنس بحكم من غير مخصص يقتضي ذلك تحكم محض ، وترجيح بلا مرجح .

وأما قوله : وذكر مسلم أحاديث فيها إطلاق الكفر على المحرم ، وعلى المكروه – فقد كذب على مسلم ، وكذب على رسول الله[2] ﷺ في زعمه أنه أطلق الكفر على المكروه بالمعنى الاصطلاحي الذي يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله ، وإنما تطلق الكراهة في عرف القرآن والسنة على الكفر والشرك والكبائر وسائر المحرمات ، كما في آية الإسراء ، وكما في الحديث : " ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال "[3].

وأما قوله : وإذا كان كلام المعصوم الذي لا يترك من قوله – اتفق العلماء على تأويل إطلاقه[4] ما يوهم الإخراج من الملة ، فكيف غير المعصوم؟

فيقال : حكاية الاتفاق على ما ذكر تهور في الكذب على أهل العلم كافة، واقتحام [لحبله ثم][5] الوعيد المنصوص عليه بقوله[6]:(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَاذِبُونَ)(النحل :105) ، وقوله : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) (الأحزاب: 58) ، وقد حمى الله أهل العلم عن الاتفاق على تأويل الإطلاقات النبوية من غير نص يجب المصير إليه ، وقد تقدم عن الإمام أحمد أنه حكى عن السلف إمرار هذه الأحاديث كما جاءت من غير تعرض لتأويلها[7].

---

[1] مابين القوسين ساقط من (خ) .

[2] في المطبوع : الرسول .

[3] رواه البخاري [كتاب الزكاة / باب : قول الله تعالى : " لا يسألون الناس إلحافا"] (2/537) ، ومسلم [كتاب الأقضية / باب : النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة...] (3/1340) ، واللفظ له .

[4] في المطبوع : إطلاق .

[5] في (م) : غير واضحة . والمثبت من (خ) . وفي المطبوع : (لجرائم) ولعله الأصوب .

[6] في المطبوع : بقوله تعالى .

[7] انظر: شرح أصول السنة للالكائي (1/59) ، الاعتقاد للبيهقي(1/251) ، طبقات الحنابلة (1/245) رسالة عبدوس .

ومن قال : هي كفر عملي لم يتأول ، ولكنه يرى أن إطلاق الكفر على مثل ذلك حقيقة شرعية ، كما يعلم بالوقوف على كلامهم رحمهم الله[1]، فطالعها في أماكنها تجد ما قلناه ، ويتضح لك ما قررناه .

وأما قـوله فـي الشيـخ وتلميـذه : إنـه مـن أوسـط طبقات العلمـاء – فكأنـه يـريد أنهمـا ليسـا مـن الطبقـة العليـا ، بـل دون ذلك . وما أحسن ما قال جرير[2]:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ... ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجـدل[3]

وأما قوله : فقد تحقق عندك من نقل عباراتهما أنهما لا يحكمان على أحد بالشرك أو الكفر، إلا ومرادهما : الأصغر ممن يعتقد الشهادتين ، إلى آخره - فقد تقدم لك البيان أن هذا جهل وتخبيط وضلال ، وأنه لم يفهم كلام الشيخ ، ولم يعرف موضوعه وما أريد به ، وكيف لا يحكم الشيخان على أحد بالكفر أو الشرك وقد حكم الله[4] ورسوله وكافة أهل العلم !

وهذان الشيخان يحكمان أن من ارتكب ما يوجب الكفر والردة والشرك يحكم عليه بمقتضى ذلك ، وبموجب ما اقترف كفرا أو شركا أو فسقا ، إلا أن يقوم مانع شرعي يمنع من الإطلاق ، وهذا له صور مخصوصة ، لا يدخل فيها من عبد صنما أو قبرا أو بشرا أو مدرا[5] ؛ لظهور البرهان ، وقيام الحجة بالرسل ، والعراقي أجنبي عن هذا كله لا يدري ما الناس فيه ، وإن ظن أنه من ورثة العلم وحامليه .

جهـد المغفل في الزمان مضيـع ... وإن ارتضى أستـاذه وزمانه

---

[1] في(خ) : الله تعالى .

[2] هو : جرير بن عطية بن الخطفي التميمي ، الشاعر المشهور، كان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، وهو أشعر منه عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن ، توفي سنة (111هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء (4/590) ، وفيات الأعيان (1/321) .

[3] هذا البيت للفرزدق وليس لجرير . انظر : خزانة الأدب (1/14) .

[4] في المطبوع : به الله .

[5] ? في (خ) : كلمة غير واضحة .
والمدر : قطع الطين اليابس ، وقيل : الطين العلك الذي لا رمل فيه ، واحدته مدرة . انظر: لسان العرب (7/4159) .

كالثور في الدولاب يسعى وهو لا   يدري الطريق فلا يزال مكانه[1]

وقول[2] العراقي : فقاتل الله من ينقل عنهما خلاف مذهبهما- وهذا استفتاح من العراقي على نفسه ، إذ هو الفاعل لذلك ، المجتهد في تحريف كلامهما وإخراجه عن موضوعه ، ونقل ما لم يقل[3] ولم يذهب إليه ذاهب ، قال تعالى : (فَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)(إبراهيم: 15) .

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، ونسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك .

وهذه النقول التي تقدمت عن العراقي أكثرها مكرر لا يحتاج لمزيد جواب، وإنما قصدنا بما أوردنا من الإطناب في محله تنبيه السامع وإيقاظ الغافل، والإطناب يحسن في محله لحاجة السامع ، وضرورة الطالب ، وفيما يهتم به من الأمور التي تشتد حاجة العبد إليها ، كما يستفاد من أسلوب الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ثم إن العراقي بعد فراغه من نقوله شرع يستدل على جواز دعاء الصالحين، والاستغاثة بهم ، وطلب الحوائج منهم ، على [أنه][4] واسطة بين العباد وبين الله في الحاجات والملمات والشدائد ، وزعم أن هذا ليس بشرك وإنما هو توسل ونداء مستحب شرعا ، و[كبر][5] خمسين دليلا يزعم أنها تدل على دعواه، وتنصر ما قاله وافتراه ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وتعالى الله عما يقول الظالمون . وسنتكلم عليها بما يسر[6] الله لضرورة اقتضت ذلك ، وإن كنت لست من رجال تلك المناهج والمسالك .

ولكن البلاد إذا اقشعرت   وصوح[7] نبتها رعي الهشيم[8]

---

1 لم أجده فيما اطلعت عليه من المراجع .

2 في المطبوع : وقال .

3 في المطبوع : يقولا .

4 في المطبوع : أنهم . وهو الصواب .

5 هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (ذكر) وهو الصواب .

6 في المطبوع : يسره .

7 صوح : يبس . انظر : لسان العرب (4/2522) .

8 القائل : أبو علي البصير. واسمه دعبل بن علي الخزاعي . انظر: ديوانه (ص170) .

قال العراقي :

الباب الثاني

في أدلة المجوزين للاستغاثة والتوسل بالأنبياء والصالحين والنذر لهم ، على أن المراد لوجه الله والثواب لهم، والحلف بغير الله وما أشبه ذلك ، وبيان أدلتهم من الكتاب والسنة وأفعال السلف الصالح وأقوالهم .

وهذا الباب إنما نذكره ليتضح لك وجه استنادهم ، ويتبين وجه كون[1] الشيخين يعذران فاعل ذلك لأجل هذه الأدلة ، وقد ذكر جملة منها شيخ الإسلام ابن تيمية في عبارته السابقة ، وقد تقدم عنه في اعتذاره عمن يفعل ذلك : أنه لعله لم تثبت عنده النصوص ، أو عارضها معارض عنده ، وهذه الأدلة معارضة لأدلة المانعين ، فتكون لهم حججا يعذرهم الله لأجلها.

اعلم أن المجوزين مرادهم جواز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين أنهم أسباب ووسائل بدعائهم ، وأن الله يفعل لأجلهم ، [لأنهم][2] الفاعلون استقلالا من دون الله فإن هذا كفر

---

1 في المطبوع : لك كون .

2 هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (لا أنهم) وهو الصواب .

بالاتفاق ، ولا يخطر ببال مسلم جاهل فضلا عن عالم ، بل ليس هذا خاصا بنوع الأموات ، فإن الأحياء وغيرهم من الأسباب العادية ، كالقطع للسكين ، والشبع للأكل، والري للماء والدفء للبس لو اعتقد أحد أنها فاعلة ذلك بنفسها من غير استنادها إلى الله يكفر إجماعا.

ثم استدل العراقي بأن السبكي ، والقسطلاني[1] في [الواهب][2] ، و[السنهودي][3] في " تاريخ المدينة " ، وابن حجر في " الجوهر المنظم" قالوا : والاستغاثة به ﷺ وبغيره في معنى التوسل إلى الله بجاهه ووسيلته ، أو بأن يدعو الله كما في حال الحياة إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من سأله ، والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره

---

[1] هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري الشافعي ، ولد سنة (851هـ) بمصر ، ونشأ بها وحفظ القرآن ، من تصانيفه (العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية ، وشرحا على الشاطبية زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة ، وشرحا على البردة سماه الأنوار المضية ، وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري ، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية) توفي سنة (923 هـ) . انظر: شذرات الذهب (4/121) ، البدر الطالع (1/102) ، الأعلام (1/232) .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف ، وفي المطبوع : (المواهب) ، وهو الصواب .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (السمهودي) وهو الصواب .

وهو : نور الدين علي بن محمد السمهودي الشافعي ، ولد في سمهود – بصعيد مصر – ، ونشأ في القاهرة، واستوطن المدينة ، وتوفي بها سنة (911هـ) ، من كتبه (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تاريخ المدينة ، و جواهر العقدين) وغيرها . انظر: شذرات الذهب (8/50) ، الضوء اللامع (5/245) ،الأعلام (4/307) .

ممن هو أعلى منه ، وليس لها في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بها أحد سواه ، والمستغاث به في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى[1] مستغاث ، والغوث منه تسببا وكسبا ، ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - : " قوموا بنا نستغيث برسـول اللـه ﷺ مـن هـذا المنافـق ، فقــال رســول اللــه[2] ﷺ : " إنـــه لا يستغـــاث بـــي ، إنمــا[3] يستـغــاث باللـه عـــز وجــــل[4]" "[5] ؛

---

[1] في المطبوع : الله تعالى .

[2] (رسول الله) ساقطة من المطبوع .

[3] في (خ) : وإنما .

[4] في المطبوع : سقطت (عز وجل) .

[5] رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في المجمع (10/159) عن عبادة بن الصامت ، ولم أجده في المطبوع منه ولعله في الأجزاء غير الموجودة ، ورواه الإمام أحمد في المسند (5/317) ، وابن سعد في الطبقات (1/387) عن عبادة بلفظ : " إنه لايقام لي بل يقام لله تبارك وتعالى " ، ورواه ابن أبي حاتم (8/244) بلفظ أحمد وفيه قصة طويلة ، في تفسير سورة الأنبياء ، عند قوله تعالى : (بل قالوا أضغاث أحلام) ، وعزاه له ابن كثير في نفس الموضع (3/174) ، وقال : هذا الحديث غريب جدا. والحديث ضعيف لأن مداره في جميع الطرق على ابن لهيعة – وهو ضعيف - ، وفيه رجل لم يسم ، وبهذا أعله الهيثمي في المجمع (8/40) . وفي " تلخيص الاستغاثة " كلام مهم حول هذا الحديث ، حيث قال : " هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه بل ذكر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة ، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل معلوم ذكر ما يوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك لما في ذلك من الاعتضاد والمعاونة ، لا لأن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي .

ولهذا كان العلماء متفقين على جواز الاعتضاد والترجيح بما لا يصلح أن يكون هو العمدة من الأخبار التي تكلم في بعض رواتها لسوء حفظ أو نحو ذلك ، وبآثار الصحابة والتابعين، بل بأقوال المشايخ والإسرائيليات والمنامات مما يصلح للاعتضاد ، فما يصلح للاعتضاد نوع وما يصلح للاعتماد نوع ، وهذا الخبر من النوع الأول فإنه رواه الطبراني في معجمه من حديث ابن لهيعة ، وقد قال أحمد : " قد كتبت حديث الرجل لأعتبر وأستشهد به مثل حديث ابن لهيعة " فإن عبد الله بن لهيعة قاضي مصر كان من أهل العلم والدين باتفاق العلماء ، ولم يكن ممن يكذب باتفاقهم ولكن قيل إن كتبه احترقت فوقع في بعض حديثة غلط ، ولهذا فرقوا بين من حدث عنه قديما وبين من حدث عنه حديثا ،

لأن في سنده ابن لهيعة[1] والكلام فيه مشهور . وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (الأنفال: 17) ، وقوله ﷺ : " ما أنا حملتكم ولكن الله

وأهل السنن يروون له ... وقد روى الناس هذا الحديث من أكثر من خمس مئة سنة إن كان ضعيفا ، وإلا فهو مروي من زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وما زال العلماء يقرؤون ذلك ويسمعونه في المجالس الكبار والصغار ولم يقل أحد من المسلمين إن إطلاق القول إنه لا يستغاث بالنبي - صلى الله عليه وسلم - كفر ولا حرام ، وكان في إيراده بيان تقدم تكلم العلماء والسلف بهذا اللفظ ، ولو كان عبد الله بن لهيعة ذاكرا لا آثرا ولم ينكره المسلمون عليه ؛ لكان في ذلك مستند لهذا الإطلاق ، فإن الرجل قاضي = =مصر في ذلك الزمان ، وهو من أكبر العلماء المفتين ونظير لليث بن سعد ، والغلط الذي وقع في حديثه لا يمنعه أن يكون من أهل الاجتهاد والفتيا مثل محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة ، وكان زمانهما متقاربا فإنه من أعيان الفقهاء المفتين وإن كان في حديثه ضعف ، وكذلك شريك بن عبد الله وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن وغيرهم من المشهورين بالفتيا إذا تكلم في حديثهم لم يمنع هذا أن يكونوا من المجتهدين المفتين إذا كان النزاع في إطلاق لفظ وقد أطلقه أحد هؤلاء العلماء إما آثرا وإما ذاكرا ، وسمعه الناس منه ونقلوه عنه ولم يعرف أن أحدا أنكره علم أن علماء المسلمين كانوا يتكلمون بمثل هذا اللفظ ، وأن المتكلم به ليس خارقا للإجماع ولا مبتدعا لفظه لم يسبق عليه . انظر: تلخيص " كتاب الاستغاثة " لابن كثير (153-155) . وقال ابن تيمية في " الفتاوى " عن ابن لهيعة : " إنه من أكابر علماء المسلمين ، وكان قاضيا بمصر ، كثير الحديث ، لكن احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه ، فوقع في حديثه غلط كثير مع أن الغالب على حديثه الصحة " (18/26) .

[1] هو : عبدالله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان أبو عبدالرحمن الحضرمي ولد سنة 97 ، روى عن عطاء ولأعرج وغيرهما ، كان قاضي مصر ، روى عنه الليث وابن المبارك ، وكان من بحور العلم على لين في حديثه ، قال الذهبي في الكاشف : " العمل على تضعيف حديثه " ، وقال الذهبي في " السير ": " لا ريب أن ابن لهيعة كان عالم الديار المصرية هو والليث معا ، كما كان الإمام مالك في ذلك العصر عالم المدينة ، والأوزاعي عالم الشام ، ومعمر عالم اليمن ، وشعبة والثوري عالما العراق ، وإبراهيم بن طهمان عالم خراسان ، ولكن ابن لهيعة تهاون بالإتقان وروى مناكير فانحط عن رتبة الاحتجاج به عندهم ، وبعض الحفاظ يروي حديثه ويذكره في الشواهد والاعتبارات والزهد والملاحم لا في الأصول ، وبعضهم يبالغ في وهنه ولا ينبغي إهداره وتتجنب تلك المناكير فإنه عدل في نفسه وقد ولي قضاء الإقليم في دولة المنصور دون السنة ، أعرض أصحاب الصحاح عن رواياته وأخرج له أبو داود والترمذي والقزويني ، وما رواه عنه ابن وهب والمقرئ والقدماء فهو أجود وثقه أحمد وغيره وضعفه يحيى القطان وغيره مات سنة 174هـ "

حملكم"[1]، أي : أنا وإن أستغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى ، وكثيرا ما تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة الأمر ، ويجيء القرآن لإضافة الفعل إلى مكتسبه كقوله ﷺ : " لن يدخل الجنة أحد بعمله "[2] مع قوله تعالى: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل:32) .

وبالجملة : إطلاق[3] لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو تسببا وكسبا أمر معلوم لاشك فيه لغة ولا شرعا ، فلا فرق بينه وبين التوسل حينئذ ، فتعين تأويل الحديث المذكور[4] لا سيما مع ما نقل أن في حديث البخاري في

وخلاصة حاله : أنه عدل في نفسه ، وكان حسن الحديث قبل احتراق كتبه ، إلا أنه كان يلقن كثيرا ويدلس ، فانحط حديثه عن رتبة الحسن وصار ضعيفا ، وازداد ضعفا بعد احتراق كتبه.

انظر: سير أعلام النبلاء (8/11) ، الكاشف (2/109) ، تهذيب الكمال للمزي (15/487) ، تهذيب التهذيب لابن حجر (5/327) ، موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، جمع : السيد أبو المعاطي النوري ، وزملاؤه (2/277-280) .

[1] رواه البخاري [كتاب الخمس/ باب : ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين] (3/1140) ، ومسلم [كتاب الأيمان / باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه] عن أبي موسى الأشعري قال : أتيت النبي ﷺ في رهط من الأشعريين نستحمله ، فقال : " والله لا أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه ، قال : فلبثنا ما شاء الله ، ثم أتي بإبل فأمر لنا بثلاث ذود غر الذرى ، فلما انطلقنا قلنا أو قال بعضنا لبعض : لا يبارك الله لنا ، أتينا رسول الله ﷺ نستحمله فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا ، فأتوه فأخبروه ، فقال : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم ، وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير" .

[2] رواه البخاري بلفظ مقارب في عدة مواضع منها [كتاب الرقاق / باب : القصد والمداومة على العمل] (5/2373) ، ومسلم [كتاب القدر/ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله](4/2169) ، والإمام أحمد في المسند (2/256، 473) ، وذكره بهذا اللفظ المناوي في " فيض القدير " (1/552 ، 2/133،144) .

[3] في المطبوع : فاطلاق .

[4] في المطبوع : لم يثبت (المذكور) .

الشفاعة يوم القيامة : " فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ"[1].

وقد يكون مع التوسل طلب الدعاء منه إذ هو حي[2] يعلم بسؤال من سأله، ويتسبب هو بشفاعته ودعائه، وذكر ابن تيمية فيما تقدم أن المصنفين في أسماء الله قالوا : " يجب على المكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الحقيقة إلا الله ، وأن الإغاثة وإن حصلت من غيره تعالى فهو مجاز وحقيقة له تعالى"[3] ، وقال أيضا : " والاستغاثة بمعنى أن يطلب منه ما هو اللائق بمنصبه ، لا ينازع فيها مسلم ، ومن نازع فهو إما كافر أو ضال"[4].

وهذا كما ترى محافظة على التوحيد ، واتباعا للوارد ، فالإنكار ساقط بهذا الاعتبار، وقد ذكر المجوزون أن جعل النبي الصالح[5] متسببا لا مانع من ذلك شرعا وعقلا ؛ لأن ذلك

---

[1] حديث الشفاعة متفق عليه ، رواه البخاري ومسلم في عدة مواضع ، وبألفاظ مختلفة ، واللفظ الوارد هنا رواه البخاري [كتاب الزكاة / باب من سأل الناس تكثرا] (2/536) .
وروى البخاري بنحوه [كتاب الأنبياء / باب : قوله – عز وجل - : (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه...)] (3/1215-1216)، ورواه مسلم [كتاب الإيمان /باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها] (1/183).

[2] في المطبوع : سقطت (حي) .

[3] انظر: الرد على البكري (214) .

[4] انظر: الرد على البكري (215) ، مجموع الفتاوى(1/110) .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : والصالح . وهو الصواب .

كله بإذن الله تعالى ، ومن [قرا][1] بالكرامة من الصالحين كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وأنها بإذن الله لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك ووقوعه ، وكيف لا والأخبار النبوية قد عاضدته ، والآثار قد [ساعد عنه][2] ؟

ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة [الفعل][3] مع اعتقاده أن الله هو الخالق كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء ؟

وما هنا من قبيل ذلك فإن الله قد قرب أنبياءه ورسله والصالحين من عباده ، وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم ، وقد خلق الله فيهم قوة كاسبة أقلها الدعاء لمن تسبب بهم في إنقاذ مسؤلهم وهم في برازخهم ودار كرامتهم ، وقد تفضل الله بذلك عليهم.

وقد جعل الله الإغاثة في غيره قال تعالى :) فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)(القصص:15) ، فإن قال[4] قائل : هذا في الحي وهو له قدرة ؟ [قلنا][5]: لا يجوز نسبة

---

[1] هكذا في (م) . وفي (خ) : قرا . وكلاهما تصحيف . وفي المطبوع : (أقر) وهو الصواب .

[2] هكذا في (م) ، وهو تصحيف . وفي (خ) ، والمطبوع : ساعدته . وهو الصواب .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع . وفي صلح الإخوان (للفعل) وهو الأصوب .

[4] لم يثبت (قال) في المطبوع .

[5] ساقط من (خ) .

الأفعال إلى أحد حي أو ميت على أنه الفاعل استقلالا من دون الله ، ولهذا نفى النبي ﷺ الإغاثة كما تقدم في حديث أبي بكر الصديق حيث قال : " إنه لا يستغاث إلا بالله " مع أنه[1] ﷺ كان حيا بل أفضل كل الوجود بعد واجب الوجود[2]، فالكلام حينئذ في إطلاق اللفظ لا في بيان المعنى.

هذه مقدمة كلام العراقي واستدلاله ، سقناها برمتها عبرة لعباد الله[3] الموحدين ، والكلام عليها يأتيك مفصلا إن شاء الله تعالى .

فأقول : وبالله الاستعانة ، ومنه أستمد المدد والهداية : أما ما في كلام العراقي من فساد التركيب وبشاعة التعبير لسنا بصده[4] ، والكلام عليه يطول ، والغرض إبطال الدعوى ومعارضتها ونقضها ، والكشف عن حاله[5] وحال أئمته[6] السابقين إليها من الأمم المعارضين للرسل بآرائهم وأهوائهم الضالة الفاسدة .

والجواب عن هذه الشبهة[7] من وجوه :

الأول : أن الله سبحانه إنما خلق خلقه[8] لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيمه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والتضرع بين يديه ، وهذه زبدة الرسالة الإلهية ، وحاصل الدعوة النبوية ، وهو الحق الذي خلقت له السموات والأرض ، وأنزل به الكتاب ، وهو الغاية المطلوبة ، والحكمة

---

1 في المطبوع : أن النبي .

2 في المطبوع : الوجوب .

وواجب الوجود : لفظ يطلقه أهل الكلام ويعنون به الحق سبحانه وتعالى، وهو الغني عما سواه ، الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلا ، وقيل : هو ما يستغني في موجوديته عن غيره . انظر : التعريفات (322) ، كشاف اصطلاحات الفنون (4/278) ، التدمريه(16-17) .

3 في المطبوع : لعباده .

4 في المطبوع :فلسنا بصدده .

5 في المطبوع : حالها .

6 في المطبوع : أئمة .

7 في المطبوع : الشبه .

8 في المطبوع : لم يثبت (خلقه) .

المقصودة من إيجاد المخلوقات ، وخلق سائر البريات قـال تعـالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات :56) ، ودعى سبحانه عباده إلى هذا المقصود ، وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر، والبراءة من الشرك والتنديد المنافي لهذا الأصل ، الذي هو المراد من خلق سائر العبيد ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: 48) ، وقال : (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ[1] وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (المائدة :72) ، وقال : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ[2] فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)(الحج: 31) .

فالقول بجواز الاستغاثة بغير الله , ودعاء الأنبياء والصالحين , وجعلهم وسائط بين العبد وبين الله , والتقرب إليهم بالنذر والنحر , والتعظيم بالحلف وما أشبهه[3] مناقضة ومنافاة لهذه الحكمة التي هي المقصودة[4] بخلق السموات والأرض ، وإنزال الكتب ، وإرسال الرسل ، وفتح لباب الشرك في المحبة والخضوع والتعظيم، ومشاقة ظاهرة لله ولرسوله ، ولكل نبي كريم ، والنفوس مجبولة على صرف ذلك المذكور من العبادات إلى من أهلته لكشف الشدائد ، وسد الفاقات ، وقضاء الحاجات من أمور[5] العامة التي لا يقدر عليها إلا فاطر الأرض والسموات .

الوجه الثاني : إن هذا بعينه قول عباد الأنبياء والصالحين من عهد قوم نوح إلى أن بعث إليهم خاتم النبيين ، لم يزيدوا عما قاله العراقي فيما انتحلوه من الشرك الوخيم والقول الذميم ، كما حكى الله عنهم ذلك في كتابه الكريم قال تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)(يونس:18) ، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ[6] إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر:3) ، وقال تعالى:(فَلَوْلا نَصَرَهُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا[7] عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأحقاف:28) ، فهذه النصوص المحكمة صريحة في أن المشركين لم يقصدوا إلا الجاه والشفاعة والتوسل، بمعنى : جعلهم وسائط تقربهم إلى الله، وتقضي حوائجهم منه تعالى،

---

[1] في (خ) : وقف هنا .
[2] في (خ) : وقف هنا .
[3] في المطبوع : وما أشبه ذلك .
[4] في المطبوع : المقصود .
[5] في المطبوع : الأمور .
[6] في (خ) : وقف هنا .
[7] في (خ) : وقف هنا .

وقد أنكر القرآن هذا أشد الإنكار، وأخبر أن أهله هم أصحاب النار، وأن الله حرم عليهم الجنة دار أوليائه الأبرار.

وجمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال[1] ولا الشركة في توحيد الربوبية ، بل قد أقروا واعترفوا بأن ذلك لله[2] وحده , كما حكى سبحانه إقرارهم واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه .

فحاصل ما ذكـره العراقـي مـن جواز الاستغاثة والدعاء والتعظيم بالنذر والحلف مـع نفـي الاستقلال ، واللـه[3] يفعل لأجلـه ، هو [غيـر][4] [دعوى][5] المشركين وتعليلهم وشبهتهم ، لم يزيدوا عليه حرفا واحدا ، إلا أنهم قالوا " قربان " و "شفعاء" , والعراقي سمى ذلك " توسلا " ، فالعلة واحدة والحقيقة متحدة ، وما ذكره العراقي من الإسهاب مجرد هوس وهذيان لا يغير الحقائق ، ولا يتوقف كشف باطله على معرفة الغوامض والدقائق .

الوجه الثالث : إن الله سبحانه أمر عباده بدعائه, ومسألته, والاستغاثة به، وإنزال حاجتهم وفاقتهم وضرورتهم به ، قال سبحانه وتعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي[6] فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة :186) , وقال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ[7] إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر:60) ، وقال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) (النحل : 62) الآية ، وقال تعالى: (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ)(العنكبوت :17) ، وقال تعالى: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ[8] هُوَ فِي شَأْنٍ) (الرحمن : 29) ، وقال تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ[9] * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)(الشرح :7, 8) ، وفي الحديث : " من لم يسأل الله يغضب عليه "[10] ,

---

[1] في المطبوع : الاستقلال لألهتهم .

[2] في المطبوع : كله لله .

[3] في المطبوع : وأن الله .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (عين) وهو الصواب .

[5] في (خ) : دعوة .

[6] في (خ) : وقف هنا .

[7] في (خ) وقف هنا .

[8] في (خ) وقف هنا .

[9] في (خ) وقف هنا .

[10] رواه الترمذي [كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل الدعاء] (5/426) ، وابن ماجة [كتاب الدعاء/ باب : فضل الدعاء] (2/1262) ، والإمام أحمد في المسند (2/442) ، والبيهقي في جامع شعب الإيمان (2/35) ، والحاكم في

وفيه : " الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين "[1] ، وحديث النزول كل ليلة إلى سماء[2] الدنيا , يقول تعالى : " هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ؟"[3], وعلى مذهب هذا[4] العراقي ، وقوله باستحباب الاستغاثة بغير الله ، وجعل الوسائط بين العباد وبينه تعالى ، يهدم هذا الأصل الذي هو أصل الدين , ويسد بابه ، ويستغاث بالأنبياء والصالحين ، ويرغب إليهم في حاجات الطالبين والسائلين ، وضرورات المضطرين من خلق الله أجمعين .

الوجه الرابع : إن الله دعى عباده بربوبيته العامة الشاملة لكليات الممكنات[5] وجزئياتها في الدنيا والآخرة ، [وانفراد بالإيجاب][6] والتدبير، والتأثير والتقدير ، والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والعز والذل[7] ، والإحياء والإماتة ، والسعادة والشقاوة ، والهداية والمغفرة والتوبة على عباده إلى غير ذلك من أفعال الربوبية ، وآثارها المشاهدة المصنوعة ، إلى معرفته وعبادته الجامعة لمحبته, والخضوع له, وتعظيمه، ودعائه, وترك التعلق على غيره محبة وتعظيما واستغاثة ، قال تعالى : (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِه) - إلى قوله - (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)(النحل 60-64) ، وقال تعالى:(قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) - إلى قوله – (فَأَنَّا تُسْحَرُونَ) (المؤمنون 84- 89) , وقال : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)-إلى قوله– (أَفَلا تَتَّقُونَ)(يونس :31) .

المستدرك (1/667) وصححه ، ووافقه الذهبي . وحسنه الألباني في عدة مواضع ، انظر : السلسلة الصحيحة (6/323) برقم (2654) .

[1] رواه أبو يعلى في مسنده (1/344) ، وابن عدي في الكامل (6/172) ، والحاكم في المستدرك (1/492) من طريق محمد بن الحسن به ، وصححه , ووافقه الذهبي . وتعقبهما الألباني في السلسلة الضعيفة (1/214-215) برقم(179) .

[2] في المطبوع : السماء .

[3] رواه البخاري بلفظ مقارب [كتاب التهجد / باب : الدعاء والصلاة من آخر الليل] (1/384) ، ومسلم [كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه] (1/522) .

[4] في المطبوع : سقطت (هذا) .

[5] الممكن بالذات ما يقتضي لذاته أن لا يقتضي شيئا من الوجود والعدم كالعالم .
انظر : التعريفات (349) ، الكليات لأبي البقاء (185) ، كشاف اصطلاحات الفنون (4/157).

[6] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : وانفراده بالإيجاد . وهو الصواب .

[7] في المطبوع : والإعزاز والإذلال.

فتأمل هذه الآيات الكريمات[1] , وما تضمنته من تقرير أفعال الربوبية التي لا يخرج[2] عنها فرد من الأفراد[3] والكائنات ، واعرف ما سيقت له ، ودلت عليه من [وجوه][4] محبته تعالى ، وعبادته وحده لا شريك له , وترك عبادة من عبد[5] من دونه من الأنداد والآلهة, والبراءة من ذلك ، وانظر هل القوم المخاطبون بهذا زعموا الاستقلال لغير الكبير المتعال ؟

أم أقروا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير، وإنما أتوا من جهة الواسطة والشفاعة ، والتوسل بدعاء غير الله ، وقصد سواه فيما يحتاجه العبد وما يهواه ؟ وهذا صريح من تلك الحجج البينات ، ونص هذه الآيات المحكمات ، احتج سبحانه بما أقروا به[6] من الربوبية والاستقلال على إبطال قصد غيره بالعبادة والدعاء والاستغاثة , كما يفعله أهل الجهل والضلال .

فإذا قيل : تجوز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم على أنهم وسائط ، ووسائل بين الله وبين عباده , وأن الله يفعل لأجلهم ، انهدمت القاعدة الإيمانية، وانتقضت الأصول [التوحيد][7]، وفتح باب الشرك الأعظم ، وعادت الرغبات والرهبات والمقاصد والتوجهات إلى سكان القبور والأموات ، ومن دعي مع الله من سائر المخلوقات ، وهذه هي الغاية الشركية والعبادة الوثنية ، فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى.

الوجه الخامس : إنه لا فلاح[8] , ولا صلاح ، ولا نجاح , ولا نعيم[9]، ولا لذة للعبد إلا بأن يكون الله سبحانه هو إلهه ومحبوبه ، ومستغاثه الذي إليه مفزعه عند الشدائد , وإليه مرجعه في عامة المطالب والمقاصد ، والعبد به ضرورة وفاقة[10] وحاجة إلى أن يكون الله هو معبوده, ومستغاث[11] ، إليه

---

1 في المطبوع : الكريمة .

2 هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (يخرج) وهو الصواب .

3 في المطبوع : أفراد .

4 هكذا في كل المخطوطتين . وفي المطبوع : (وجوب) وهو الصواب .

5 في المطبوع : ما عبد .

6 في المطبوع : له به .

7 هكذا في كلا المخطوطتين . ولا يتناسب مع السياق . وفي المطبوع : (التوحيدية) ولعله الصواب.

8 في المطبوع : لافلاح للعبد .

9 في المطبوع : ولا نعيم ولا نجاح .

10 في المطبوع : فاقة وضرورة .

11 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : ومستغاثه .

إنابته ومفزعه ، ولو حصلت له كل الكائنات وتوجه إلى جميع المخلوقات ، لم تسد فاقته ، ولا تدفع ضرورة[1] ، ولا يحصل نعيمه وفرحه ويزول همه وكربه وشقاؤه إلا بربه , الذي من وجده وجد كل شيء , ومن فاته فاته كل شيء , وهو أحب إليه من كل شيء ، وهذه فاقة وضرورة , وحاجات لا يشبهها شيء فتقاس به ، وإنما تشبه من بعض الوجوه حاجة العبد إلى طعامه وشرابه وقوته الذي يقوم بدنه به[2]، فإن البدن لا يقوم إلا بذلك ، وفقده غايته انعدام البدن وموته[3] ، وأما فقد محبة الله وعبادته ودعائه فعذاب وشقاء وجحيم في الآخرة والأولى , لا ينفك بحال[4] من الأحوال , قال تعالى: (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ[5] عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) - إلى قوله – (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)(طه : 123-127) ، وقال تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ[6] تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (الرعد :28-29) ، وفي الحديث القدسي حديث الأوليـاء , يقول الله تعالـى: " [ما][7] عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي بتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها، فبي [يسمع][8] , وبي يبصر , وبي يبطش – الحديث "[9].

وعلى القول بجعل الوسائط والشفعاء بين العباد وبين الله تقلع أصول هذا الأصل العظيم الذي هو قطب رحى الإيمان ، وينهدم أساسه الذي ركب عليه البنيان , فأي فرح وأي نعيم وأي فاقة سدت ، وأي ضرورة دفعت , وأي سعادة حصلت ، وأي أنس واطمئنان إذا كان التوجه والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لغير الملك الحنان المنان ؟!

---

[1] في المطبوع : ولم تدفع ضرورته.

[2] في المطبوع : به يقوم بدنه .

[3] في المطبوع : وفي فقده غاية انعدام البدن وموته.

[4] في المطبوع : عنه بحال .

[5] في (خ) : وقف هنا .

[6] في (خ) وقف هنا .

[7] في (خ) والمطبوع : من . وهو الصواب .

[8] ساقطة من (خ) .

[9] ? رواه البخاري بلفظ مقارب [كتاب الرقاق / باب : التواضع] (5/2384) ، ورواه الإمام أحمد في المسند (6/256) ، وابن حبان في صحيحه (2/58) ، والبيهقي في السنن الكبرى (3/346 ، 10/219) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (12/520) .

سبحان الله ما أجرأ هذا المعترض على الله, وعلى رسوله[1], وعلى دينه، وعلى عباده المؤمنين ، اللهم إنا نبرأ إليك مما جاء به هذا المفتري ، وما قاله في دينك وكتابك وعلى عبادك وأوليائك .

قال تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)(الأنبياء :22) ، فصلاح السموات والأرض بأن يكون الله سبحانه هو إلهها دون ما سواه ، ومستغاثها الذي تفزع إليه وتلجأ إليه في مطالبها وحاجاتها ، وقرر المتكلمون هنا تمانع وجود ربين مدبرين، وأنه لا صلاح للعالم إلا بأن يكون الله قيومه ومدبره , وقرر غيرهم من المحققين امتناع الصلاح بوجود آلهة تعبد وتقصد وترجى ، فالأول يرجع إلى الربوبية ، والثاني إلى الإلهية.

الوجه السادس : إن الشرع الذي جاء به محمد ﷺ , والسنة التي سنها في قبور الصالحين[2] وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع الذي افتراه هذا الجاهل, وتبطله، وتعارضه، فإنه ﷺ سن عند القبور بما[3] صحت به الأحاديث النبوية, وجرى عليه عمل علماء الأمة ، من السلام عند زيارتها ، والدعاء لأصحابها، وسؤال الله العافية لهم من جنس ما شرعه من[4] الصلاة على جنائزهم ، ونهى عن عبادة الله - عز وجل -[5] عند القبور، والصلاة فيها وإليها، وخص قبور الأنبياء والصالحين بلعن من اتخذها مساجد يعبد فيها تعالى ويدعى ، وتواتر[6] بذلك الأحاديث خرجها أصحاب الصحيحين[7] ، وأهل[8] السنن، ومالك في موطئه[9] ، فمنها قوله ﷺ : " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجـد "[10] , وحـديث ابن مسـعود- رضي الله عنه[11] - : " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد "[12],

---

1 في المطبوع : رسله .
2 في المطبوع : الأنبياء والصالحين .
3 في المطبوع : ما .
4 في المطبوع : في .
5 في المطبوع : لم يثبت (عز وجل) .
6 في المطبوع : وتواترت .
7 في المطبوع : مخرجة في الصحيحين .
8 في المطبوع : وفي .
9 في المطبوع : وفي موطأ مالك .
10 سبق .
11 في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنه) .
12 سبق .

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه[1]- : " قاتل الله اليهود والنصارى[2] اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[3] , وحديث جندب بن عبد الله - رضي الله عنه[4] -: سمعت رسول الله[5] ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول : " إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلا ، فإن الله اتخذني[6] خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"[7], وحديث عائشة[8] - : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها , فقال وهو كذلك : " لعن الله[9] اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " , قالت عائشة : يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره , ولكن خشي أن يتخذ مسجدا " , وفي رواية لمسلم : " وصالحيهم "[10] , وإنما نهى عن الصلاة عندها واتخاذها مساجد ؛ لما يفضي إليه من دعائها , والاستغاثة بها، وقصدها للحوائج والمهمات, والتقرب إليها بالنذر والنحر, ونحو ذلك من القربات.

فجاء هذا العراقي فهتك سر[11] الشريعة ، واقتحم الحمى وشاق الله ورسوله، وقال : تدعى ويستغاث بها وترجى .

من شم رائحة العلم وعرف شيئا مما جاءت به الرسل عرف أن هذا الذي قال[12] العراقي من جنس عبادة الأصنام والأوثان ، مناقض لما دلت عليه السنة والقرآن ، ولا يستريب في ذلك عاقل من نوع الإنسان.

الوجه السابع : إن الله[13] نهى عن الغلو ومجاوزة الحد فيما [شرعه][14] من حقوق أنبيائه وأوليائه ، قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ) (النساء

---

1 في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنه) .
2 في المطبوع : لم يثبت (والنصارى) .
3 سبق .
4 في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنه) .
5 في المطبوع : الرسول .
6 في المطبوع : قد اتخذني .
7 سبق .
8 في (خ) : (رضي الله عنها) .
9 لفظ الجلالة (الله) ساقط من المطبوع .
10 سبق .
11 في المطبوع : ستر .
12 في المطبوع : قاله .
13 في المطبوع : الله تعالي
14 ساقط من (خ) .

:171) ، وقال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا[1] مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)(المائدة : 77) ، وعـن عمر بـن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله[2] ﷺ : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله "[3] ، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما[4] - في قوله تعالى : (وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً)(نوح : 23) : " هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا[5] أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا لهم أنصابا , وصوروا تماثيلهم ، فلما مات أولئك ونسي العلم عبدت "[6]، وقال ابن القيم : " قال غير واحد من السلف : "عكفوا على قبورهم , وصوروا تماثيلهم , فلما طال عليهم الأمد عبدت " "[7] انتهى.

فانظر إلى ما آل إليه الغلو بالتصاوير والعكوف من غير دعاء ولا عبادة، فكيف بالدعاء والاستغاثة والتوسل ؟

والقول بأن الله يفعل لأجلهم هذا نفس الشرك ، والأول وسيلته التي حدث الشرك بسببها ، وقد قطع النبي ﷺ وسيلة[8] هذا الشرك ، وحمى الحمى ، وسد الذريعة , حتى نهى عن الصلاة عندها , واعتياد المجيء إليها بقوله في أشرف القبور : " لا تجعلوا قبري عيدا , ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني"[9] . ونهى عن رفع القبور , وبعث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -: " أن لا يدع تمثالا إلا طمسه ، ولا قبرا مشرفا إلا سواه "[10] .

---

[1] في (خ) : وقف هنا .

[2] في المطبوع : الرسول .

[3] رواه البخاري [كتاب الأنبياء / باب : واذكر في الكتاب مريم..] (3/1271) ، والإمام أحمد في المسند (1/23،24،27،55) ، وابن حبان في صحيحه (2/147،154) وهو جزء من حديث السقيفة، وأبو يعلى في مسنده (1/142) .

[4] في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنهما) .

[5] في المطبوع : مات .

[6] سبق .

[7] اغاثة اللهفان (1/184).

[8] في المطبوع : لم يثبت (وسيلة) .

[9] سبق .

[10] رواه مسلم [كتاب الجنائز / باب : الأمر بتسوية القبر] (2/666) ، وأبو داود (3/75) ، والترمذي (3/366) ، والنسائي (4/88) ، والإمام أحمد في المسند (1/96،129) .

ونهى عن[1] تعظيمها بإيقاد السرج ، كل هذا صيانة للتوحيد وحماية لجانبه , فرحم الله امرؤا آمن بالجنة والنار ، وجعل رسول الله ﷺ إمامه ومعلمه وقدوته ، ولم يلتفت عما جاء به , ولم يبال بما[2] خالفه , وسلك غير سبيله ، وحن إلى ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى في هذا الباب وفي [غير][3]: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ)(الأنعام :90) ، (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[4] * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)(آل عمران :31-32).

الوجه الثامن : إن من أعرض عن الله , وقصد غيره , وأعد ذلك الغير لحاجته وفاقته , واستغاث به , ونذر له , ولاذ به ، فقد أساء الظن بربه ، وأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به ، فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس , فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته ؛ ولهذا توعد سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم, كما قال تعالى:(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ[5] وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)(الفتح: 6ا) ، وقال[6] لمن أنكر صفة من صفاته:(وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ[7] أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ)(فصلت :23)،وقال [تعالى][8] عن خليله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام-[9]:(إذ قال لقومه مَاذَا تَعْبُدُونَ*أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الصافات 85-87) ، أي : فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ، وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره ؟ فلو ظننتم به ما هو أهله , من أنه بكل شيء عليم , وعلى كل شيء قدير، وأنه غني عن كل ما سواه ، فقير إليه كل ما[10] عداه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه ، لا يشرك[11] فيه

---

[1] يوجد في (خ) كلمة غير واضحة بعد (عن) كأنها : رفع .
[2] في المطبوع : بمن .
[3] في المطبوع : غيره . وهو الصواب .
[4] في (خ) : وقف هنا .
[5] في (خ) : وقف هنا .
[6] في المطبوع : قال تعالى .
[7] في (خ) : وقف هنا .
[8] ساقطة من (خ) .
[9] في المطبوع : ﷺ .
[10] في المطبوع : من .
[11] في المطبوع : يشاركه .

غيره ، و[1] العالم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية من خلقه ، والكافي لهم وحده ، لا يحتاج إلى معين ، والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه[2] , وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم [الذي] تعينهم[3] على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة ، فاحتاجوا إلى الوسائل[4] ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم ، فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء, الرحمن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء , فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده , وظن به ظن السوء ، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده , ويمتنع في العقول والفطر , وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح .

يوضح هذا أن العابد معظم للمعبود[5], متأله له , خاضع ذليل له ، والرب تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتأله والخضوع والذل , وهذا [في][6] خالص حقه , فمن أقبح الظلم أن يعطى حقه لغيره ، ويشرك بينه وبينه فيه , ولا سيما إذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه، كما قال تعالى : (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ[7] فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) (الروم :28): أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به ، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري[8] ، ولا تصلح لسواي ؟ فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ، ولا عظمني حق تعظيمي ، ولا أفردني كما[9] أنا منفرد به وحدي ، دون خلقي . فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره ، كما قال تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً[10] قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ

---

1 في المطبوع : وإنه.

2 في المطبوع : زيادة عبارة (ما اتخذتم الأنداد من دونه والوسطاء بينكم وبينه) .

3 في المطبوع : من الوسطاء الذين يعينونهم . وهو الصواب .

4 في المطبوع : الوسائط .

5 في المطبوع : لمعبوده .

6 في المطبوع : لم يثبت حرف الجر . وهو الصواب .

7 في (خ) : وقف هنا .

8 في المطبوع : لم يثبت (لغيري) .

9 في المطبوع : بما .

10 في (خ) : وقف هنا .

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(الزمر :67).فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من[1] ذلك البتة، بل هو أعجز شيء وأضعفه,فما قدر[2] القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

وكذلك ما قدره حق قدره من قال : إنه لم يرسل إلى خلقه رسولا، ولا أنزل كتابا ، بل نسبه إلى ما لا يليق به ولا يحسن منه ، من إهمال خلقه وتركهم سدى ، وخلقهم باطلا عبثا.ولا قدره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فنفى سمعه وبصره , وإرادته واختياره ، وعلوه فوق خلقه , وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد ، أو نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم , فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه ، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى ، فيكون في ملكه ما لا يشاء , ويشاء مالا يكون ، تعالى الله عز وجل عن قول أشباه المجوس علوا كبيرا .

وكذلك ما قدره حق قدره من قال : إنه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد، ولا له عليه قدرة، ولا تأثير له فيها البتة، بل هو نفس فعل الرب جل جلاله، فيعاقب عبده على فعله[3] وهو سبحانه وتعالى الذي جبر العبد عليه، وجبره على الفعل أعظم من إكراه المخلوق المخلوق ، فإذا كان من المستقر في الفطر والعقول أن السيد لو أكره عبده على فعل وألجأه إليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحا، فأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير، ولا هو واقع بإرادته، بل ولا هو فعله البتة، ثم يعاقب عليه عقوبة الأبد ! تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا، وقول هؤلاء شر من أقوال المجوس، والطائفتان ما قدروا الله حق قدره .

وكذلك ما قدره[4] من لم يصنه عن بئر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان، وصانه عن عرشه أن يكون مستويا عليه يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وتعرج الملائكة والروح إليه، وتنزل من عنده، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، فصانه عن استوائه على سرير الملك، ثم جعله في كل مكان يأنف الإنسان بل غيره من الحيوان أن يكون فيه.

وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته، ولا من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله، ولا من نفى حقيقة فعله، ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به، بل أفعاله منقولات منفصلة عنه، فنفى حقيقة محبته وإتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى من جانب

---

[1] في (خ) : في .
[2] في المطبوع : قدروا .
[3] في المطبوع : فعله هو .
[4] في المطبوع : زيادة (حق قدره) .

الطور، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه، إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها وزعموا أنهم بنفيها قدروه[1] حق قدره.

وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا ، أو جعله يحل في مخلوقاته, وجعله عين هذا الوجود .

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال : إنه رفع أعداء رسله وأهل بيته ، وأعمل[2] ذكرهم , وجعل فيهم الملك والخلافة و[العفو][3]، ووضع أولياء رسوله وأهانهم وأذلهم، وضرب عليهم الذلة أينما ثقفوا , وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تبارك وتعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا , وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين , أنه أرسل ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه, وكذب على الله تعالى , ومكث زمنا طويلا يكذب عليه كل وقت ، ويقول : قال كذا وأمر بكذا , ونهى عن كذا ، وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ، ويستبيح دماء أتباعهم وأموالهم وحريمهم , ويقول : الله تعالى أباح لي ذلك , والرب تبارك وتعالى يظهره , ويؤيده , ويعليه , ويقويه ، ويجيب دعواته ، ويمكنه ممن يخالفه, ويقيم الأدلة على صدقه ، ولا يعاديه أحد إلا ظفر به ، فيصدقه بقوله وفعله وتقريره , ويحدث أدلة تصديقه شيئا بعد شيء , ومعلوم أن هذا يتضمن أعظم القدح والطعن في الرب سبحانه وتعالى ، وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته , تعالى عن[4] قول الجاحدين علوا كبيرا ، فوازن بين قول هذا وبين[5] إخوانهم من الرافضة تجد القولين :

رضيعا لبان ثدي أم تقاسما   بأسحم داج عوض لا يتفرق[6]

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال : إنه يجوز أن يعذب أولياءه ومن لم يعصه طرفة عين , ويدخلهم دار الجحيم ، وينعم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة[7], ويدخلهم دار النعيم , وأن كلا الأمرين بالنسبة إليه سواء , وإنما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك ، فمعناه الخبر[8] لا مخالفة حكمته وعدله , وقد أنكر سبحانه[9] في كتابه على من يجوز عليه ذلك غاية الإنكار، وجعل الحكم به من أسوأ الأحكام .

---

[1] في المطبوع : قدروا الله حق قدره .
[2] في (خ) : وأهمل . وفي المطبوع : وأعلى .
[3] في المطبوع : والعزة .
[4] في المطبوع : الله عن .
[5] في المطبوع : هؤلاء وقول .
[6] سبق (ص532) .
[7] في المطبوع : طرفة عين .
[8] ? لعل الصواب : فمنعناه للخبر .
[9] في المطبوع : زيادة (وتعالى) .

كذلك لم يقدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى , ولا يبعث من في القبور، ولا يجمع خلقه ليوم يجازي فيه المحسن بإحسانه , والمسيء بإساءته ، ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه ويكرم المستحملين[1] المشاق في هذه الدار من أجله , وفي مرضاته بأفضل كرامته ، ويبين لخلقه الذي[2] يختلفون فيه , وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه ، ونهيه فارتكبه , وحقه فضيعه ، وذكره فأهمله , وغفل قلبه عنه , وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه ، وطاعته[3] المخلوق أهم عنده من طاعته[4], فلله الفضلة من قلبه وقوله وعمله ، وسواه المقدم في ذلك ؛ لأنه المهم عنده ، يستخف بنظر الله إليه واطلاعه عليه وهو في قبضته وناصيته بيده ، ويعظم نظر المخلوق إليه واطلاعهم عليه بكل قلبه وجوارحه، يستحيي من الناس ولا يستحيي من الله تعالى[5]، ويخشى الناس ولا يخشى الله عز وجل ، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه ، وإن عامل الله عز وجل عامله بأهون ما عنده وأحقره ، وإن قام في خدمة إلهه من البشر قام بالجد والاجتهاد ، وبذل النصيحة , وقد فرغ له قلبه وجوارحه ، وقدمه على كثير من مصالحه ، حتى إذا قام في حـق[6] ربه –إن ساعده القدر– قام قياما لا يرضاه مثله لمخلوق[7] من مخلوقاته ، وبدا له ما لم يستحيي أن يواجه به مخلوقا لمثله[8] . فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه ؟

وهل قدره حق قدره من شارك[9] بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء ؟ فلو جعل من أقرب الخلق إليه شريكا في ذلك لكان ذلك جرأة وتوثبا على محض حقه , واستهانة به ، وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح إلا له سبحانه وتعالى , فكيف وإنما الشرك[10] بينه وبين أبغض الخلق إليه وأهونهم عليه؟ وأمقتهم عنده ؟ وهو عدوه على الحقيقة , فإنه ما عبد من دون الله إلا الشيطان، كما قال تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ*وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) (يس :60-61) , ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الأمر

---

1 في المطبوع : المتحملين .
2 في المطبوع : الذي كانوا .
3 في المطبوع : وطاعة .
4 في (خ) زيادة : (الله) .
5 في المطبوع : عز وجل .
6 في المطبوع : خدمة .
7 في المطبوع : بمخلوق .
8 في المطبوع : مثله .
9 في المطبوع : شرك .
10 في المطبوع : أشرك .

للشيطان وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة ، كما قال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) (سباء 40-41) ، فالشيطان يدعو المشرك إلى عبادته ويوهمه أنه ملك , كذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب , وهي التى تخاطبهم , وتقضي لهم الحوائج , ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشيطان –لعنه الله-, فيسجد لها الكفار , فيقع سجودهم له, وكذلك عند غروبها , وكذلك من عبد المسيح وأمه لم يعبدهما وإنما عبد الشيطان, فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه , ورضيها لهم , وأمرهم بها , وهذا هو الشيطان الرجيم لعنه الله , لا عبد الله ورسوله , ونزل هذا كله على قوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (يس :60) . فما عبد أحد من بني آدم غير الله عز وجل كائنا من كان إلا وقعت عبادته للشيطان ، فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه , ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان ، ولهذا قال تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ) من إغوائهم وإضلالهم (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ رَبَّنَا[1] اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)(الأنعام : 128) ، فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله عز وجل[2] ، وإنه لا يغفر بغير التوبة منه ، وإنه يوجب الخلود في النار ، وإنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه ، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع عبادة إله غيره ، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله .

وكيف يظن المنفرد[3] بالربوبية والإلهية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك , و[4] يرضى به ؟ تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا. انتهى[5].

وإنما سقنا هذا المبحث العظيم الذي تعقد عليه الخناصر , ويعض عليه بالنواجذ ؛ لما فيه من الفوائد التي لا يستغنى عنها من

---

[1] في (خ) : وقف هنا .
[2] في المطبوع : تعالى .
[3] في المطبوع : بالمنفرد .
[4] في المطبوع : أو .
[5] ? سبق هذا النقل من كلام ابن القيم رحمه الله من " الجواب الكافي ". ولم يذكر المؤلف بداية النقل في هذا الموضع .

نصح[1] نفسه ، وإنما الغرض بيان ما في التوسل والاستغاثة بالأموات والغائبين من سوء الظن برب[2] العالمين.

الوجه التاسع : إن الله تعالى حرم القول عليه بغير علم ، وجعله أعظم من الشرك قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ[3] وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً)(الأعراف :33) ، فرتب تعالى[4] المحرمات متنقلا من الأدنى إلى الأعلى ، وقال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً[5] وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)(هود : 18-19) ، ومن عرف الشرك حق المعرفة يعلم أن من قال تجوز[6] الاستغاثة والتوسل بالأنبياء والصالحين والنذر لهم والحلف وما أشبهه[7] من التعظيم ، له نصيب وافر[8] من الكذب على الله وعلى رسله , ومن الصد عن سبيل الله ، وابتغاء العوج[9]، والله المستعان ، وقال تعالى : (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ[10] لا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمْ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) (يونس 68-70) ، ويتبين كذب هذا العراقي على الله وعلى رسوله وعلى عباد الله[11] الصالحين بالكلام على ما ساقه هذا العراقي من الأدلة التي يزعم أنها تدل على دعواه ، وتنصر ما قاله وافتراه .

---

[1] في (خ) : يصلح .
[2] في المطبوع : بالله رب .
[3] في (خ) : وقف هنا .
[4] في المطبوع : لم يثبت (تعالى) .
[5] في (خ) : وقف هنا .
[6] في المطبوع : بجواز .
[7] في المطبوع : أشبه ذلك .
[8] في المطبوع : أوفر نصيب .
[9] في المطبوع : وابتغائها عوجا .
[10] في (خ) : وقف هنا .
[11] في (خ) والمطبوع : عباده .

فأما قوله : اعلم أن المجوزين للاستغاثة بالأنبياء والصالحين مرادهم أنها أسباب ووسائل بدعائهم , وأن الله يفعل لأجلهم ، لا أنهم الفاعلون استقلالا من دون الله , فإن هذا كفر بالاتفاق .

فجواب هذا قد[1] تقدم في الوجه الثاني ، وذكرنا أن المشركين من عهد نوح إلى عهد خاتم النبيين ﷺ لم يقصدوا سوى هذا ، ولم يدعوا لألهتهم غيره، وأنهم ما زادوا حرفا واحدا على هذا العراقي وشيعته ، وهو يظن أن النزاع في دعواه الاستقلال , وليس الأمر كذلك ، فإن النزاع بين الرسل وقومهم إنما هو في توحيد العبادة ، فكل رسول أول ما يقرع أسماع قومه بقوله : (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)(هود :50) ، وكان المشركون [من][2] الجاهلية يقولون في تلبيتهم : " لبيك لا شريك لك , إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك " , فأثبتوا الشركة في العبادة ، واعتقدوا أن آلهتهم مملوكة لا مستقلة , وهذا ظاهر[3] في القرآن والسنة لا يجهله من عرف ما الناس فيه من أمر دينهم , وإنما خفي ذلك على هذا المعترض لفرط جهله ، وكثافة فهمه , ولأنه نشأ بين عباد القبور المتوسلين بها وبأهلها، فظن أن هذا هو الإسلام ، والمسكين لم يعرف ربه , وما يجب له من الحقوق على كافة الأنام ، ولم يتخرج على[4] إمام يعتمد في بيان الشرائع والأحكام .

مع أن عباد القبور في هذه الأزمان اعتقدوا التدبير والتصريف لمن يعتقدونه ، فطائفة قالت : يتصرف في الكون سبعة ، وطائفة قالت : يتصرف أربعة ، وطائفة قالت : يتصرف سبعون ، واختلفوا في قطبهم[5] الذي إليه يرجعون[6]، تعالى الله

---

[1] في المطبوع : ما .
[2] في المطبوع : في . وهو الصواب .
[3] في المطبوع : الظاهر .
[4] في المطبوع : عن .
[5] ? القطب : ملاك الشيء ومداره , وهو من مصطلحات الصوفية الخرافية ، يقولون : " وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعظم ، وزنه يتبع علمه , وعلمه يتبع علم الحق, وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل , لا يكون في الزمان إلا واحدا ، وهو سيد أهل زمنه وإمامهم وقد يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الباطنة " . انظر: التعريفات (185) ، الكليات (737) ، كشاف اصطلاحات الفنون (3/492) .
[6] قال شيخ الإسلام لما سئل عن القطب الغوث : " أما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع، فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام , مثل تفسير بعضهم: أن الغوث هو الذى يكون مدد

عما يقول الظالمون ، فأهل مصر يرون أنه البدوي[1]، وأهل العراق يرجحون الشيخ[2] عبد القادر[3] , والرافضة يرون ذلك للأئمة من أهل البيت، وهذا مشتهر عنهم لا ينكره إلا مكابر.

وقد حكم العراقي بأن دعوى الاستقلال كفر بالاتفاق، وعلى قول غلاة عباد القبور: مصدر التصريف عنهم يستقلون به ، لأن الوكيل يستقل بتدبير ما وكل إليه . وحينئذ فإذا لم يعرف العبادة ومسألة النزاع ، كيف يجادل عن قوم جزم بكفرهم ، وحكى عليه الاتفاق ؟ فالرجل مخلط لا يدري ما يقول .

الخلائق بواسطته , فى نصرهم ورزقهم ، حتى يقول إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته , فهذا من جنس قول النصارى فى المسيح عليه السلام , والغالية فى علي رضى الله عنه , وهذا كفر صريح باتفاق المسلمين ... فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد ... ومن الباطل ما يقوله بعضهم من أن فى الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا يسمونهم النجباء , فينتقى منهم سبعون هم النقباء , ومنهم أربعون هم الإبدال, ومنهم سبعة هم الأقطاب , ومنهم أربعة هم الأوتاد , ومنهم واحد هو الغوث , وأنه مقيم بمكة , وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلا , وأولئك يفزعون إلى السبعين , والسبعون إلى الأربعين , والأربعون إلى السبعة , والسبعة إلى الأربعة , والأربعة إلى الواحد " . انظر : (الفتاوى27/96-103) .

[1] هو : أحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر البدوي ، أصله من بني بري قبيلة من غرب الشام , ثم سكن والده المغرب فولد له صاحب الترجمة بفاس , سنة (596هـ) , ونشأ بها , وحفظ القرآن, وقرأ شيئا من فقه الشافعي , وعرف بالبدوي للزومه اللثام , لأنه كان يلبس لثامين ولا يفارقهما , ولم يتزوج قط ، مات سنة (675هـ) . لم تغال القبورية في أحد كما غالت في هذا البدوي ، وقبره اتخذ وثن يعبد من دون الله , وقد شكك بعض المعاصرين في وجوده ، وذكروا أنه شخصية خرافية ، وذلك لعدة أسباب ، منها : 1- أنه لم يترجم له قبل ابن تغري بردي – صاحب النجوم الزاهرة – المتوفى سنة (874هـ). 2- لم يذكره أحد قبله في حوادث سنة (675هـ) لا العيني , ولا الذهبي , ولا الصفدي, ولا غيرهم . انظر : شذرات الذهب (5/345) ، النجوم الزاهرة (7/218) . جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (2/741) لشمس الدين السلفي الأفغاني .

[2] في المطبوع : لم يثبت (الشيخ) .

[3] هو : الجيلاني . سبق (ص380) .

وأما قوله : ولا يخطر ببال مسلم جاهل، فضلا عن العالم[1] - فيقال : أين العنقاء[2] لتطلب ؟ وأين السمندل[3] ليجلب ؟ إذا صح الإسلام لم يرغب أهله إلى دعاء غير الله من العباد والأوثان والأصنام[4].

وأما قوله : بل ليس هذا خاصا بنوع الأموات ، فإن الأحياء وغيرهم من الأسباب العادية ، كالقطع للسكين والشبع للأكل ، والري والدفء لو اعتقد أحد أنها فاعلة بنفسها[5] من غير استناد إلى الله[6] يكفر إجماعا .

فيقال : إذا كان إسناد الفعل إليها استقلالا يكفر فاعله[7] إجماعا ، وهي من الأسباب العادية التي أودع الله فيها قوة فاعلية[8] , فكيف لا يكفر من أسند مالا يقدر عليه إلا الله من إغاثة اللهفات ، وتفريج الكربات , وإجابة الدعوات إلى غير الله من الصالحين أو غيرهم، وزعم أنهم وسائل ، وأن الله وكل إليهم التدبير كرامة لهم، هذا أولى بالكفر، وأحق به ممن قبله.

ويقال للعراقي : أنت لا ترضى تكفير أهل القبور لاحتمال العذر والشبهة، وأنه شرك أصغر يثاب من أخطأ فيه ، فكيف جزمت بكفر من أسند القطع للسكين من غير استناد إلى الله ؟ وما الفرق بين من عذرته وجزمت بإثابته , وبين من كفرته وجزمت بعقابه ؟ ليست إحدى المسألتين بأظهر من الأخرى ، وما يقال من الجواب فيما أثبته من الكفر، يقال فيما نفيته .

---

[1] في المطبوع : عالم .

[2] ? العنقاء : ذكر في تعريفها عدة أقوال , منها : طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم لم يره أحد ، طائر ضخم ليس بالعقاب ، وقيل : العنقاء المغرب : كلمة لا أصل لها يقال : إنها طائر عظيم لا ترى إلا في الدهور، وقيل : طائر لم يبق في أيدي الناس من صفتها غير اسمها .
انظر : لسان العرب (5/3136) ، النهاية (3/312) ، القاموس المحيط (1178) .

[3] السمندل : طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود إلى شبابه ، وقيل : هو دابة يدخل النار فلا تحرقه . انظر: لسان العرب (4/2105) ، القاموس المحيط (1314) .
وكل هذه الأقوال تدل على عدم الوصول إليها ؛ وهذا سبب ذكر الشيخ لها هنا .

[4] في المطبوع : من العبادة لغيره واتخاذ الأوثان والأصنام .

[5] في المطبوع : ذلك بنفسها .

[6] في المطبوع : من غير استنادها إلى غير الله .

[7] في المطبوع : به قائله .

[8] في المطبوع : فاعلة .

يوما بحزوى[1] ويوما بالعقيق[2] وبالعذيب[3] يوما ويوما بالخليصاء[4]

أي مذهب وافق هواك تمذهبت به .

ويقال : جمهور العقلاء على الفرق بين الأسباب العادية وغيرها ، فالشبع والري والدفء أسباب عادية فاعلة ، وإنما يكفر من أنكر خلق الله لهذه الأسباب وقال بفعلها دون مدبر عليم حكيم ، وهذا البحث يتعلق بتوحيد الربوبية .

وأما جعل الأموات أسبابا يستغاث بها وتدعى[5] وترجى وتعظم على أنها وسائط ، فهذا دين عباد الأصنام ، يكفر فاعله بمجرد اعتقاده وفعله ، وإن لم يعتقد الاستقلال ، كما نص عليه القرآن في غير موضع فالعراقي معارض للقرآن مصادم لنصوصه.

وأما قوله : إن السبكي والقسطلاني و[السنهودي][6] وابن حجر في "الجوهر المنظم " ، قالوا : والاستغاثة به ﷺ وبغيره في معنى التوسل إلى الله بجاهه - إلى آخره - فمسألة الاستغاثة به ، وبجاهه ليست هي مسألة النزاع ، ومراد أهل العلم أن يسأل الله بجاه عبده ورسوله , [لأن][7] يسأل الرسول نفسه , فإن هذا لا يطلق

---

[1] حزوى : مضموم الأول مقصور، موضع في نجد في ديار بني تميم . انظر : معجم ما استعجم (2/79) ، معجم البلدان (2/255) .

[2] العقيق : بفتح أوله وكسر ثانيه ، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق , قال : وفي بلاد العرب أربعة أعقة , وهي أودية عادية شقتها السيول . أشهرها عقيق المدينة . انظر : معجم البلدان (4/101) ، معجم ما استعجم (3/213) .

[3] العذيب : بضم أوله ، تصغير عذب ، وهو الماء الطيب : واد بظاهر الكوفة . انظر : معجم البلدان (4/92) ، معجم ما استعجم (3/192) .

[4] الخليصاء : تصغير الخلصاء ، موضع في ديار بني يشكر . انظر : معجم البلدان (2/386) ، معجم ما استعجم (2/135) .

ذكر هذا البيت ياقوت الحموي ، ونسبه لعبد الله بن أحمد بن الحارث، شاعر بني عباد ضمن ثلاثة أبيات وهي :

لا تستقر بأرض أو تسير إلى أخرى بشخص قريب عزمه نائي
يوم بحزوى و يوم بالعقيق ويوم بالعذيب ويوم بالخليصاء
وتارة تنتحي نجدا وآونة شعب العقيق وطورا قصر تيماء

انظر : معجم البلدان (2/386) ، وفيات الأعيان (6/133).

[5] في المطبوع : لم يثبت (وتدعى) .

[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (السمهودي) وهو الصواب .

[7] في المطبوع : لا أن . وهو الصواب .

عليه توسل , بل هو دعاء واستغاثة ، وتقدم أن لفظ التوسل صار مشتركا : فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ، ودعائه رغبا ورهبا ، والذبح والنذر والتعظيم[1] بما لم يشرع في حق مخلوق .

وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والأخذ بالسنة , فيتوسلون إلى الله بما شرعه لهم من العبادات ، وبما جاء به عبده ورسوله محمد ، وهذا هو التوسل في عرف القرآن والسنة كما يأتيك مفصلا إن شاء الله تعالى .

ومنهم من يطلقه على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه ، أو بحق عبده الصالح، أو بعباده الصالحين ، وهذا هو الغالب عند الإطلاق في كلام المتأخرين ، كالسبكي ، والقسطلاني ، وابن حجر[2].

وبالجملة فما نقله هنا عمن ذكر ليس من مسألة النزاع في شيء ، وإن كابر العراقي ، وزعم أنهم قصدوا دعاء الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم أنفسهم , وأن هذا يسمى توسلا , فهذا عين الدعوى , والدعوى[3] يحتج لها لا بها ، فبطل كلامه على كل تقدير.

وأما قوله : أو بأن يدعو الله كما في حال الحياة ، إذ هو غير ممتنع. فيقال : هذا جرآءة[4] على الله وعلى رسوله ، وتقدم إليه بما لم يشرعه , ولم يأذن فيه , وأعلم الخلق به أصحابه وأهل بيته ، وأئمة الدين من أمته ، لم يفعل أحد منهم من[5] ذلك البتة , ولا نقله من يعتد به ، وهم أعلم الخلق به ، وبدينه وشرعه ، وما يجوز وما يمتنع .

فلا يخلو إما أن تسلم هذه المقامات ويجزم بأن الخروج عن هديهم من أفظع الجهالات ، وأضل الضلالات .

أو تسلم تلك المقالات[6] ويدعي أن الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون، أحق بالصواب والعلم والمتابعة في تلك المسائل والمقالات , وهذا انحلال من[7] جملة

---

[1] في المطبوع : التعظيم له .

[2] يعني : الهيتمي . سبق (ص495) .

[3] الدعوى : اسم من الادعاء ، وفي الشرع : قول يطلب به الإنسان إثبات حق على الغير ، أو يدفع حق الغير عن نفسه في حضور الحاكم .

وعند أهل المناضرة : قضية تشتمل على الحكم المقصود إثباته بالدليل ، أو اظهاره بالتنبيه.

انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (2/143) ، الكليات (446) .

[4] في المطبوع : جرأة .

[5] في المطبوع : لم يثبت (من) .

[6] في المطبوع : المقدمات .

[7] في المطبوع : عن .

الدين ، وقدح[1] في القرون[2] المفضلة بنص سيد المرسلين ، وكفى بهذا فضيحة وجهلا ، لو كانوا يعلمون ؟

وأما قوله : مع علمه ، والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره – فيقال : أما دعوى عموم العلم بسؤال السائلين لمن يستغيث به من جهلة القبوريين , فالأخذ به وإطلاقه على غير الله[3] كفر صريح باتفاق أهل العلم ، فإن من زعم إحاطة العلم وعمومه لغير الله , أوعموم القدرة, أو الرزق , أو الخلق لغيره سبحانه ، يكفر كفرا واضحا ، كما ذكره شراح الأسماء[4], وغيرهم من أهل العلم . وأما دعوى تخصيص ذلك بالنبي ﷺ, فهي وإن كانت من جنس ما قبلها في الرد والمنع ، وتبطل مذهب عباد القبور ودعاءهم لغير الله من الغائبين والأموات[5]، فإن دعاء الغافل الذي لا يعلم بحال الداعي ولا يدريها[6] ضلال مستبين، قال تعالى:(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)(الأحقاف: 5).

وأما قوله : والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره ممن هو أعلى منه. وليس لها في قلوب المسلمين غير ذلك – إلى آخره-

فهذا يدل على جهل العراقي باللغة والشرع ، فإن الداعي السائل لغيره لا يسمى مغيثا، والمغيث : من يفعل الإغاثة ، ويحصل الغوث بفعله .

قال شيخ الإسلام : " من زعم أن مسألة [الله][7] بجاه عبده تقتضي أن يسمى العبد مغيثا، أو يكون ذلك استغاثة بالعبد ، فهذا جهل ، ونسبته إلى اللغة أو إلى أمة من الأمم كذب ظاهر ، فإن المغيث هو فاعل الإغاثة ومحدثها، لا من تطلب بجاهه وحقه ، ولم يقل أحد إن التوسل بشيء هو الاستغاثة به ، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور، كقول أحدهم : نتوسل إليك بحق الشيخ فلان، أو بحرمته، أو باللوح والقلم، أو بالكعبة ، في أدعيتهم يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور، وأن المستغيث بالشيء طالب منه سائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب

---

[1] في (خ) : زيادة (صريح) .
[2] في (خ) : القرآن . وكتب في الهامش تصحيحا : لعله (القرون) .
[3] في (خ) : غيره .
[4] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : الأسماء الحسنى .
[5] في (خ) : (الأموات) مكررة .
[6] في (خ) : يدر بها .
[7] ساقط من (خ) .

منه ولا يسأل ، وإنما يطلب به ، فكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو . وتقدم ذلك .

فقول العراقي : والنبي ﷺ مستغاث ، والغوث منه تسببا وكسبا - فيقال: نعم هذا معتقد من يعبد الأنبياء والصالحين ، ويستغيث بهم ، يقول : هم سببي وواسطتي ، يحصلون لي بكسبهم ، والله هو الخالق ، ولا أدعي غير ذلك ، ولا[1] نازع في الخلق والربوبية إلا فرعون ، والذي حاج إبراهيم في ربه ، وجمهور المشركين على الأول كما تقدم تقريره ، فبطل تعليله .

وأما قوله : ولا يعارض ذلك خبر الصديق[2] رضي الله عنه : " قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ " ؛ لأن في سنده ابن لهيعة ، والكلام فيه مشهور.

فيقال : ابن لهيعة خرّج له البخاري ومسلم ، فجاوز القنطرة[3]، ولا يقدح فيما رواه ابن لهيعة إلا جاهل بالصناعة ، والاصطلاح ، وهو قاضي مصر وعالمها ومسندها ، روى عن عطاء بن أبي رباح[4]، والأعرج[5] ، وعكرمة[6]، وخلق .

---

[1] في المطبوع : وما .

[2] في المطبوع : أبي بكر الصديق .

[3] هذا القول لايسلم للشيخ - رحمه الله - ، لأن البخاري لم يخرج لابن لهيعة ، وإنما أخرج في كتاب الفتن من صحيحه : عن المقري عن حيوة و "غيره" عن أبي الأسود قال : " قطع على أهل المدينة بعث ..." الحديث ، قال ابن حجر : " وهو ابن لهيعة لا شك فيه " . ومثل هذا لايعتبر تقوية للرجل .

أما مسلم فقد خرج له مقرونا بغيره ، وهو " عمرو بن الحارث " [كتاب الصلاة / استحباب التبكير بالعصر] (1/435) ، قال : قال عمرو أخبرنا وقال الآخران حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب أن موسى بن سعد الأنصاري حدثه عن حفص بن عبيد الله عن أنس بن مالك أنه قال : ثم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فلما انصرف ...الحديث . وقد تقرر أن المخرج لهم في الشواهد والمتابعات – دون الأصول – لايكون ذلك توثيقا لهم .

[4] في المطبوع : لم يثبت (أبي) . وهو : عطاء بن أبي رباح : بفتح الراء والموحدة ، واسم أبي رباح : أسلم القرشي ، مولاهم المكي ، ثقة فقيه فاضل ، لكنه كثير الإرسال ، مات سنة (114هـ) على المشهور ، وقيل : إنه تغير بأخره ، ولم يكثر ذلك منه . انظر: الكاشف للذهبي (2/231) ، تقريب التهذيب (391) .

[5] هو : عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، أبو داود المدني ، مولى ربيعة بن الحارث ، ثقة ثبت عالم، مات سنة (117هـ) . انظر: الكاشف للذهبي (2/167) ، تقريب التهذيب (352) .

[6] هو : عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس ، أصله بربري ، ثقة ثبت عالم بالتفسير ، ولم تثبت عنه بدعة ، مات سنة (104هـ) وقيل بعد ذلك . انظر:

و[عن][1] شعبة بـن الحجـاج[2] أميـر المؤمنيـن في الحديث ، وعمرو بن الحارث[3]، والليث بن سعـد[4] وابـن وهب[5] وخلق.

ومن طعن في ابن لهيعة بقول بعض الناس[6] لزمه الطعن في كثير من الأكابر المحدثين ، كسعيد المقبري[7] ، وسعيد بن أبي إياس الجريري[8] ، وسعيد ابن [عروبة][9] ، وإسماعيل بن أبان[10] ، وأزهر بن سعد السمان البصري[11] ، وأحمد بن صالح المصري[12]، وأبو اليمان[13] وأمثالهم ممن خرج لهم البخاري وغيره من الأئمة ، ليس عشك فادرجي .

الكاشف للذهبي (2/241) ، تقريب التهذيب (397) .

[1] في المطبوع : عنه . وهو الصواب .

[2] هو : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم ، أبو بسطام الواسطي ثم البصري ، ثقة حافظ متقن ، كان الثوري يقول : هو أمير المؤمنين في الحديث ، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذب عن السنة ، وكان عابدا ، مات سنة(160هـ) . انظر: الكاشف للذهبي (2/10) ، تقريب التهذيب (266) .

[3] هو : عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري ، مولاهم المصري ، أبو أيوب ، ثقة فقيه حافظ ، مات قديما قبل الخمسين ومائة قيل (148هـ) . انظر: الكاشف للذهبي (2/282) ، تقريب التهذيب (419) .

[4] هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور ، مات في شعبان سنة (175هـ) .انظر: الكاشف للذهبي (3/12) ، تقريب التهذيب (464) .

[5] هو : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المصري الفقيه ، ثقة حافظ عابد ، مات سنة (197هـ) وله اثنتان وسبعون سنة .انظر: الكاشف للذهبي (2/126) ، تقريب التهذيب (328) .

[6] في المطبوع : الناس فيه .

[7] هو : سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري ، أبو سعد المدني ، ثقة ، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة ، مات في حدود (12 3هـ) وقيل قبلها وقيل بعدها.انظر: الكاشف للذهبي (1/287) ، تقريب التهذيب (236) .

[8] هو : سعيد بن إياس الجريري - بضم الجيم- أبو مسعود البصري ، ثقة ، اختلط قبل موته بثلاث سنين مات سنة (144هـ) .انظر: الكاشف للذهبي (1/281) ، تقريب التهذيب (233) .

[9] في المطبوع : أبي عروبة . وهو الصواب . وهو : سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري ، مولاهم ، أبو النضر البصري ، ثقة حافظ له تصانيف ، كثير التدليس واختلط ، وكان من أثبت الناس في قتادة ، مات سنة (156 وقيل 157هـ) . انظر : الكاشف للذهبي (1/292) ، تقريب التهذيب (239) .

[10] هو : إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي ، أبو إسحاق أو أبو إبراهيم ، كوفي ثقة ، تكلم فيه للتشيع ، مات سنة (216هـ) . انظر: الكاشف للذهبي (1/68) ، تقريب التهذيب (105) .

[11] هو : أزهر بن سعد السمان ، أبو بكر الباهلي ، بصري ثقة ، مات سنة (203هـ) وعمره : أربع وتسعين . انظر : الكاشف للذهبي (1/56) ، تقريب التهذيب (97) .

[12] هو : أحمد بن صالح المصري ، أبو جعفر بن الطبري ، ثقة حافظ ، تكلم فيه النسائي بسبب أوهام له قليلة ، ونقل عن ابن معين تكذيبه ، وجزم ابن حبان

فدع عنك الكتابة لست منها   ولو سودت وجهك بالمداد[1]

وأما قوله : وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (الأنفال :17) ، وقوله ﷺ : " ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم " -

وهذا من نوادر جهل هؤلاء الضلال ، فإن لفظ الاستغاثة : طلب الغوث ممن هو بيده لمن أصابته شدة ، ووقع في كرب ، والأنجح والأولى لمن أصابه ذلك أن يستغيث بمن يجيب المضطر إذا دعاه ، الموصوف بأنه غياث المستغيثين ، مجيب المضطرين ، أرحم الراحمين .

فلفظ الاستغاثة يستعمل في مخ العبادة ، وما لا يقدر عليه إلا الله ، عالم الغيب والشهادة ، فكره ﷺ إطلاقه عليه فيما يستطيعه ويقدر عليه ، حماية لحمى التوحيد ، [وسدا لذريعة الشرك، وإن كان يجوز إطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق، فحماية جناب[2] التوحيد][3] من مقاصد الرسول، ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة، فأين هذا من قوله : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فإن الرمي المنفي هو إيصال ما رمى به إلى أعين المشركين جملتهم، وهزيمتهم بذلك، والرمي المثبت ما فعله النبي ﷺ من رمي ما أخذ بكفه الشريفة من التراب واستقبال وجوه العدو به.

وأما قوله : وكثيرا ما تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة العلم، ويجيء القرآن من إضافة[4] الفعل إلى مكتسبه، كقوله ﷺ : "لن يدخل الجنة رجل بعمله"[5] مع قوله تعالى: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل : 32).

فالأمر ليس كما توهمه العراقي ، فإن الباء في الحديث : باء المعاوضة والمبادلة. وفي الآية : هي باء السببية ، لا باء المعاوضة . فالمنفي غير المثبت، كما نص عليه أهل العلم وأهل

بأنه إنما تكلم في أحمد بن صالح الشمومي فظن النسائي أنه عنى ابن الطبري ، مات سنة (258) ، وله ثمان وسبعون سنة . انظر: الكاشف للذهبي (1/19) ، تقريب التهذيب (80) .

13 هو : الحكم بن نافع البهراني - بفتح الموحدة - أبو اليمان الحمصي مشهور بكنيته ، ثقة ثبت، يقال إن أكثر حديثه عن شعيب مناولة ، مات سنة (221هـ) . انظر: الكاشف للذهبي (1/184) ، تقريب التهذيب (176) .

1 هذا البيت دارج ، كثيرا ما يستشهد به . أورده الذهبي في التذكرة (1/4) ، وغيره .

2 في المطبوع : جانب .

3 ساقط من (خ) .

4 في المطبوع : بإضافة .

5 في المطبوع : " لن يدخل أحد الجنة بعمله " .

التفسير، وكل فاضل وعارف بصير، نعوذ بالله من القول على الله وعلى كتابه بغير علم ولا سلطان منير.

وأما قوله : إن إطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو تسببا أمر معلوم، لا شك فيه لغة ولا شرعا - فقد تقدم كلام شيخ الإسلام في نفي الاستغاثة عمن يسأل الله بجاهه وحقه ، وعمن يدعو [لغيره][1] ، وأن من قال ذلك فقد كذب على سائر اللغات والأمم ، وأما من يسأل ويدعو وينادي كما يفعله عباد القبور بمن يدعونه ، فهذا يسمى استغاثة ، كما يسمى عبادة لغير الله، وشركا بالله ، وهذا النوع ليس النزاع في اسمه ، وإنما النزاع في جوازه وحله.

وأما حديث الشفاعة - فهو فيما يقدر عليه البشر من الدعاء ، كما يسأل الحي الحاضر أن يدعو الله، وأن يستسقي.

وأما كلام الشيخ ابن تيمية الذي نقله عن المصنفين في أسماء الله فهو حجة لنا على عباد القبور، فإنهم استغاثوا بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وقوله: وإن حصلت من غيره تعالى فهو مجاز[2].

---

[1] في المطبوع : غيره . وهو الصواب .

[2] أصل الخطأ في جعل الفعل حقيقة لله مجازا للعبد ، وأن العبد غير مختار : هو الظن بأن الفعل هو المفعول ، والخلق هو المخلوق ، فلما اعتقدوا أن أفعال العباد مخلوقة مفعولة لله قالوا : فهي فعله . والصواب الذي يدل عليه الكتاب والسنة ، والذي عليه أئمة أهل السنة : أن قدر ة الرب وقدرة العبد تتناول كلا النوعين : الفعل القائم بالفاعل ، ومقدوره .

وذلك أن القدرة هي القدرة على الفعل ، والفعل نوعان : لازم ومتعد . وحكى أبو الحسين البغوي وغيره إجماع أهل السنة على أن العبد فاعل حقيقة ، وله قدرة واختيار، وقدرته مؤثرة في مقدورها ، وقد أخبر سبحانه في كتابه أن العباد يفعلون و يصومون و يعملون وأخبر سبحانه أن لهم استطاعة وقوة في غير موضع .

فالعبد فاعل لفعله حقيقة وقدرته لها تأثير في فعله ، والله سبحانه جعله فاعلاً محدثاً له فالله سبحانه خالق وفاعل كل شيء بما خلقه من الأسباب ، وليس شيء من الأسباب مستقلا بالفعل ، بل هو محتاج إلى أسباب أخر تعاونه ، وإلى دفع موانع تعارضه ، ولا تستقل إلا مشيئة الله تعالى، وهذا قول جماهير أهل السنة من جميع الطوائف .

فالله سبحانه إذا خلق في محل صفة أو فعلا لم يتصف هو بتلك الصفة ولا ذلك الفعل ، ففرق بين فعله هو ، وبين ما هو مفعول مخلوق له ، فأفعال العباد مخلوقة لله سبحانه ، ومفعولة له ، ولكن ليست هي نفس فعله ، وخلقه الذي هو صفته القائمة به .

انظر: الصحائف الإلهية (ص 385) ، شفاء العليل لابن القيم (ص 131) ، المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين لمحمد العروسي (ص171-172) .

جوابه : أن الاستغاثة التي هي من جنس الأسباب العادية التي يقدر عليها المخلوق وفي وسعه ، فهذه وإن حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز، ولا ينازع في هذا من عرف شيئا من اللغة ، والعبد يفعل حقيقة ، فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة، ويهب حقيقة، وينصر أخاه ظالما أو مظلوما حقيقة، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل ، وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة ، وإنما ينفي الفعل حقيقة عن فاعله ومن[1] قام به : القدرية المجبرة ، الذين يزعمون أن العبد مجبور، وأنه لا اختيار له ، ولا مشيئة ، كما هو مبسوط في موضعه ، والعراقي صفر اليدين من هذه المباحث المهمة .

وكذلك قوله : الاستغاثة بمعنى أن يطلب منه ما هو اللائق بمنصبه ، لا ينازع فيها مسلم - فاللائق بمنصبه الشريف : أن يطلب منه ما يستطيعه ويقدر عليه ، كالدعاء ، وسائر الأسباب العادية ، ونحو ذلك ، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله ، كهداية القلوب ومغفرة الذنوب والإنقاذ من النار، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله الواحد القهار ، فهذا إنما يليق بمقام الربوبية، قال تعالى:(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)(القصص:56) ، وقال: (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ) (آل عمران :135) ، وقال تعالى: (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) (الزمر : 19) ، وقال تعالى: (لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ)(آل عمران :128) ، وقال رجل : " أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد ، فقال ﷺ : عرف الحق لأهله "[2] .

وأما قول العراقي : وقد ذكر المجوزون أن جعل النبي ﷺ متسببا ، لا مانع من ذلك شرعا وعقلا - فهذه العبارة ركيكة التركيب ، والمجوزون للاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هم خصومنا ، فلا حجة في كلامهم، بل الشرع والعقل يرد مذهبهم ويبطله كما مر تقريره عن شمس الدين ابن القيم .

وأما الأسباب العادية ، فإنها قد تجب ، وقد تستحب ، وقد تباح ، وقد تكره، وليس الكلام فيها ، والمستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، لا ينجيه مجرد اعتقاده أن ذلك بإذن الله ، بل لابد من إخلاص الدعاء والاستغاثة، ودعاء المستغيث من أجل العبادات فيجب إخلاصه لله .

---

1 في المطبوع : عمن .
2 سبق (ص522) .

وقول العراقي : ومن أقر بالكرامة ، وأنها بإذن الله لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك - يقال له : بل البد والسعة واليسر في القول بأنه لا يستغاث بالمخلوق فيما يختص بالخالق[1]، ولو كان المخلوق قد ثبت له من الكرامة ما ثبت ، فالكرامة فعل الله لا فعل[2] غيره ، والمستغاث هو الله لا غيره، ولم يكن الصحابة يستغيثون ويسألون من ظهرت له كرامة ، أو حصلت له خارقة من الخوارق ، فهذا الكلام الذي قال[3] العراقي جهل مركب يليق بقائله، فإن كل إناء بالذي فيه ينضح .

وأما قوله : والأخبار النبوية قد عاضدته والآثار قد ساعدته - فبالوقوف على ما مر من كلامنا تعرف أن الأخبار النبوية قد عارضته وما عاضدته ، بل أبطلته ، والآثار السلفية قد ردته وما ساعدته.

وأما قوله : ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة[4] للفعل ، مع اعتقاده أن الله هو الخالق ، كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء ؟

فجوابه : أن الله – عز وجل –[5] لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الإغاثة المطلقة ، وأما الإغاثة بالأسباب العادية وما هو في طوق البشر وقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه ، والأموات لا قدرة لهم على الأسباب العادية وما يطلب من الحي الحاضر ، فما هنا ليس من ذلك القبيل : (وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ) (فاطر:22) ، وقد يجعل الله للعبد قدرة على بعض الأشياء ويمنع من سؤاله وطلبه وفي الحديث : " لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله – عز وجل – وليس على وجهه مزعة لحم "[6] ، وفيه : " من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا ، أو خموشا في وجهة "[7] ، فهذا له

---

[1] في المطبوع : يخص الخالق .

[2] في المطبوع : من فعل الله لا من فعل غيره .

[3] في المطبوع : قاله .

[4] في (خ) : كسبه .

[5] (عز وجل) ساقطة من المطبوع .

[6] رواه البخاري [كتاب الزكاة / باب : من سأل الناس تكثرا] (2/536) ، ومسلم [كتاب الزكاة / باب : كراهة المسألة للناس] (2/720) واللفظ له .

[7] رواه أبو داود [كتاب الزكاة / باب : من يعطى من الصدقة] (2/116) ، والترمذي [كتاب الزكاة/ باب : من تحل له الزكاة] (3/40) ، وابن ماجة [كتاب الزكاة / باب : من سأل عن ظهر غنى] (1/589) ، والنسائي [كتاب الزكاة / باب : حد الغنى] ، و رواه أحمد في المسند (1/388،441) ، وأبو يعلى (9/139) . والحديث حسنه الترمذي ، و صححه الحاكم (1/407) وسكت

قدرة ، وقد منع السائل الغني من سؤاله ، بل والسحرة جعل الله – تعالى-[1] لهم قدرة على أنواع السحر والشعوذة، وسؤالهم ذلك من أكبر الكبائر ، فبطل قول العراقي : إن من جعل الله له قدرة لا مانع من سؤاله .

وكون الله قد قرب أنبياءه ورسله وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم لا يقتضي ذلك أن يستغاث بهم أو يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ، والتعظيم اللائق بمناصبهم ليس من هذا الجنس ، بل تعظيمهم : محبتهم، وطاعتهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، والاقتداء بهديهم، والأخذ بما جاءوا به.

وعباد القبور تركوا هذا التعظيم الواجب وعظموهم بالاستغاثة، والعبادة، والذبح، والنذر، من جنس تعظيم أهل الكتاب لأنبيائهم، ورهبانهم، وأحبارهم، وهذا العراقي من جهله يدعو الناس إلى طريقة الغلاة من أهل الكتاب ، ويعرض عما جاءت به الرسل ، ويصد عن السنة والكتاب ، قال تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ) (الأنفال: 22) .

وأما قوله : وقد خلق الله فيه قوة كاسبة - فإن أراد القوة العادية البشرية الإنسانية فليس النزاع في هذا ، وإن أراد ما يعتقده عباد القبور في معبوداتهم من الصالحين وغيرهم ، وأن لهم قدرة على إجابة المضطر، وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج السائلين، فهذا شرك في الربوبية[2] لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية ، بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا وتدبيرا.

وإن أراد أنهم يدعون ويسألون ويستغاث بهم ، والله يعطي لأجلهم ، فهذا هو قول الجاهلية من الأميين والكتابيين ، وتقدمت الآيات الدالة على ذلك ، وتقدم ما حكاه الشيخ من قول النصارى : " يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الإله "، فهم طلبوا منها الشفاعة والجاه ليس إلا ، وهذا من كفرهم وشركهم ، مع ما هم عليه من القول[3] في عيسى وأمه . قاتلهم الله .

عليه الذهبي ، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة (1/899) برقم 499) .

وخدش الجلد : قشره بعود أو نحوه ، والخدوش جمعه ؛ لأنه سمي به الأثر وإن كان مصدرا ، والكدوح : الخدوش ، وكل أثر من خدش أو عض فهو كدح ، ويجوز أن يكون مصدرا سمي به الأثر ، والخموش تأتي في نفس المعنى . انظر : النهاية في غريب الحديث (2/14، 79) ، (4/155) .

[1] في المطبوع : لم يثبت (تعالى) .

[2] في المطبوع : لم يثبت (في الربوبية).

[3] في المطبوع : القول الشنيع .

فإن كان العراقي أراد هذا الثاني فهو شرك غليظ ، وقد تقدم له التصريح بذلك وعبارته هنا توهم الأول ، وهو الغالب على عباد القبور في هذه الأزمان.   نسأل الله العفو والعافية.

وأما كون الأولياء[1] والصالحين في حال مماتهم كحال حياتهم يدعون لمن قصدهم ويتسببون في إنقاذه ، فهذا جهل عظيم ، وقول على الله بلا علم ، لم يرد به كتاب ولا سنة ، ولا قاله ولا فعله أحد يعتد به ويقتدى به من أهل العلم والإيمان ، وقد مضت القرون الثلاثة المفضلة ولم يعهد عن أحد منهم أنه قال ذلك أو فعله وعندهم أشرف القبور على الإطلاق ، ولم يعرف عن أحد منهم أنه سأل الرسول ﷺ أو دعاه ، ولا غيره من الصالحين .

وخبر العتبي قد تقدم الكلام فيه ، وأن فاعل ذلك أعرابي ليس ممن يقتدى به ويحتج بقوله[2]، وإن كان بعض المتأخرين احتج بحكاية الأعرابي فهو احتجاج مدخول ، وقد نازعهم من هو أقدم منهم وأجل من الأكابر والفحول .

وقول العراقي في قوله تعالى: (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)(القصص :15) فإن قال قائل : هذا في الحي وله قدرة . قلنا : لا يجوز نسبة الأفعال إلى أحد ، حي أو ميت على أنه الفاعل استقلالا من دون الله- فهذا الكلام أورده العراقي بناء على أن النزاع في دعوى الاستقلال، وبزعمه أنه إذا لم يعتقد الاستقلال فالأسباب العادية كغيرها، ودعاء الأموات والغائبين يجوز عنده إذا لم يعتقد الاستقلال ، هذه دعواه كررها مرارا ، واحتج بها ، والدعوى تحتاج لدليل ولا تصلح[3] هي دليلا ، لا سيما هذه الدعوى الضالة الكاذبة الخاطئة .

والله سبحانه وتعالى[4] حكى استغاثة المخلوق الحي بالمخلوق[5] الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدوه ، وهذا جائز لا نزاع فيه ، واعتقاد الاستقلال من دون الله ، وأن العبد يخلق أفعال نفسه ، هذه مسألة أخرى لم يقل بها إلا قدرية النفاة ، والناس مختلفون في تكفيرهم بهذا القول .

---

1 في المطبوع : الأنبياء .

2 في المطبوع : لقوله .

3 في المطبوع : تصح .

4 في المطبوع : لم يثبت (وتعالى) .

5 في المطبوع : لم يثبت (بالمخلوق) .

وبالجملة : فالنزاع في غير هذه المسألة ، وإنما هو في دعاء الأموات والغائبين وإن لم يستقل بذلك المطلوب من دون الله .

وقول العراقي : وقد جعل الله الإغاثة في غيره - قول ركيك فاسد المعنى ، فإن الله لم يجعل الإغاثة في غيره ، بل هو المغيث على الإطلاق ، وإنما جعل لعباده عملا وكسبا في فرد جزئي مما يستطيعه العبد ويكون في قدرته ، وعبارة العراقي في غاية البشاعة .

وقوله : فلهذا نفى النبي ﷺ الإغاثة كما تقدم حيث قال : " إنه لا يستغاث بي[1] " - فليس النفي لما ذكره العراقي ، فإن المخاطبين يعلمون أن الله خالق أفعال العباد ، وإنما نفى الاستغاثة عنه حماية للتوحيد ، وصيانة لجانبه ، كما قال لمن قال له : " أنت سيدنا ، وابن سيدنا " : " السيد الله ، إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله "[2].

ولو كان كما زعم العراقي ، لنفى عن رسول الله[3] ﷺ كل فعل وكل قول صدر منه ؛ لأنه لا يفعله استقلالا ، قال الله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)(الصافات :96) ، والعراقي قد خاض فيما لا يدريه ، وما هو أجنبي عنه ، فألحد في الألفاظ النبوية ، وحرفها ، وكابر الحس والمعقول ، والمنفي في الحديث الاستغاثة لا الإغاثة ، وأظن المعترض لا يفرق بينهما.

* * *

---

1 في المطبوع : إلا بالله .

2 سبق (ص 566) .

3 في المطبوع : الرسول .

فصل

قال العراقي : الدليل الأول .

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)(المائدة :35) .

قال البغوي في قوله تعالى : (يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)(الإسراء :57) : " إن الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله ، على قول بعضهم ، أي : ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به "[1].

فظاهر الآية عام في الأفعال والذوات ، ومن ادعى التخصيص بأحدهما فقد تحكم ، على أن ظاهر سياق الآيات تخصيصه بالذوات ؛ لأنه سبحانه وتعالى قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) ، والتقوى : عبارة عن فعل المأمور وترك المنهي ، فإذا فسر [بابتغاء][2] الوسيلة بالأعمال يكون تأكيدا للأمر بالتقوى ، فيكون مكررا ، وإذا أريد به التوسل بالذوات يكون تأسيسا[3] ، وهو خير من التأكيد .

---

[1] تفسير البغوي (5/101) .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وهو تصحيف . وفي صلح الإخوان : (فسرنا ابتغاء). وهو الصواب .

[3] التأسيس : عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن أصلا قبله ، والتأسيس خير من التأكيد لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة .
انظر : الكليات (267) ، كشاف اصطلاحات الفنون (1/98) .

وقد نقـل ابـن تيمية فـي " الفتاوى " وغيرهـا كمـا نقلنـاه سابقا فـي حديث الأعمـى في قوله ﷺ[1] : " اللهم إني أتوسل إليك بنبيك "[2] ، إن للناس فيه قولين : منهم من قال : هو طلب دعائه في حال حياته ، ومنهم من قال بالعموم في حياته وبعد مماته ، في حضوره وفي[3] مغيبه[4].

---

[1] في المطبوع : لم يثبت (ﷺ) .

[2] رواه الترمذي [كتاب الدعوات /بدون ذكر الباب] (5/531) عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : " ادع الله أن يعافيني ، قال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك " ، قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويدعو بهذا الدعاء " اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفعه في " ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ورواه ابن ماجة [كتاب الإقامة/ باب : ما جاء في صلاة الحاجة] (1/441) باختلاف يسير في بعض ألفاظه ، ومثله الإمام أحمد (4/138) . ورواه ابن خزيمة في صحيحه (باب صلاة الترغيب والترهيب 2/225) ، ورواه الحاكم (1/519) ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وكذلك صححه شيخ الإسلام في الفتاوى (1/266-ومابعدها) ، وصححه الألباني –رحمه الله – في التوسل والوسيلة (74) .

والحديث ضعفه آخرون ، مثل صاحب صيانة الإنسان (الشيخ محمد بشير السهسواني) (ص369)، وصاحب كتاب (الصراع بين الوثنية والإسلام)(2/604- وما بعدها) .

[3] في المطبوع : لم يثبت (في) .

[4] مجموع الفتاوى (1/324) .

وقد ورد توسل عمر بالعباس كما في " صحيح البخاري "[1] ، واللفظ عام ، ويساعده رواية ابن بكار[2] : أن عمر - رضي الله عنه - توسل بشيبة العباس وهي جماد[3]، وسيأتيك في الأحاديث الصحيحة توسل الصحابة بذوات أشياء جمادات[4] من أسباب النبي ﷺ، و[أشباه][5] غيره .

---

[1] رواه البخاري [كتاب الاستسقاء/ باب : سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا] (1/342) عن أنس رضي الله عنه : ثم أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا - صلى الله عليه وسلم - فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال : فيسقون " ، وفي [كتاب فضائل الصحابة / باب ذكر العباس بن عبد المطلب] (3/1360) . ورواه البيهقي في السنن الكبرى (3/352) ، وابن خزيمة في صحيحه (باب استحباب الاستسقاء ببعض قرابة النبي ... 2/337) ، وابن حبان في صحيحه (7/111) .

[2] في المطبوع : الزبير بن بكار . وهو : الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدي المدني ، أبو عبد الله بن أبي بكر قاضى المدينة ، ثقة . أخطأ السليماني في تضعيفه ، مات سنة (256هـ) . انظر : الكاشف (1/256) ، تقريب التهذيب (214) .

[3] قال ابن حجر في " فتح الباري " (2/497) : " وقد بين الزبير بن بكار في " الأنساب " صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة ، والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له : أن العباس لما استسقى به عمر ، قال : " اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث "، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس ، وأخرج أيضا من طريق داود عن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فذكر الحديث - وفيه فخطب الناس عمر ، فقال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله ، وفيه فما برحوا حتى سقاهم الله ، وأخرجه البلاذري من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فقال عن أبيه بدل ابن عمر فيحتمل أن يكون لزيد فيه شيخان " . وانظر : الاستيعاب لابن عبد البر(2/815) .

[4] في المطبوع : وجمادات .

[5] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي صلح الإخوان ، والمطبوع : (أسباب) وهو الصواب .

والجواب أن يقال : الله أكبر على هؤلاء الضلال الكاذبين على الله وعلى رسوله[1]، المبدلين لدينه المحرفين للكلم عن مواضعه.

وهذا الكلام الذي ذكر[2] العراقي جمع فيه من التحريف والإلحاد والكذب والقول في كتاب الله برأيه ما سيمر بك بيانه مفصلا ، وفي الحديث : " من قال في القرآن برأيه – وفي رواية بما لا يعلم – فليتبوأ مقعده من النار"[3] .

وقد تكلم الحافظ ابن كثير على قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)(المائدة :35) ، بما يرد قول العراقي[4] ويبطله .

قال - رحمه الله تعالى - : " يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه ، وهي إذا قرنت[5] بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهي عنه ، وقد قال بعدها: (وابتغوا إليه الوسيلة) قال سفيان الثوري[6]، عن[7] طلحة[8]، عن عطاء[9]، عن ابن عباس، أي : "القربة" ، وكذا قال مجاهد[10]، وعطاء ، وأبو وائل[11] ، والحسن[12]، وقتادة[13]، وعبد لله

---

[1] في المطبوع : رسله .

[2] في المطبوع : ذكره .

[3] رواه الترمذي [كتاب التفسير/ باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه] (5/199) ، وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (5/30) ، والإمام أحمد في المسند (1/233،269) ، وأبو يعلى (4/228) ، والبيهقي في السنن (5/30-31) ، والبغوي في شرح السنة (1/257-258)، وعزاه المناوي في فيض القدير(6/190) إلى أبي داود [كتاب العلم] ولم أجده ، ولعله في = غير رواية اللؤلؤي وهي المتداولة . وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص 359) رقم (569) .

[4] في المطبوع : هذا العراقي .

[5] في المطبوع : اقترنت .

[6] هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة ، وكان ربما دلس ، مات سنة (161هـ) وله أربع وستون سنة . انظر: الكاشف (1/300) ، تقريب التهذيب (244) .

[7] في تفسير الطبري ، وابن كثير (عن أبي ، عن طلحة) . وأبوه : هو سعيد بن مسروق الثوري ، ثقة من السادسة مات سنة (126هـ) وقيل بعدها . الكاشف (1/295) ، تقريب التهذيب (241) .

[8] هو : طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي متروك ، مات سنة (152هـ) . انظر : الكاشف (2/40) ، تقريب التهذيب (283) .

[9] هو : عطاء بن أبي رباح . وقد تقدم .

[10] هو : مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي ، قرأ على ابن عباس وصحب ابن عمر مدة كثيرة وأخذ عنه ، قال قتادة أعلم من بقي بالتفسير مجاهد ، توفي سنة (104هـ) . انظر : الكاشف (3/106) ، تقريب التهذيب (520) .

بن كثير[1]، والسدي[2]، وأبو زيد[3]. قال قتادة : " أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه " ، وقرأ ابن زيد[4] : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ) .

وهذا الذي قاله هؤلاء هو قول[5] الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه . وأنشد ابن جرير- رحمه الله -[6] قول الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا   وعاد التصافي بيننا والوسائل[7]

والوسيلة : هي ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود "[8] . انتهى.

وقال البغوي : " وابتغوا أي : اطلبوا إليه الوسيلة ، أي : القربة . فعيلة[9] من[10] توسل إلى فلان بكذا أي تقرب إليه، وجمعها وسائل"[11].

---

[11] هو : شقيق بن سلمة الأسدي ، أبو وائل الكوفي ، ثقة مخضرم ، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز (سنة 82هـ) ، وله مائة سنة . انظر : الكاشف (2/13) ، تقريب التهذيب (268) .

[12] هو : الحسن بن أبي الحسن البصري - واسم أبيه يسار- الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا ، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة ، مات سنة (110هـ) وقد قارب التسعين. انظر : (1/160) ، تقريب التهذيب (160) .

[13] هو : قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطاب البصري ، ثقة ثبت ، يقال ولد أكمه ، وهو رأس ، مات سنة (117هـ) . تقريب التهذيب (453) ، طبقات المفسرين(1/14) .

[1] هو : عبد الله بن كثير الداري المكي ، أبو معبد القارىء أحد الأئمة صدوق ، مات سنة (120هـ) وقيل غير ذلك . الكاشف (2/341) ، تقريب التهذيب (318) .

[2] تقدم (ص   ) .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وفي تفسير ابن كثير (ابن زيد) ولعله الأصوب . وإن كان المقصود أبا زيد فلعله : سعيد بن أوس بن ثابت ، أبو زيد الأنصاري ، النحوي البصري، صدوق له أوهام ، ورمي بالقدر ، مات سنة (215هـ) على الصحيح وله ثلاث وتسعون .
انظر : الكاشف (1/281) ، تقريب التهذيب (233) .

[4] هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ، ضعيف ، له تفسير ، مات سنة (182هـ). انظر : الكاشف (2/146) ، تقريب التهذيب (340) ، طبقات المفسرين(1/11) . .

[5] في المطبوع : لم يثبت (هو قول) .

[6] في المطبوع : لم يثبت (رحمه الله) .

[7] مجاز القرآن لأبي عبيد (1/164) .

[8] تفسير ابن كثير (3/96-97) ، وانظر: تفسير الطبري (5/226) .

[9] ? في المطبوع : فعليه . وهو تصحيف .

[10] في المطبوع : هي من .

[11] تفسير البغوي (3/51) .

وقال البيضاوي على قوله : (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) أي : " ما يتوسلون به إلى ثوابه ، والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي ، من وسل إلى كذا إذا تقرب إليه "[1]. وقال في الكلام على آية الإسراء : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ) : " هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب، بدل من واو يبتغون ، أي : يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله [الوسيلة][2]، فكيف بغير الأقرب ؟ "[3].

وقال ابن كثير : " وقوله : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش[4] عن إبراهيم[5] عن أبي معمر[6] عن عبد الله[7] في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ) ، قال : " ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا "[8] ، وذكر رواية عن ابن مسعود : " كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن " ، وذكر عن ابن عباس قال : " عيسى وأمه وعزير" ، وعنه : " والشمس والقمر" ، وقال مجاهد : " عيسى وعزير والملائكة " .

---

[1] تفسير البيضاوي (2/321) .

[2] لم تثبت في كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع ، ومن تفسير البيضاوي . ولا يتم المعنى إلا بها .

[3] تفسير البيضاوي (3/452) .

[4] هو : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، أبو محمد الكوفي الأعمش ، ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع ، لكنه يدلس ، مات سنة (147هـ) ، وكان مولده أول سنة إحدى وستين .
انظر : الكاشف (1/320) ، تقريب التهذيب (254) .

[5] هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، أبو عمران الكوفي ، الفقيه ، ثقة إلا أنه يرسل كثيرا ، مات سنة (96هـ) وهو ابن خمسين أو نحوها .
انظر : الكاشف (1/51) ، تقريب التهذيب (95).

[6] هو : عبد الله بن سخبرة - بفتح المهملة وسكون المعجمة وفتح الموحدة - الأزدي ، أبو معمر الكوفي ، ثقة ، مات في إمارة عبيد الله بن زياد . الكاشف للذهبي (2/81) ، تقريب التهذيب (305).

[7] هو : الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود .

[8] رواه البخاري [كتاب التفسير/ باب أولئك الذين يدعون ...] (4/1748) .

واختار ابن جرير[1] قول ابن مسعود ؛ لقوله: ﴿يبتغون﴾ ، وهذا لا [يعرب][2] به عن الماضي ، فلا يدخل فيه عيسى والعزير.
وقال : الوسيلة هي القربة ، كما قال [تعالى][3] ، ولهذا قال : (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)"[4]. انتهى.
واختار شيخ الإسلام أن الآية تعم من ذكر وغيرهم ممن عبده المشركون من أولياء الله وعباده الصالحين[5].
فتبين بهذا رد ما ذكره البغوي ، فإن المفسرين ذكروا ابتغاء الوسيلة : وهو طلب القربة ، فتقدم قول البيضاوي في قوله : (أيهم أقرب) : أنه بدل من الواو في يبتغون . وقال أبو حفص العكبري[6]: " أيهم : مبتدأ ، وأقرب : خبره. وهو استفهام . والجملة في موضع نصب بيدعون "[7] ، وعلى كلا القولين لا يصح ما ذكره البغوي من توسل بعضهم ببعض .
وفي " الجلالين " : " أولئك الذين يدعونهم[8] آلهة ﴿يبتغون﴾ : يطلبون، ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ : القربة بالطاعة، ﴿أيهم﴾ : بدل من واو يبتغون ، أي : يبتغيها الذي هو أقرب إليه ، فكيف بغيره ؟ "[9] .

---

[1] قال الطبري : " وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي رويناه عن أبي معمر عنه ، وذلك أن الله - تعالى ذكره - أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومعلوم أن عزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام فيبتغي إلى ربه الوسيلة ، وأن عيسى قد كان رفع ، وإنما يبتغي إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله ويتقرب إليه بالصالح من الأعمال ، فأما من كان لا سبيل له إلى العمل ، فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة ؟ فإذ كان لا معنى لهذا القول فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل ، أو قول من قال " هم الملائكة " ، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل " تفسير الطبري (9/106) .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وهو تصحيف . وفي تفسير ابن كثير : (يعبر) وهو الصواب .

[3] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وفي تفسير الطبري ، وابن كثير : (قتادة) ولعله الأصوب .

[4] تفسير ابن كثير (5/86-87) ، وانظر: تفسير الطبري (9/104-106) .

[5] انظر: مجموع الفتاوى (14/413) ، (16/24،124) .

[6] هو : عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين ، العكبري الأصل ، البغدادي المولد ، أبو البقاء الفقيه الحنبلي ، الفرضي النحوي الضرير ، صنف مصنفات مفيدة وله كتاب " إعراب القرآن في مجلدين ، كتاب شرح اللمع لابن جني وغيرها "، وكانت وفاته في سنة ست عشرة وستمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب . انظر : طبقات المفسرين (1/219) ، الذيل على طبقات الحنابلة (4/109) .

[7] انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري (2/93) .

[8] في المطبوع : يدعون .

[9] تفسير الجلالين (372) .

إذا عرف هذا تبين فساد قول البغوي في آية الإسراء ، فإن التوسل في العرف الشرعي : فعل ما يتوسل به إلى الله من الإيمان به ، والعمل الصالح الذي شرعه[1] ويرضاه ، كما في حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، فانطبقت عليهم الصخرة[2]. هذا هو التوسل المعروف ، كما عليه أهل الإسلام من المفسرين وغيرهم ، ومر قول قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه .

وتقدم قول ابن كثير بعد حكاية هذا : " وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين " ، فذكر الإجماع على أن المراد : القربة بالعمل الصالح وما يرضاه تعالى[3].

ثم لو سلم صحة ما ذكره البغوي ، فليس المراد أن بعضهم يدعو من هو أقرب منه ، ويسأله الشفاعة والتقرب ، بل التوسل يطلق عنده على سؤال الله بجاه المقربين ، وبحق الصالحين ، لا كما يظنه عباد القبور: من أن التوسل هو دعاء

---

[1] في المطبوع : يشرعه .

[2] رواه البخاري [كتاب الأدب / باب : إجابة دعاء من بر والديه] (5/2228) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ثم بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر ، فمالوا إلى غار في الجبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة ، فادعوا الله بها لعله يفرجها .

فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ، ولي صبية صغار ، كنت أرعى عليهم ، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي ، وإنه نأى بي الشجر يوما ، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب فقمت ثم رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء .

وقال الثاني : اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها ، فلما قعدت بين رجليها قالت : يا عبدالله اتق الله ، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه . فقمت عنها ، اللهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها ، ففرج لهم فرجة .=

= وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز ، فلما قضى عمله قال : أعطني حقي ، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها، فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي ، فقلت : اذهب إلى تلك البقر وراعيها ، فقال : اتق الله ولا تهزأ بي ، فقلت : إني لا أهزأ بك ، فخذ تلك البقر وراعيها ، فأخذه فانطلق بها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي ، ففرج الله عنهم " .

ورواه مسلم [كتاب الذكر والدعاء/ باب : باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال] (4/2099) .

[3] في المطبوع : الله تعالى .

الصالح نفسه ، وقصده بالمسألة والطلب من دون الله ، والتقرب إليه بالذبح والنذر وغيرهما من العبادات ، فإن هذا عين الشرك الذي نزلت الآية بإبطاله والرد على أهله .

فإن الجاهلية من الأميين والكتابيين يدعون[1] الملائكة وعيسى وأمه والعزير، ويتوجهون إليهم في حاجاتهم وملماتهم ، ويتقربون إليهم بصرف الأموال ذبحا ونذرا ، فرد الله عليهم هذا الفعل من صنيعهم ، وأخبرهم أن هؤلاء المدعوين لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله من حال إلى حال ؛ لأن من عبد الأنبياء والصالحين يدعي أنه يكشف الضر بواسطتهم ، وعلى يديهم[2]، كما يقوله[3] عباد القبور ، فأخبر تعالى أن هؤلاء المدعوين عبيده كما أن الداعين عبيده ، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، والخائف الراجي لا يصلح أن يكون مدعوا ومعبودا .

فانظر هذه الآية الكريمة وما دلت عليه وما سيقت له ، وانظر حقيقة دعوى العراقي ، وما يفعله الغلاة في الأولياء والصالحين ، تعرف أنه استدل بالآية الكريمة التي هي نص على إبطال دعاء الصالحين ومسألتهم وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذبح والنذر لهم ، وعلى إبطال دعواه أيضا في التوسل الشركي بالصالحين ، ودعائهم ومسألتهم ، وبهذا تعرف أنه مشاق لله، ولرسوله[4]، يستدل[5] بالآية[6] على نقيض ما دلت عليه ، ويفهم منها عكس ما دعت إليه ، وهكذا حال القلوب المنكوسة ، تتصور الأشياء على خلاف ما هي عليه ، وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية على إبطال التوسل الشركي الذي هو دعاء الصالحين ، والعراقي استدل بها على جوازه واستحبابه . فبعدا للقوم الظالمين .

وأما قول العراقي : فظاهر الآية عام في الأفعال والذوات – فهذا يكذبه ويبطله ما مر من إجماع المفسرين على أن الوسيلة هي التقرب إلى الله بطاعته وبما يرضيه مما شرعه وأذن فيه .

---

[1] في المطبوع : كانوا يدعون .
[2] في المطبوع : أيديهم .
[3] في المطبوع : يقول .
[4] في المطبوع : ورسوله .
[5] في المطبوع : ويستدل .
[6] في المطبوع : بالآية الكريمة .

والتوسل الذي يريده العراقي بذوات الصالحين : هو دعاؤهم ومسألتهم وتعظيمهم بالعبادة ، وتقدم كلام ابن القيم في أنه يستحيل أن تأتي شريعة من الشرائع بإباحة ذلك[1] .

وقوله : ومن ادعى التخصيص بأحدهما فقد تحكم - ففي هذا القول من سوء الأدب مع الشارع والجرأة على الله وعلى رسوله ما يعلمه أهل العلم بدينه الذين عقلوا عنه[2] مراده ، وعرفوا أنه خص[3] القرب التي يحبها ويرضاها ونهى عن مجاوزتها إلى البدع والضلالات ، فالمخصص للقرب والوسائل هو الله ورسوله قال تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) (الشورى : 21) .

ثم اقتحم العراقي وأتى بقولة يضحك منها صبيان المكاتب ، فقال : " على أن ظاهر سياق الآيات تخصيصه بالذوات " ، فأتى على ما قاله المفسرون قاطبة فهدمه ، واجتث أصله ورده رد من لا يؤمن بالكتاب ، ولا يخاف سوء الحساب .

واستدلاله على تلك الدعوى الضالة بأن التقوى فعل المأمور وترك المنهي، وإذا فسر ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون تأكيدا فيكون مكررا ، وإذا أريد به التوسل بالذوات يكون تأسيسا[4] وهو خير من التأكيد – هذا كلامه بحروفه .

وكفى بهذا خزيا وفضيحة ، وتسجيلا على جهالته ، وأنه ما عرف شرعا ولا لغة ولا دينا وهذا مردود بوجوه .

الأول : أن ابن كثير قرر أن التقوى إذا قرنت بالطاعة أو الوسيلة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهي كما في هذه الآية ، والوسيلة هي: التقرب إلى الله بأنواع الطاعات وأصناف العبادات ، ومراده [أنها][5] إذا أطلقت ولم تقترن بغيرها دخل فيها فعل المأمور وترك المحظور، وهكذا اسم العبادة والطاعة تعم عند الإطلاق ، وتخص مع الاقتران والتقييد ، فالعراقي لم يعرف مسمى التقوى في هذا المحل ، وخبط خبط عشواء .

الوجه الثاني : أن الوسيلة ما يتقرب[6] إلى الله تعالى ، والتقوى تطلق على ما يتقى به عذابه ، ويرجى به ثوابه ، فلو قيل بهذا الإطلاق هنا فالقرب إلى الله وطلبه أخص مما قبله .

---

1 انظر : النقل السابق من الجواب الكافي (ص) .
2 في المطبوع : عند .
3 في المطبوع : خصص .
4 في (خ) : قدم بعد تأسيسا قوله (على جهالته) فلم يتضح المعنى .
5 ساقطة من (خ) .
6 في المطبوع : يقرب .

الوجه الثالث : أن التأكيد يكون خيرا من التأسيس إذا اقتضاه الحال ، وقصد رفع المجاز وإبطال توهمه ، أو قصد بيان[1] خصوصية الفرد المعطوف والاهتمام به ، كما في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ)(الأعراف :170) .

الوجه الرابع : أن التأسيس لا يجري هنا ولا يصح قصده ؛ لأن شرطه[2].

وأما ما ذكره عن الشيخ ابن تيمية فهذا غير التوسل الشركي ، بل هو سؤال الله وحده ودعاؤه وحده بحق عبده ورسوله ﷺ هذا أحد القولين .

والقول الثاني : طلب دعائه في حال حياته ، والعراقي ملبس مخلط مفسد لأديان المسلمين ، وتوسل عمر بالعباس من هذا القبيل : توسل بدعائه في حال حياته؛ ولذلك قال : " قم يا عباس فادع الله " ، وليس المراد التوسل الشركي كما فهمه العراقي .

وأما رواية ابن بكار، فإن صحت فليس فيها أن التوسل بمجرد الشيبة، بل المراد : أن دعاء من شاب في الإسلام ترجى إجابته .

وقول العراقي : في شيبة العباس وهي جماد-
تضحك منه العواتق[3]
وربات الخدور، فالحمد لله على خذلان هذا الضال ، وكلامه أظهر شيء في الدلاله[4] على بطلان دعواه .

---

[1] في (خ) : بيانه .

[2] بياض في كلا المخطوطتين بقدر خمس كلمات تقريبا .
وقد رجح الألوسي – رحمه الله – في تفسيره (روح المعاني 6/124) أن حمل الكلام هنا على التأكيد أولى من حمله على التأسيس ، حيث قال : " الوسيلة : هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ، ويتقرب إلى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي ، ..والظرف متعلق بها وقدم عليها للاهتمام ، وهي صفة لا مصدر حتى يمتنع تقدم معموله عليه ، وقيل : متعلق بالفعل قبله ، وقيل: بمحذوف وقع حالا منها ، أي : كائنة إليه . ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به كما يشير إليه كلام قتادة ، فإنه ملاك الأمر كله ، ..والجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد " .

[3] ? العاتق : الشابة أول ما تدرك ، وقيل : هي البكر التي لم تبِن من والديها ، ولم تتزوج ، وقد أدركت وشبت ، وتجمع على : العتق ، والعواتق . يقال : عتقت الجارية فهي عاتق ، مثل : حاضت فهي حائض ، وكل شيء بلغ إناه فقد عتق . انظر: النهاية (3/179) ، لسان العرب (5/2798) .

[4] في المطبوع : الدلالات .

وكذلك قوله : وسيأتيك في الأحاديث الصحيحة توسل الصحابة بذوات أشياء جمادات من أسباب النبي ﷺ وأسباب غيره- فهذا التركيب أشبه بكلام البربر والديلم[1]، وأما فساد معناه فسيأتيك الكلام[2] عليه في محله ، والحمد لله على نصره وتأييده للسنة والكتاب ، ولشيخنا محمد بن عبد الوهاب أدخله الله الجنة بغير حساب.

وقد قال شيخ الإسلام لما سئل عن رجلين تناظرا ، فقال أحدهما : لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله تعالى ، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك ، فما معنى الواسطة ؟ وهل التوسط عام في كل شيء يوجده[3] الله تعالى ، أم في ذلك بيان وتفصيل ؟

فأجاب رحمه الله ورضي عنه بقوله : " الحمد لله ، إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغ أمر الله تعالى [وما أمر به[4] : فهذا حق . فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه][5]، وما أمر الله به ونهى عنه ، وما أعد لأوليائه من كرامته ، وما أوعد به أعداءهم[6] من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنى وصفاته العلا[7]، التي تعجز العقول عن الإحاطة بها إلى أمثال ذلك – إلا بالرسل الذين أرسلهم [الله][8] إلى عباده ، والمؤمنون بالرسل المتبعون لهم المهتدون الذين يقربهم[9] لديه[10] زلفى، ويرفع درجاتهم، ويكرمهم في الدنيا والآخرة، وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم ضالون، وعن ربهم محجوبون ، قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ

---

1 البربر: اسم شعب أطلقه قدماء الإغريق على بقية الشعوب من غير الجنس اليوناني ، ثم اقتصر استعماله تاريخيا على قوم نزحوا إلي شمال أفريقيا ، وانتشروا في المغرب ، وجهات من الصحراء الكبرى ، وأطراف من مصر ، وهم جفاة كالأعراب في القسوة والغلظة ، ولهم لغة خاصة بهم . انظر: الأنساب للسمعاني(1/319) ، الموسوعة العربية الميسرة (1/342) ، معجم المصطلحات والألقاب التريخية(72) .

والديلم : جيل سموا بأرضهم ، ويقال لهم الترك . انظر : معجم البلدان (2/544) ، معجم المصطلحات والألقاب التريخية (104) .

وشبه الشيخ كلام العراقي بكلامهم لأنهم عجم .

2 في المطبوع : عليه .

3 في المطبوع : يوجبه .

4 في المطبوع : (ودينه) .

5 ساقط من (خ) .

6 في المطبوع : أعداءه .

7 في المطبوع : العليا .

8 ساقطة من (خ) .

9 في (خ) : كلمة غير واضحة .

10 في (خ) : الله لديه .

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا[1] وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(الأعراف 35-36) ، وذكر الآيات[2] في المعنى – ثم قال رحمه الله[3] :

" وإن أراد[4] بالواسطة : أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم ذلك ويرجونهم فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله –تعالى-[5] به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء و شفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لمن يأذن الله تعالى له فيها ، قال الله[6] تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ)(السجدة: 4) ، وقال تعالى : (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ[7] لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(الأنعام: 51) ، وقال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ[8] وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ)(سبأ : 22-23) ، وساق – الآيات[9] في المعنى – إلى أن قال:

وقال تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا[10] رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(آل عمران :79-80) ، فبين سبحانه وتعالى أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر .

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات ،

---

[1] في (خ) : وقف هنا .
[2] في المطبوع : آيات .
[3] في (خ) : الله تعالى .
[4] في المطبوع : أرادوا .
[5] في المطبوع : لم يثبت (تعالى) .
[6] في المطبوع : لم يثبت (الله) .
[7] في (خ) : وقف هنا .
[8] في (خ) : وقف هنا .
[9] في المطبوع : آيات .
[10] في (خ) : وقف هنا ، وقال إلى قوله (مسلمون) .

فهو كافر بإجماع المسلمين ، وقد قال تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ[1] * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)(الأنبياء: 26-29) ، وقال تعالى: (لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ[2] وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً) (النساء: 172) ، وقال تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً[3] * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً)(مريم: 88-95) ، وقال تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ[4] فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس : 18) ، وقال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً[5] إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (النجم :26) ، وقال تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) (البقرة :255) ، وقال تعالى: (مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا[6] وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)(فاطر:2) ، وقال تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ) (الأنعام :172)، وقال تعالى : (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ[7] هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)(الزمر :38) ، ومثل هذا كثير في القرآن .

---

1 في (خ) : وقف هنا .
2 في (خ) : وقف هنا .
3 في (خ) : وقف هنا ، ثم قال إلى قوله (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) .
4 في (خ) : وقف هنا .
5 في (خ) : وقف هنا .
6 في (خ) : وقف هنا .
7 في (خ) : وقف هنا .

ومن سوى[1] الأنبياء [ومشايخ][2] العلم والدين [وأثبتهم][3] وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم[4] ، ويعلمونهم ، ويؤدبونهم ، ويقتدون بهم ؛ فقد أصاب بذلك[5]، وهؤلاء إذا اجتمعوا فاجتماعهم حجة قاطعة ، لا يجتمعون على ضلالة " – إلى أن قال – : " وإن أثبتهم وسائط بين الله – عز وجل – وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك وبين رعيته[6]، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، وإن الله إنما يهدي عباده وينصرهم ويرزقهم[7] بتوسلهم[8] ، بمعنى أن الخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم ، أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن[9] طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل"[10].

قلت : وهذا عين كلام العراقي ، فإنه زعم أنهم وسائل يعني وسائط ، يناديهم العبد ويسألهم ، والله يفعل لأجلهم ، والشيخ هنا وفي جميع كلامه جزم بأن فاعل ذلك كافر[11] ، يستتاب كما يستتاب المرتد ، فإن تاب وإلا قتل .

وهذا يأتي على ما زعمه العراقي ونسبه إلى الشيخ من أنه يجعل هذا شركا أصغر ، وأنه لا يكفر المجتهد فيه ، ومن كانت له شبهة أو له حسنات ، ونحو ذلك مما تقدم من هذيان العراقي ، فإن كفر فاعل ذلك ومتخذ الوسائط في حاجاته وملماته[12] من ضروريات الدين التي تعلم من الإسلام بالضرورة .

---

[1] في المطبوع : واتخذ وسائط من سوى . وهذا لامعنى له وهو مخالف للمخطوطتين ولأصل الفتاوى .

[2] في المطبوع : ومن مشايخ . وفي الفتاوى : من مشايخ . وهو الأصوب .

[3] في المطبوع ، والفتاوى : فأثبتهم . وهو الأصوب .

[4] في المطبوع : يبلغونهم دينه .

[5] في المطبوع : في ذلك .

[6] في المطبوع : الملوك وبين رعيتهم .

[7] في المطبوع : ويرزقهم وينصرهم .

[8] في المطبوع ، والفتاوى : بتوسطهم .

[9] في المطبوع : أولا لأن .

[10] انظر : مجموع الفتاوى (1/121-137) .

[11] في المطبوع : كافر مشرك .

[12] في المطبوع : وملماته بينه وبين الله .

ثم قال الشيخ : " وهؤلاء المشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق ، وجعلوا له[1] أندادا ، وفي القرآن من الرد عليهم[2] ما لا تتسع له هذه الفتوى ، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة :

- إما لإخبارهم من أحوال الناس ما لا يعرفونه[3]، ومن قال : إن الله لا يعرف[4] أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم ، فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين .

الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعاديهم إلا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أعوان وأنصار لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل ، قال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ[5] وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) (سبأ: 22) ، وقال تعالى : (وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ[6] وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً)(الفرقان : 111) ، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه خالقه وربه ومليكه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم ، وهم في الحقيقة شركاؤهم ، والله سبحانه ليس له شريك في الملك لا إله إلا هو الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ولهذا لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، لا ملك ولا نبي[7] ولا غيرهما ، فإن من يشفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك في حصول المطلوب ؛ لأنه أثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلب منه ، والله سبحانه وتعالى لا شريك له بوجه من الوجوه، وسمي الشفيع شفيعا ؛ لأنه يشفع غيره ، أي : يصير له شفعا ، قال تعالى:(مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ

---

[1] في المطبوع : لله .
[2] في المطبوع : على هؤلاء .
[3] في المطبوع : إما لإخبارهم الله من أحوال الناس بما لا يعلمه.
[4] في المطبوع : لايعلم .
[5] في (خ) : وقف هنا .
[6] في (خ) : وقف هنا .
[7] في المطبوع : ملك مقرب ولا نبي مرسل .

يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)(النساء :85) ، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه والله تعالى لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه.

الوجه الثالث : أن يكون[1] الملك ليس مريدا لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه، أو من يُدْل عليه ، بحيث يكون[2] يرجوه ويخافه ، تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، إما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه .

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعضهم ، فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له ويشفع فيه ، ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي والشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يُكرهه على خلاف مراده ، أو يعلمه ما لم يكن يعلمه ، أو من يرجوه الرب ويخافه ؛ ولهذا قال النبي : " لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له "[3].

والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بإذنه ، قال تعالى : (وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى) (الأنبياء: 28) ، وقال تعالى : (وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)(سبأ :23) بخلاف الملوك ، فإن الشافع عندهم قد يكون له ملكا[4] [وقد يكون] [5] شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا على ملكه[6] ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك ، والملك[7] يقبل شفاعتهم تارة على إنعامهم عليه حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك ، فإنه محتاج[8] إلى الزوجة وإلى الولد

---

1 في المطبوع : أن لا يكون .

2 في المطبوع : إن الملك .

3 رواه البخاري [كتاب الدعوات/ باب : ليعزم المسألة فإنه لامكره له] (5/2334) ، ومسلم [كتاب الذكر والدعاء../ باب : العزم بالدعاء ولايقل إن شئت] (4/2063) .

4 في المطبوع : لم يثبت (له ملكا) .

5 ساقطة من (م) ، والمطبوع .

6 في المطبوع : ملكهم .

7 في (خ) : هم وغيرهم والملك .

8 في المطبوع : يحتاج .

، حتى لو أعرض عن[1] ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه ؛ فإنه إن لم يقبل شفاعته يخاف أنه لا يطيعه ، أو أن يسعى في ضرره .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة ، والله سبحانه[2] تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني[3] ، قال تعالى : (أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ[4] إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) إلى قوله : (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)- الآية(يونس :66-68) ، وقوله : (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ) – استفهام إنكار . أي : ليس متبع الذين يدعون من دون الله شركاء حجة ولا برهانا ، وما يتبعون إلا الظن وما هم[5] إلا يخرصون ، بين تعالى أن من دعا من دون الله شركاء فليس معه علم ، ليس معه إلا الظن والخرص ، والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق ، فإن الخرص هنا معنى[6] الكذب ، كقوله تعالى : (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) (الذاريات :10) ، ومن ظن أن "ما" هنا نافية ، فقد فسر الآية بما هو خطأ ، كما قد بسط في غير هذا الموضع.

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند المخلوق[7]، قال تعالى:(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ[8] وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(يونس:18)،وقال تعالى عن صاحب يس: (وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ[9] لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ* إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ)-الآية(يس 22-25)، وقال تعالى :(فَلَوْلا نَصَرَهُمْ

---

1 في المطبوع : عنه .
2 في المطبوع : لم يثبت (سبحانه) .
3 في المطبوع : الغني الحميد .
4 في (خ) : وقف هنا .
5 في (خ) : وإنهم .
6 في المطبوع : بمعنى .
7 في المطبوع : لم يثبت من قوله : (والمشركون ...إلى قوله : المخلوق).
8 في (خ) : وقف هنا .
9 في (خ) : وقف هنا .

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً[1] بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأحقاف :28) ، وأخبر عن المشركين أنهم[2] قالوا : (مَا نَعْبُدُهُمْ[3] إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر :3) ، وقـال تعـالى : (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ[4] وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[5] (آل عمران :80)، وقال : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ[6] يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)- الآية(الإسراء : 56-57) ، فأخبر أن من يدعى[7] من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويتقربون إليه ، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط[8] الملائكة والأنبياء – إلى أن قال- :

" والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله[9] وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان ، كانوا يقولون : إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائط يتقربون بها إلى الله[10] ، وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالى على النصارى، حيث قال : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ[11] وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة :31) ، وقد قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي[12] فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: 186) ثم ذكر الآيات[13] في المعنى"[14] .

---

[1] في (خ) : وقف هنا .
[2] في خ: (وبين أنهم) .
[3] في (خ) : وقف هنا .
[4] في (خ) : وقف هنا .
[5] هذه الآية ساقطة من المطبوع .
[6] في (خ) : وقف هنا .
[7] في المطبوع : يدعونهم .
[8] في المطبوع : فوسط .
[9] في المطبوع : الله تعالى .
[10] في المطبوع : الله تعالى .
[11] في (خ) : وقف هنا .
[12] في (خ) : وقف هنا .
[13] في المطبوع : آيات .
[14] انظر: مجموع الفتاوى (1/121-173) .

وهذا[1] الذي قاله الشيخ لا خلاف [فيه][2] بين المسلمين . وإنما اشتبه الأمر على هؤلاء الضلال ، لما قدم العهد ونسي العلم ، واعتادوا سؤال غير الله فيما يختص به تعالى ونشأوا على ذلك .

فصـل

قال العراقي : الدليل الثاني

قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ[3] إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)(الإسراء :57) .

---

[1] في (خ) : وهو .
[2] لم تثبت في كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع .
[3] في (خ) : وقف هنا .

قال البغوي[1]: " الذين يدعونهم[2] المشركون آلهة . قال ابن عباس : "هم عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة " . (يبتغون إلى ربهم) أي : يطلبون إلى ربهم الْوَسِيلَةَ به، ويستشفعون به إلى ربهم"[3].

ومعنى الآية : أن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أربابا[4] كما قال تعالى : (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(آل عمران :80) ، فيقول الله تعالى لهم : أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب، يعني فهم محتاجون إلى أحد يشفع لهم [ما يطلبهم][5] منه وابتغائهم ، فكيف تجعلونهم أربابا ، وهم عبيده ، مفتقرون إلى ربهم، ومتوسلون لمن[6] هو أعلى مقاما منهم إليه ؟

والجواب أن يقال :

---

[1] تفسير البغوي (5/100-101) بتصرف.
[2] في المطبوع : يدعوهم .
[3] هكذا في كلا المخطوطتين . وفيه سقط . وفي " صلح الإخوان " و " المطبوع " : " (يبتغون إلى ربهم) أي : يطلبون إلى ربهم . (الْوَسِيلَةَ) : كل ما يتقرب به إلى الله . (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) أي : ينظرون أيهم أقرب إلى الله تعالى وأعلى جاها يتوسلون به ، ويستشفعون به إلى ربهم ".
[4] في المطبوع : أربابهم .
[5] هكذا في (م) . وفي (خ) ، والمطبوع : بطلبهم . وهو الصواب .
[6] في المطبوع : إلى من .

لولا ما يقصده المؤمن من رد هذه الأقوال الضالة الكاذبة التي تتضمن الكذب على الله ، وتحريف كتابه ، وتغيير دينه ، والقول على الله[1] بغير علم ، لما جازت حكاية هذا الإفك ونقله والله سبحانه وتعالى[2] ذكر أقوال أعدائه وأعداء رسله في معرض الرد لها ، وإبطالها ، والتسجيل على ضلالة أهلها.

فأما ما نقله عن البغوي فقد حرفه وكذب فيه ، وهذه عبارة البغوي نسوقها بحروفها ، قال في قول الله[3] تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ[4] إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ) : " يعني الذين يدعونهم المشركون آلهة ويعبدونهم ، قال ابن عباس –رضي الله عنهما - ومجاهد : " هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم . (يبتغون) أي : يطلبون .(إلى ربهم الوسيلة)[أي : القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة العليا ، أي : يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا. وقيل : الوسيلة][5] كل ما يتقرب به إلى الله عز وجل . وقوله : (أيهم أقرب) معناه : ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج[6] : أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله ، ويتقرب إليه بالعمل الصالح " .

هذه[7] عبارة البغوي بحروفها ، وقد تصرف فيها هذا الضال فحذف منها قول ابن عباس : " والشمس والقمر والنجوم " ، وحرف قوله : " (يطلبون إلى ربهم الوسيلة) أي : القربة " ، فقال العراقي : كل ما يتقرب [به][8] إلى الله , وعبارة البغوي : " القربة " ، وحذف قول البغوي : " وقيل : الوسيلة الدرجة العليا، أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا " ، وزاد في قوله : "ينظرون أيهم أقرب إلى الله" ، فقال العراقي : وأعلى جاها . وزاد : ويتشفعون به إلى ربهم- هذا تحريفه لكلام البغوي .

---

1 في المطبوع : عليه .

2 في المطبوع : لم يثبت (وتعالى) .

3 في المطبوع : قوله .

4 في (خ) : وقف هنا .

5 ما بين القوسين ساقط من (خ) .

6 هو : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، كان فاضلا دينا حسن الاعتقاد ، وله مصنفات حسنة ، منها كتاب (معاني القرآن) وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، كان أول أمره يخرط الزجاج فأحب علم النحو فذهب إلى المبرد ، وكان يعطي المبرد كل يوم درهما ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات ، وكانت وفاته (311هـ) في جمادى الآخر . البداية والنهاية (15/7-8) ، طبقات المفسرين (1/9) ، العبر في خبر من غبر(1/461) .

7 في المطبوع : هذه هي .

8 لم تثبت في كلا المخطوطتين .

والرجل يتشهى[1] يأخذ ما يهوى ، ويدع ما هو الأولى والأقوى ، فأول عبارة البغوي ترد قوله : " ينظرون أيهم أقرب[2] فيتوسلون به " ؛ لأن الشمس والقمر والنجوم لا يتأتى منهم ذلك ، والملائكة وعزير وعيسى لم يرد نقل ولا حجة ولا برهان على أن بعضهم يسأل الله ببعض ويتوسل به ويقصده في حاجاته وملماته ، فما قاله البغوي هنا غير مسلم .

وقد تقدم كلام المفسرين ، وأنهم لم يرتضوا هذا ، ولم يقله أحد منهم ، وتقدم قول ابن كثير في تفسير قتادة : " أنه لا خلاف بين المفسرين في ذلك " ، وتقدم قول أبى حفص[3] ، والبيضاوي ، والجلالين – فعدل العراقي عن هذا كله وتمسك بالمتشابه كما قال ابن القيم : " وأعرض النصارى عن الأصول المحكمة وتمسكوا بالمتشابه "[4].

على أن عبارة البغوي ليس فيها شاهد ودليل[5] لعباد القبور ، بل هي تدل على خلافه .

فإن التوسل الذي يشير إليه وينصرف الاسم عليه[6] عند الإطلاق هو التوسل الشرعي ، ومنه دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كالأسباب العادية ، وقد يراد بالتوسل في عرف بعض الناس سؤال الله تعالى بحق أوليائه ، وعلى كل فليس فيه دليل لدعاء الموتى والغائبين كما يفعله عباد القبور من الضالين و[7]المشركين .

ويحتمل أنه أراد بقوله : " أن ينظروا أيهم أقرب فيتوسلون به " ، معنى صحيحا شرعيا ، وهو : الاقتداء بهم ، وسلوك سبيلهم ، واقتفاء آثارهم ، قال تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقتده)(سورة الأنعام:90) ، وقد يتعين هذا الاحتمال لوجوب إحسان الظن بالعلماء .

وقول العراقي : ومعنى الآية أن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أرباب – يريد به : أن المشركين يعتقدون أن آلهتهم تخلق وترزق وتدبر ، وهذا قد رده القرآن وأبطله في غير موضع كما تقدم تقريره ، والعراقي يلجأ

---

[1] في المطبوع : يشتهي أن .
[2] في المطبوع : أقرب إلى الله.
[3] في المطبوع : ابن جرير. وهو تصحيف . ويعني به هنا : العكبري .
[4] هداية الحيارى (159).
[5] في المطبوع : ولا شاهد دليل .
[6] في المطبوع : إليه .
[7] في المطبوع : لم يثبت الواو .

إلى هذا لئلا يدخل ما يفعله[1] عباد القبور فيما نهى عنه القرآن من اتخاذ الآلهة من دون الله ، وعبادتها معه ، وهذا لازم لعباد القبور لا محيص عنه ، والحكم يدور مع علته ، والقرآن كفر[2] المشركين ، وأنكر عليهم بدعاء[3] غير الله، ومحبة سواه[4]، وتعظيم ما يدعى معه[5] بالذبح والنذر وسائر العبادات ، قال تعالى : (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)(سورة البقرة :165) ، وقال : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ[6] فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً) (الإسراء :56) وقال: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ[7] لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) الآية (سورة المؤمنون :117) ، وقال تعالى : (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ[8] وَلا يَضُرُّكَ)(يونس :106) ، [وقال[9]: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (سورة الجن :18) ، والآيات في المعنى كثيرة ، يبين تعالى[10] أنه كفرهم ، وأنكر عليهم][11]، وتوعدهم بالنار على عبادة غيره ودعاء سواه ، والعبادة فعل العبد الذي هو الحب مع الله ، والخضوع ، والتعظيم ، والدعاء رغبا ورهبا ، وإطلاق الأرباب على الآلهة كقوله تعالى : (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ[12] خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (يوسف:39)، وقوله : (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ[13] وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً)(سورة آل عمران:80) ونحو ذلك ، إنما يراد به ما ذكرنا[14]؛ لأن المعبود يسمى ربا[15]، وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين ، بل " السيد " يسمى ربا ، فتنبه لهذا فقد زل بهذه الشبهة كثير من المنتسبين إلى العلم والدين .قال شيخ الإسلام -رحمه الله[16]- : " التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات

---

[1] في المطبوع : فعله .
[2] في المطبوع : قد كفر .
[3] في المطبوع : دعاءهم.
[4] في المطبوع : ومحبته كمحبة الله .
[5] في المطبوع :معه سبحانه .
[6] في (خ) : وقف هنا .
[7] في (خ) وقف هنا.
[8] في (خ) وقف هنا.
[9] ? في المطبوع زيادة: تعالى .
[10] في المطبوع : الله تعالى .
[11] ما بين القوسين ساقط من (خ) .
[12] في (خ) وقف هنا .
[13] في (خ) وقف هنا .
[14] في المطبوع : ذكرناه .
[15] في المطبوع : قد يسمى ربا .
[16] في (خ) ، والمطبوع : زيادة (تعالى) .

الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا إله إلا إياه[1]، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له[2]، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ، قال تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ[3] لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (سورة البقرة:163) ، وقال الله[4]: (لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ[5] إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)(سورة النحل:51)، وقال تعالى : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ[6] بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)(سورة المؤمنون:117) ، وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وقال تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ[7] إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) (سورة الممتحنة : 4) ، وقال عن المشركين : (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ[8] * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (سورة الصافات :35) وهذا في القرآن كثير .

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده خالق العالم ، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد ، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد ، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب من الصفات، ونزهه عن كل ما يتنزه عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له.

والإله : هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة[9] ، ليس هو بمعنى القادر على الخلق ، فإذا فسر المفسر "الإله" بمعنى

---

[1] في (خ) ، والمطبوع : الله .
[2] في المطبوع : هو .
[3] في (خ) وقف هنا .
[4] في المطبوع : تعالى .
[5] في (خ) وقف هنا .
[6] في (خ) وقف هنا.
[7] في (خ) وقف هنا.
[8] في (خ) وقف هنا.
[9] في المطبوع : جميع العبادة .

القادر على الاختراع ، واعتقـد أن هذا أخـص وصف الإلـه ، فجـعل إثبـات هـذا هـو الغـاية فـي التـوحيـد كما يفعل ذلك مـن يفعلـه مـن متكلمـة الصفاتيـة[1]، وهـو الـذي يقولون[2] عن أبي الحسن[3] وأتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسله .

---

[1] متكلمة الصفاتية : مصطلح يطلق على مثبتي بعض الصفات من أهل الكلام ، كالأشاعرة ، والكلابية ، و الماتريدية ، أو على من غلا في الإثبات كالسالمية ، والكرامية . انظر : الملل و النحل (1/79-81) ، العقيدة الأصفهانية لابن تيمية(1/81) ، مجموع الفتاوى(6 /40).

[2] في المطبوع : يقولونه.

[3] هو الأشعري ، وقد تقدم التعريف به .

فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء ، وكانوا مع هذا مشركين ، قال تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (سورة يوسف:106) ، قال طائفة من السلف: تسألهم : من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله . ومع هذا يعبدون غيره. قال تعالى : (قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) إلى قوله (فَأَنَّا تُسْحَرُونَ) (سورة المؤمنون : 84-89) ، فليس كل من أقر بأن الله رب كل شيء وخالقه يكون عبدا له[1] دون ما سواه ، داعيا له دون ما سواه ، راجيا له ، خائفا منه دون ما سواه ، يوالي فيه ويعادي فيه ، ويطيع رسله ، ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه.

وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء ، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به ، وجعلوا[2] له أندادا ، قال تعالى : (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ[3] * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)(سورة الزمر:43) ، وقال : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ[4] وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) إلى قوله : (سبحانه وتعالىعَمَّا يُشْرِكُونَ)(سورة يونس:18) ، [و][5] قال تعالى : (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ[6] وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ)(الأنعام:94) ، وقال: (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)(البقرة:165) ؛ ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ، ويدعوها ويصوم[7] وينسك لها ويتقرب إليها ، ثم يقول : إن هذا ليس بشرك ، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي ، فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا، ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين أن هذا شرك "[8]. انتهى .

فتأمله فإن فيه حكاية قول سلف هذا العراقي ، وفيه : أن ما قاله العراقي شرك يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، والله المستعان .

---

[1] في المطبوع : عابدا لله .
[2] في المطبوع : ويجعلونهم .
[3] في (خ) وقف هنا.
[4] في (خ) وقف هنا.
[5] ساقط من (خ) .
[6] في (خ) وقف هنا.
[7] في المطبوع : سقطت : (ويصوم) .
[8] درء التعارض (1/224-226) .

وأما قول العراقي : فيقول الله تعالى : أولئك الذين تعبدونهم يتوسلون إلي بمن هو أقرب ، يعني فهم محتاجون - فقد كذب على الله ، ما عنى سبحانه[1] وتعالى هذا المعنى ولا أراده ، تبارك وتقدس عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، ما أجرأ هذا المتكلم على الله وعلى كتابه وعلى دينه : (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)(الزخرف:83) ، و[2] تقدم قول المفسرين ، وقول شيخ الإسلام : " إن هؤلاء المدعوين عبيده ، كما أن الداعين عبيده ، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه " .

فنعوذ بالله من اقتحام تلك المهالك ، والتوثب على تلك الدركات التي تهوي بصاحبها إلى أسفل سافلين ، قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ[3] مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)(الأعراف:33) ، وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ[4] اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(فصلت:40) .

---

[1] في المطبوع : الله سبحانه .
[2] في المطبوع : وقد .
[3] في (خ) وقف هنا.
[4] في (خ) وقف هنا.

فصـل

قال العراقي : الدليل الثالث

قوله تعالى في سيدنا عيسى : (وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)(آل عمران:45) أي ذا جاه ، لا يسأل شيئا إلا أعطي .

وكذلك قوله تعالى في سيدنا موسى : (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) (الأحزاب:69) .

والجواب أن يقال :

ما دلت عليه الآيات الكريمات هو الحق الذي لا ريب فيه ، ودعوى العراقي أجنبية عن هذا الدليل ، فإن الدعوى : كون الوجيه من الرسل والملائكة والصالحين يدعى ويسأل على أنه واسطة بين الله – عز وجل -[1] وبين عباده ، ويعظم بالنحر، والنذر له[2]، وهذه دعوى المشركين القائلين : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)(الزمر:3).

فالمقصود : هو الجاه لكل مشرك ، والقرآن رد الدعوى[3] وأبطلها ، وأخبر أن ذا الجاه لا يملك كشف الضر ولا تحويله ، وأن الصالحين من الأنبياء والمقربين يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، وكل ما عظم الجاه اشتد الخوف والخشية .

وليس الأمر كما ظن العراقي من أن أصحاب الجاه يكونون واسطة وشفعاء يقصدهم العباد للمهمات والحاجات ، فإن هذا عين الشرك ، وحجة هؤلاء المشركين هي : كون الأنبياء والصالحين لهم جاه ، والقرآن كله يرد على هؤلاء الضلال ، ويكشف شبهتهم ، ويخبر أنه لا يلزم من وجود الجاه كونهم آلهة يقصدهم العباد ويصرفون لهم شيئا من خالص حقه تبارك وتعالى ، قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ[4]

---

1 في المطبوع : لم يثبت (عز وجل) .
2 في المطبوع : لم يثبت (له) .
3 في المطبوع : هذه الدعوى .
4 في (خ) وقف هنا.

وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(النحل:89) ، وقال تعالى عن صاحب يس : (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ[1] آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ)(يس:22-23) ، وآلهة نكرة[2] في سياق النفي ، فتعم كل من عبده مشرك وصرف له شيئا من حق الله ، فإنه لا يشفع له ولا تغني شفاعته عنه شيئا وإن قل ، كما يفيده التنكير ، فبطل قول العراقي في بعض رسائله : هذه في الأصنام .

---

[1] في (خ) وقف هنا.

[2] في المطبوع : نكة . وهو خطأ طباعي .

فصـل

قال العراقي : الدليل الرابع

قوله تعالى : (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)(الشورى:26) .

قال المفسرون – والعبارة للبغوي– : " أي يجيب الذين آمنوا إذا دعوه ، قال أبو صالح[1] : يشفعهم في إخوانهم . (ويزيدهم من فضله) : يشفعهم في إخوان إخوانهم "[2].

والجواب[3]:

إن قول أبي صالح في الآية لا يدل على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يسألهم الناس ويستغيثون بهم ويطلبون منهم الشفاعة ، وأن الله – عز وجل -[4] يفعل لأجلهم إذا استغاث بهم العباد ودعوهم مع الله ، هذا لا يقوله مسلم .

وتقدم أن هذا هو بعينه ما حكاه تعالى عن المشركين، بقوله : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ[5] وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)(يونس:18) ، وقال تعالى[6]: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ[7] إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)(الزمر:3) ، وقال تعالى : (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا[8] إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ)(الأنعام:51) ، خص هذا الصنف الذين لم يتعلقوا على الشفعاء ، ولم يتخذوهم أولياء من دون الله بالنذارة بالقرآن ؛ لأنهم هم المنتفعون بها ، القابلون لها ، قال تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا

---

[1] لعله باذام - بالذال المعجمة - ويقال : آخره نون : (باذان) ، أبو صالح صاحب التفسير مولى أم هانئ ، ضعيف مدلس ، وقال ابن أبي حاتم : صالح الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به . انظر: تقريب التهذيب (163) ، الكاشف للذهبي (1/96) .

[2] تفسير البغوي (7 /194)

[3] في المطبوع زيادة : أن يقال .

[4] في المطبوع : لم يثبت (عز وجل) .

[5] في (خ) وقف هنا .

[6] في المطبوع : وبقوله .

[7] في (خ) وقف هنا.

[8] في (خ) وقف هنا.

هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً) (الإسراء:82) .

والشفاعة كلها لله ، لا يملكها أحد سواه فلا تطلب إلا منه ، ولا يلزم من إثباتها على الوجه الذي صحت به الأخبار عن رسول الله[1] ﷺ أن تطلب من غير الله ، ويدعى لها[2] سواه ، فإن هذا نفس دعوى المشركين ، والعراقي ظن أن إثبات الشفاعة دليل على طلبها من العباد ، [و][3] على الاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، والنذر لهم ، وهذا مفهوم الجاهلية الأولى .

والشفاعة يوم القيامة يؤذن فيها لمن شاء الله من النبيين، والملائكة، والمؤمنين، وأطفالهم[4] ، وعلى زعم هذا العراقي يستغاث بهم ، ويدعون مع الله في هذه الحياة الدنيا ، وهذا عين مذهب أبي جهل وشيعته الذين قالوا : (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)(ص:5) .

---

1 في المطبوع : الرسول .

2 في المطبوع : بها .

3 ساقطة من (خ) .

4 في المطبوع : لم يثبت (وأطفالهم).

فصـل

قال العراقي : الدليل الخامس

قوله تعالى:(فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)(القصص:15). ووجه الاستدلال : أن الله[1] نسب الاستغاثة إلى غيره ، ولو كان ذلك ممنوعا لما جاءت[2] النسبة ، وأما ما قيل إن هذا حي وله قدرة ، فإن نسبة[3] القدرة إليه استقلالا فهو كفر[4]، وإن كان بقدرة [الله][5] وهو سبب [والوسيلة][6] فلا فرق بين الحي والميت ، فإن الميت له تسبب بدعاء أو [كافرا][7]، وأن الله يقدره ، والجميع راجع إلى قدرة الله ، وإذا لم تنسب الإغاثة إلى الله على الحقيقة ، ولغيره[8] على التسبب والمجاز تكون ممنوعة ؛ ولهذا نفى النبي الاستغاثة عن نفسه لما قال أبو بكر: " قوموا بنا نستغيث برسول الله[9] من هذا المنافق" ، فقال : " إنه

---

[1] في المطبوع زيادة : تعالى .
[2] في المطبوع ، وفي صلح الإخوان : جازت . وهو الأصوب .
[3] في المطبوع : نسب .
[4] في (خ) : كافر .
[5] في (خ) : ساقط لفظ الجلالة .
[6] هكذا في (م) . وفي (خ) : الوسيلة . وفي " صلح الإخوان " و" المطبوع " : ووسيلة . وهو الصواب .
[7] هكذا في كلا المخطوطتين ، والمطبوع . وفي صلح الإخوان : أو كرامة . وهو الصواب .
[8] في(خ) : ولا غيره .
[9] في (خ) زيادة : .

لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله "[1] ، مع أنه حي وله قدرة ، ولكن أراد تعليم أمته أن يعتقدوا أن الاستغاثة على الحقيقة لا تكون إلا لله ، وأما نسبتها للمخلوق مجازا فجائز كما في هذه الآية ، وكما في الحديث الصحيح في دعاء الاستسقاء : " اللهم اسقنا غيثا مغيثا "[2] ، فجعل الغيث هو فاعل الإغاثة مع أنه عرض[3]. وكان من دعائه : " لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث "[4] ، ورحمة الله غيره ، مع أن الله تعالى[5] جعل بعض مخلوقاته رحمة قال : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:107) .

والجواب أن يقال :

---

[1] تقدم تخريجه (ص590) .

[2] رواه ابن خزيمة في صحيحه [كتاب الصلاة/ باب : صفة الدعاء في الاستسقاء](2/335)، والحاكم في المستدرك [كتاب الاستسقاء (1/328)] وصححه ، ووافقه الذهبي .

[3] العرض : من مصطلحات أهل الكلام ، ويقصدون به : الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع ، أي : محل يقوم به ، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به .

وقالوا : العرض ما يعرض في الجوهر ، مثل الألوان ، والطعوم ، والذوق ، واللمس وغيرها مما يستحيل بقاؤه بعد وجوده . وقالوا : العرض معنى زائد على الذات .

قال صاحب الكليات : " العرب يذهبون بالعرض إلى أسماء ، منها : أن يضعوه موضع ماعترض من حيث لم يحتسبه ، وقد يضعونه موضع مالا يثبت ولا يدوم ، وقد يضعونه موضع ما يتصل بغيره ويقوم به ، فكأن المتكلمين استنبطوا العرض من أحد هذه المعاني فوضعوه لما قصدوا له ، وكذلك الجوهر فإن العرب إنما يشيرون به إلى الشيء النفيس الجليل ، فاستعمله المتكلمون فيما خالف الأعراض لأنه أشرف منها " . انظر : التعريفات للجرجاني (153) ، كشاف اصطلاحات الفنون (1/275) ، الكليات لأبي البقاء(624-625) .

[4] الحديث بهذا اللفظ لم أجده ، والثابت (يا حي ، يا قيوم ، برحمتك أستغيث) ، رواه الترمذي [كتاب الدعاء / باب (92)] (5/504) ، والحاكم في المستدرك (1/509) ، والبيهقي في شعب الإيمان (1/476-477) .

[5] في المطبوع : لم يثبت (تعالى) .

وقوف أهل البصائر على هذا الكلام يكفي في رده وإبطاله ، وبيان ما فيه من الجهل الغليظ ، وهذا الصنف من الناس إنما أتوا من بعدهم عما جاءت به الرسل ، وكونهم أجانب عنه ليسوا من أهل الوراثة النبوية ، فهم في ظلمات بعضها فوق بعض .
وهذه الآية الكريمة فيها الخبر عن الإسرائيلي ؛ لأنه استغاث موسى على القبطي[1] الذي من عدوه ، والأفعال العادية القائمة بفاعلها تنسب إليه وتضاف إليه حقيقة من إضافة الفعل إلى فاعله ، فيقال : أكل وشرب، وقام وقعد، وقال وحكى ، ودعا واستغاث ، حقيقة لا مجازا بإجماع العقلاء ، ولم يخالف في إضافة الأفعال إلى فاعلها حقيقة [إلا][2] من هو من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل ، وهذا لم نقل بمنعه حتى يستدل علينا بالنسبة التي في الآية ، مع أن الاستدلال بها يترجم عن جهل المعترض وعدم فهمه عن الله ، وقد نسب الرب تبارك وتعالى إلى أعدائه ما نسبوه إليه من اتخاذ الصاحبة والولد ، وجعل الشركاء معه ، والنسبة لا يستدل بها من يعقل ما يقول ، بل الدليل في حكايته على وجه التقرير وعدم الإنكار ، قال تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ)(البقرة : 116)، وقال تعالى: (وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله)(التوبة: 30) ، وقال[3]: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)(المائدة:17) ، وقال تعالى[4]: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ)(المائدة:73) ، وقال[5]: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ)(يس:74) ، فهذا كله منسوب إلى فاعله حقيقة ، أفيقال بجوازه ، وأنه لو كان ممنوعا لما جازت النسبة ؟ ويقال هذا مجاز يصح نفيه عنهم ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.
والعراقي جاهلي الدين والمذهب واللسان ، بل الجاهلية لا تقول : إن النسبة إلى الفاعل مجاز، ولا تقول : إنها تدل على عدم المنع مما نسب إلى فاعله، والغرض بيان ما في كلام هذا[6]

---

[1] القبط : كلمة يونانية ، وهي بكسر القاف وتسكين الباء معناها : أهل مصر . وبضم القاف من تغيير النسب وهذا في الثياب . أما في العصر الحاضر : فتطلق على النصارى من سكان مصر خاصة . انظر: النهاية (4/6) ، معجم المصطلحات التاريخية (346) .
[2] ساقطة من (خ) .
[3] في المطبوع : زيادة (تعالى).
[4] في المطبوع : لم يثبت (تعالى) .
[5] في المطبوع : زيادة (تعالى).
[6] في المطبوع : هذا البليد .

من الفساد المتناهي، والآية ليست مما نحن فيه ، فإن الإغاثة المثبتة ليس الدليل على إثباتها النسبة ، وإنما هو ما جاءت به الشريعة الكاملة من جواز معاطاة الأسباب العادية ، واستعانة الخلق بعضهم بعضا في الجملة ، والدليل من الآية ترك إنكاره ، وسياقه على وجه التقرير ، ومسألة المخلوق محرمة في الأصل وإنما أبيحت في الأسباب العادية للضرورة والحاجة ، ولهذا بايع النبي بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس[1] ، فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد : ناولنيه[2].

وقول العراقي : وأما ما قيل : إن هذا حي وله قدرة، فإن كان نسبة القدرة إليه استقلالا [فهو كفر][3]. وإن كان بقدرة الله وهو سبب ووسيلة، فلا [فرق] [4] بين الحي والميت.

يقال[5] هذا تخبيط[6] ، فإن المسلمين متفقون على قول : " ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن"[7] ، يؤمنون بقوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)(الصافات:96) ، خلق في الحي اختيارا ومشيئة ، بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف، والميت ليس له قدرة الحي ولا يكلف ، بل ينقطع عمله بموته ، وتطوى صحيفته ، ولا[8] يسأل ، ولا يستفتى ، ولا يرجع إليه في شيء مما للعباد عليه قدرة، وسائر الحيوان يفرقون بين الحي والميت ، والعراقي يقول : لا

---

[1] في المطبوع : زيادة (شيئا) .

[2] يشير إلى الحديث الذي في صحيح مسلم ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : " ألا تبايعون رسول الله؟"، وكنا حديث عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : " ألا تبايعون رسول الله ؟ " ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : " ألا تبايعون رسول الله ؟ " ، قال : فبسطنا أيدينا ، وقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : " على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية ، ولا تسألوا الناس شيئا " ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه . رواه مسلم[كتاب الزكاة / باب : كراهة المسألة للناس](2/721) .

[3] ساقط من (خ) .

[4] ساقط من (خ) .

[5] في المطبوع : فيقال .

[6] في المطبوع : زيادة (وهذيان)

[7] قال حنبل : قال أبو عبدالله : " الاستطاعة لله والقوة ، ما شاء الله كان من ذلك ، وما لم يشأ لم يكن ، ليس كما يقول هؤلاء - يعني المعتزلة - الاستطاعة إليهم " إسناده صحيح . السنة للخلال بتحقيق :عطية الزهراني (3/559) .

[8] في المطبوع : فلا .

فرق بين الحي والميت ، قال تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ[1] إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ)(فاطر:22) .

واستغاثة الميت ليست سببا كاستغاثة المخلوق[2] فيما يقدر عليه ، ولم يجعل هذا سببا إلا عباد الأصنام ، الذين هم أضل خلق الله ، يجعلون الأموات سببا ووسيلة ، والميت ليس في شرع الله[3] ، وما جاءت به رسله أنه[4] يدعو لمن دعاه، والكرامة ليست فعله[5]، بل هي فعل الله ، والمكرم لا يدعى ، ولا يستغاث به ، ولا يرجى لشيء من الشدائد ، بل هذا فعل المشركين كما تقدم ، والقول بأن الله يقدره ظن وخرص لا يرجع إليه في دينه إلا ضال يتمسك بالأوهام الوثنية .

وقوله : والجميع راجع إلى قدرة الله – لا ينقذه من المحذور، فإن المشركين يعترفون بربوبية الله لألهتهم ، ويعلمون أنها لا تستقل بشيء دونه .

ولا تجوز نسبة الإغاثة إلى الموتى والغائبين ولو مجازا ؛ لاختصاصه تعالى بالعلم والقدرة والغوث الباطني ، والنبي نفى الاستغاثة عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه وأدبا مع ربه ، لا لأن الإغاثة لا تنسب إلى [الغيث][6] بالسبب العادي حقيقة ، وأنها تنسب مجازا كما توهمه الغبي[7] الأكبر، ولم يرد تعليم أمته[8] أن الاستغاثة إنما تنسب للمخلوق مجازا ، فإن ما جاء به من الكتاب والسنة [حال][9] على [الإضافة][10] الفعل لمكتسبه ومن قام به ؛ ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ، ولم

---

[1] في (خ) وقف هنا.
[2] في المطبوع : واستغاثة الحي بالميت ليست سببا كاستغاثته بالمخلوق.
[3] في المطبوع : ليس في الفطر والعقول السليمة ولا في شرع الله.
[4] في المطبوع : أن .
[5] في المطبوع : من فعله .
[6] هكذا في (م) . وهو تصحيف . وفي (خ) : كلمة غير واضحة . وفي المطبوع : (المغيث) وهو الأصوب .
[7] في المطبوع : هذا الغبي.
[8] في المطبوع : لم يثبت (أمته) .
[9] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (دال) ولعله الأصوب .
[10] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (إضافة) ولعله الأصوب .

يقل قول العراقي إلا القدرية المجبرة[11]، ومن نحا نحوهم من الجهمية ، ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلا وعقلا.

وقالوا : لو كان مجازا لصح نفي أفعال المكلفين عنهم ، وكانوا بمنزلة الجمادات التي يحركها الغير، ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار، ويكون التعذيب والثواب يرجع إلى مجرد المشيئة والإرادة من غير فعل للعبد يستحق به الثواب والعقاب .

وأما إضافة الإغاثة والإنبات إلى الغيث والربيع كما في الحديث ، وكما في قولهم : أنبت الربيع البقل - فلم يجعل الغيث فاعلا والربيع فاعلا كما زعمه هذا الأعجمي الـذي لا يعقـل شيئا من اللغـة ، غايـة[1] مـا قالوا :إنه

---

[11] تقدم التعريف بهم (ص) .

[1] في (خ) : كلمة غير واضحة.

مجاز عقلي[1]، كما يعلم[2] من رسالة السكاكي[3] ، والإضافة تقع ولو لأدنى ملابسة.

وقول العراقي : فجعل الغيث هو فاعل الإغاثة مع أنه عـرض – هذا مما يـدل علـى أنه لا يفـرق بيـن العرض والجوهر، ومن بلغ جهله إلى هذا الحد سقط الكلام معه[4]، والقصد إعلام الطالب أن أعداء شيخنا – رحمه الله-[5] من أجهل الورى وأضلهم .

وأما قول العراقي : وكان من دعائه : " لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث" ، ورحمة الله غيره ، مع أن الله جعل بعض مخلوقاته رحمة ، إلى آخر ما قال – فهذا القول قول المعطلة غلاة الجهمية ، الذين عطلوا صفات الله، ولم يثبتوا إلا ذاتا [مجرة][6] عن صفات الكمال ، ونعوت

---

[1] المجاز في اللغة : مكان الجواز.

وفي الاصطلاح : اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما مع قرينة صارفة عن قصد المعنى الأصلي . وقيل : اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسدا، من جاز إذا تعدى ، سمي به لأنه متعد من محل الحقيقة إلى محل المجاز .

والمجاز العقلي ، ويسمى مجازا حكميا ، ومجازا في الإثبات ، وإسنادا مجازيا : وهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له ، أي : غير الملابس الذي ذلك الفعل أو معناه له ، يعني غير الفاعل فيما بني للفاعل وغير المفعول به فيما بني للمفعول .

وقيل : كل نسبة وضعت في غير موضعها بعلاقة فهي مجاز عقلي ، سمي به لتجاوزه عن مكانه الأصلي بحكم العقل ، ويسمى عقليا لا لغويا لعدم رجوعه إلى الوضع .

يقول السكاكي في " مفتاح العلوم " : فالحكم في أنبت الربيع البقل ، يكون الإنبات فعلا للربيع مكانه الأصلي عند العقل كونه فعلا لله – عز وجل- .

انظر: التعريفات للجرجاني (315) ، الكليات لأبي البقاء (804-805) ، مفتاح العلوم للسكاكي (393).

[2] مكررة في كلا المخطوطتين .

[3] هو : يوسف بن أبي بكر محمد بن علي سراج الدين ، أبو يعقوب السكاكي ، ينسب إلى سكاكة قرية بنيسابور ، كان علامة بارعا في علوم شتى خصوصا المعاني والبيان ، وله كتاب " مفتاح العلوم " اشتمل على اثني عشر علما من العلوم العربية ، ونقل عنه أبو حيان في "الارتشاف " في مواضع ، وقال فيه إن السكاكي من خوارزم ، وذكره البلقيني ، فقال : هو الخوارزمي إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر ، وله النصيب الوافر من علم الكلام وسائر العلوم من رأى مصنفه علم تبحره وفضله ، توفي سنة 626 هـ. انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (1/231) ، شذرات الذهب (5/122) ، الأعلام (8/222) .

[4] في المطبوع : لم يثبت (معه) .

[5] في المطبوع : لم يثبت (رحمه الله) .

[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (مجردة) وهو الصواب .

الجلال ، وتأولوا ما ورد من الصفات في الكتاب والسنة على مفعولا ته ومخلوقاته ، وهذا الصنف من أكفر خلق الله وأجهلهم ، وأعظمهم شركا ، والشرك والتعطيل قرينان ، وكلام العلماء الأئمة[1] في تكفير هذا الصنف كثير ، لا نطيل[2] بذكره ، يعرفه صغار الطلبة .

إذا عرفت هذا وعرفت قول العراقي : مع أن الله جعل بعض مخلوقاته رحمة - فهذا صريح في أنه يرى ويعتقد أن الرسول استغاث بمخلوق ؛ لأنه يذهب إلى أن رحمة الله غيره[3]،

---

1 في المطبوع : علماء الأمة.

2 في (خ) : لا نطيل . مكررة .

3 لفظ الغير يطلق و يراد به معنيان :

أحدهما : المغاير لتلك الذات المسماة بالله ، وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلا مخلوقا .

الثاني : يراد به مغايرة الصفة للذات إذا جردت عنها.

فإذا قيل : علم الله وكلام الله غيره ، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام ، كان المعنى صحيحا ، ولكن الإطلاق باطل ، فإذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلا لفظا ومعنى ، وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن .

قالوا : كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه ، فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال ، ومن تلك الصفات صفة الكلام ، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير = =مخلوقة ، وإذا كان القرآن كلامه وهو صفة من صفاته ، فهو متضمن لأسمائه الحسنى ، فإذا كان القرآن غير مخلوق ، ولا يقال أنه غير الله ، فكيف يقال إن بعض ما تضمنه وهو أسماؤه مخلوقة ، وهي غيره ؟ فقد حصحص الحق بحمد الله ، وانحسم الإشكال ، وإن أسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه وكلامه غير مخلوق ، ولا يقال هو غيره ولا هو هو.

وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماؤه غيره وهي مخلوقة ، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره ، وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (5/17) : " ولكن يجب الفرق بين أن يقال إن الصفات غير الذات ، وبين أن يقال إنها غير الله ، فإن اسم (الله) متناول لذاته المتصفة بصفاته ، فإذا قال القائل : دعوت الله ، وعبدت الله ، فلم يدع ذاتا مجردة ، ولا صفات مجردة ، بل دعا الذات المتصفة بصفاتها ، فاسمه تعالى يتناول ذلك ، فليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ، ولا زائدة على ذلك . وإن قيل إنها زائدة على الذات المجردة . ومن ظن أنها زائدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تدخل صفاتها في مسماها ، فقد غلط . ولكن في الأذهان والألسنة زلق في هذا الموضع كثيرا .

فإذا قيل الصفات مغايرة للذات ، لم يكن في هذا من المحذور ما في قولنا : إن صفات الله غير الله ، فإن اسم الله يتناول صفاته .

فإذا قيل إنها غيره ، فهم من ذلك أنها مباينة له ، وهذا باطل .

ولهذا كان النفاة إذا ناظروا أئمة المسلمين كما ناظروا الإمام حمد بن حنبل في محنته المشهورة ، فقالوا له : ما تقول في القرآن ، وكلام الله ، أهو الله أم غير الله ؟

وما أظن أمة من الأمم تنسب نبيها ورسولها إلى أنه يستغيث بغير الله في شدائده ومهماته ، وهذا التخليط وهذا الكفر الشنيع ما سمعته قط قبل الوقوف على كلام العراقي .

فسحقا له سحقا وبعدا له بعدا ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . لقد جاءت رسلنا ربنا بالحق .

عارضهم بالعلم ، وقال لهم : ما تقولون في علم الله ، أهو الله أم غير الله ؟

وأجاب بأن الرسل لم تنطق بواحد من الأمرين فلا حجة لهم في كلام الله ورسوله ، فإن الله لم يقل لكلامه هو أنا ، ولا قال : إنه غيري ، حتى يقول القائل إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه فقد أخبر أنه خالق لكل ما سواه ، فإن كان الاحتجاج بالسمع فلا حجة فيه ، وإن كان الاحتجاج بالعقل فالمرجع في ذلك إلى المعاني لا إلى العبارات ، فإن أراد المريد بقوله هل كلامه وعلمه غيره، أنه مباين له ، فليس هو غيرا له بهذا الاعتبار، وإن أراد بذلك أن نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم ، فهو غير له بهذا الاعتبار ، وإذا كان اللفظ مجملا لم يجز إطلاقه على الوجه الذي يفهم المعنى الفاسد " .
انظر : مجموع الفتاوى (6 /185- 212) ، بدائع الفوائد (1/17- 18) ، شرح الطحاوية (1/102) ، شرح نونية ابن القيم لابن عيسى (1/68-90) .

فصـل

قال العراقي : الدليل السادس

قوله تعالى: (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ) (سبأ:22) .

قال البغوي : وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد ، حتى أكلوا الجيف ، واستغاثوا[1] بالنبي ﷺ ، وكشف الله عنهم ببركته ، ودعوته[2]، ولو كانت الاستغاثة بالأنبياء وغيرهم من المسلمين دعاء أوشركا ، لم يقل لهم : (قل ادعوا الذين زعمتم) ؛ لأن استغاثتهم كانت بالنبي ﷺ ، وهو غير الله ، فكيف لا يعيرهم[3] لما دعوا النبي ﷺ واستغاثوا به ، وهم قد دعوا غير الله على قول هؤلاء المانعين ؟

---

[1] في المطبوع : فاستغاثوا .

[2] روى البخاري في صحيحه ، عن مسروق قال : كنا عند عبد الله ، فقال : إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدبارا ، قال : " اللهم سبع كسبع يوسف " . فأخذتهم سنة حصت كل شيء ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع . فأتاه أبو سفيان فقال : يا محمد ، إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم ، قال الله تعالى : " فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - إلى قوله – عائدون . يوم نبطش البطشة الكبرى " . فالبطشة يوم بدر، وقد مضت الدخان ، والبطشة واللزام وآية الروم . [كتاب الاستسقاء/ باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف] (1/341) .

[3] في (خ) : بغيرهم .

وظاهر تفسير الآية يدل[1] على أن الله رضي لهم استغاثتهم بالنبي ، وتهددهم على دعاء غيره من الأصنام .

ولا يقال : إنهم استغاثوا به في حياته وله قدرة ، لأنا نقول : لا قدرة لمخلوق إلا بالله ، في الحياة والممات ، فهو بعد وفاته ثبت أنه يدعو، فما جاز طلبه في حياته لا مانع من طلبه بعده[2]، مع أنه قد ورد عن الصحابة الطلب منه بعد وفاته ، كما في حديث الرمادة[3] وغيره، ولم يرد نهي.

والجواب أن يقال :

في الكلام[4] من الجهل والظلم ما لا يحيط به إلا الله تعالى ، فأول ذلك كذبه على البغوي - رحمه الله - ، فإنه ذكر ذلك عند الكلام على سورة[5] الإسراء لا على آية سبأ .

---

1 في (خ) : ويدل .

2 في المطبوع : بعد موته.

3 في المطبوع : عام الرمادة . وسمي بذلك لأن الأرض اسودت من قلة المطر ، حتى عاد لونها شبيها بالرماد . وقيل : لأنها كانت تسفي الريح ترابا كالرماد ، وكان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثماني عشرة للهجرة ، حيث أصاب أهل المدينة وما حولها جوع ، فهلك كثير من الناس ، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس ، وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار ، وكتب إلى أمراء الأمصار أن أعينوا أهل المدينة ومن حولها ، فانه قد بلغ جهدهم ، وأخرج الناس إلى الاستسقاء، فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشيا ، فخطب وأوجز ، وصلى ، ثم جثى لركبتيه وقال : " اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا ثم انصرف فما بلغو المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران " ، وفي رواية : أن عمر خرج يستسقي، وخرج بالعباس معه يستسقي يقول : " اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا " . قال : فيسقون .انظر: البداية والنهاية (10/68-75) .

4 في المطبوع : هذا الكلام .

5 في المطبوع : آية سورة .

ومن ذلك قوله : فلو كانت الاستغاثة بالأنبياء وغيرهم من المسلمين دعاء وشركا[1] لم يقل لهم: (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ من دونه) ؛ لأن استغاثتهم كانت بالنبي ﷺ وهو غير الله - فهذا الكلام جهل متناه وضلال بعيد[2]، فإنهم سألوا النبي ﷺ أن يدعو الله لهم كما كان أصحابه يأتونه ليستغفر لهم ، قال تعالى: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)(التوبة:103) ، وذم من أعرض عن المجيء إلى رسول الله ﷺ [3] ليستغفر [لكم] [4] ، وقال[5] : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ[6] وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (المنافقون:5) ، وقال[7]:(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ[8] جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)(النساء:64) ، وهذا لا ينكره مسلم، وليس مما نحن فيه ، ولا يرد على الآية الكريمة .

والممنوع : ما هو من جنس دعاء المشركين لآلهتهم ، وأما دعاء الحي الحاضر لأخيه المسلم فهذا من المستحبات لا من الشركيات ، وهذا الجنس لا يسمى استغاثة ، والمسلمون يتوسلون بدعاء الشيوخ وأهل الصلاح في الاستسقاء ، ولا يقول مسلم : إنهم هم الذين أغاثوا العباد والبلاد ، كما يزعمه هذا الضال ، والنبي ﷺ قال لعمر: " لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك "[9] ، ولا يقول مسلم : إن الرسول ﷺ استغاث بعمر. والمغيث هو فاعل الإغاثة[10].

---

[1] في المطبوع : وشركاء .
[2] في المطبوع زيادة : وأوضح دليل على انطماس بصيرته .
[3] في المطبوع : رسوله .
[4] في المطبوع : لهم . وهو الصواب .
[5] في المطبوع : زيادة (تعالى) .
[6] في (خ) : وقف هنا .
[7] في المطبوع : زيادة (تعالى) .
[8] في (خ) وقف هنا.
[9] رواه أبو داود [كتاب الوتر/(4/365)] ، الترمذي [كتاب الدعوات/باب 110(5/523)] ، وابن ماجة [كتاب المناسك(2/966)] ، وأحمد (1/29،2/59) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع(6/78).
[10] في المطبوع : زيادة (لا طالب الإغاثة ، والرسول ﷺ طالب من ربه سائل ، لا فاعل للإغاثة)

وقد مر كلام شيخ الإسلام في أن المغيث هو الفاعل للإغاثة ، ومن زعم غير ذلك فقد أخطأ فيما نسبه إلى لغة العرب أو[1] غيرها من الأمم .

إذا تبين ، هذا فهم[2] لم يفعلوا مع رسول الله ما يفعلونه عند آلهتهم من الدعاء والخضوع ، ونحو ذلك من أنواع العبادات حتى يقال : لم ينكره تعالى عليهم ، ولم يعيرهم به ، بل أجازه ورضيه.

ومقتضى تقرير العراقي أن الاستغاثة التي تقع عند الأصنام تجوز بالأنبياء والصالحين ، ولم يفرق بين ذلك ، وبين الطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الدعاء ونحوه ، فجعل المسألتين مسألة واحدة ، والباب بابا واحدا ، وفساد هذا يعلم بالعقل والفطر قبل البحث عن الدليل السمعي والنظري ، فإن الله جبل الخلق على التمييز والفرق بين السبب العادي وما يستطيعه الحي الحاضر، وبين غيره من الأمور الكلية الباطنة ، التي ليست من جنس الأسباب العادية ، والعراقي وأمثاله اجتالتهم الشياطين عن فطرهم[3] التي فطر الله[4] عليها سائر الحيوانات فضلا عن الآدميين والمكلفين ، والآية الكريمة فيها رد هذا[5] القول من وجوه :

الأول : أن سياق الآية للرد على من استغاث بغير الله ودعاهم بما لا يقدر عليه إلا الله ، ككشف[6] الضر، بإظهار عجز آلهتهم وأندادهم التي يدعونها مع الله ، وإذا ظهر عجزهم وعدم ملكهم بطل دعاؤهم وعبادتهم ، ومنهم من كان يعبد الملائكة والصالحين ، ومن ادعى أن شركهم جنس آخر غير[7] هذا كذبه القرآن ورد عليه ، فكيف ينكره على المشركين الذين عبدوا الملائكة والصالحين ، ويقره ويرضاه إذا فعل مع عبده ورسوله ؟ قال تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَـهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ[8] وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ) (آل عمران:79) الآية . وقـال تعـالى : (وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ

---

[1] في المطبوع : و .
[2] في المطبوع : عرفت أنهم .
[3] في المطبوع : فطرة الله .
[4] في المطبوع : لم يثبت (الله).
[5] في المطبوع : على هذا .
[6] في المطبوع : لكشف .
[7] في المطبوع : لم يثبت (غير هذا) .
[8] في (خ) وقف هنا.

بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(آل عمران :80).

الوجه الثاني : أن البغوي ذكر هذا في تفسير آية الإسراء ، وهي قوله[1]: (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ[2] فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً)(الإسراء:56) ، ولم يذكر هذا في الكلام على[3] آية سبأ، والعراقي حرف ولم يميز. وقد تقدم قول المفسرين في آية الإسراء أن سبب نزولها : " أن ناسا[4] من الإنس كانوا يدعون رجالا من الجن ،[فأسلم الجن وبقيت الإنس على شركهم، فأنزل الله هذه الآية، ردا عليهم ، وخبرا عن الجن][5] الذين أسلموا ". وهذا ثابت عن ابن مسعود من رواية الثقات، وعنه في[6] رواية: " أنهم كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن ". وعن ابن عباس: " هم عيسى وأمه وعزير والشمس والقمر" ، وعن مجاهد: والملائكة . [وقال شيخ الإسلام: " إن الآية تعم من ذكر ممن عبده المشركون من الأنبياء والملائكة][7] والصالحين "[8].

وفي[9] هذا أن سبب النزول إسلام من أسلم من الجن الذين كانوا يعبدون[10]. والمفسرون على هذا ، فلا يعدل عنه إلى

---

1 في المطبوع : زيادة (تعالى).

2 في (خ) وقف هنا.

3 في المطبوع :هذا الكلام في .

4 في المطبوع : أناسا .

5 ? ما بين القوسين ساقط من كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع ، وهو الصواب كما تقدم في المواضع السابقة .

6 في المطبوع : لم يثبت (في) .

7 ما بين القوسين ساقط من (خ) .

8 قال شيخ الإسلام رحمه الله في الكلام على قوله تعالى : (قل إدعوا الذين زعمتم من دونه) الآيتين، لما ذكر أن من السلف من ذكر أنهم من الملائكة ، ومنهم من ذكر أنهم من الإنس ، ومنهم من ذكر أنهم من الجن ، قال : " لفظ السلف يذكرون جنس المراد من الآية على التمثيل ، كما يقول الترجمان لمن سأله عن الخبز فيريه رغيفا ، والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى

=من دون الله ، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين ، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها ، فقد تناولته هذه الآية ، كما تتناول من دعا الملائكة والجن ، ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم ، ومع هذا فقد نهى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله ، لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع ، أو من حال إلى حال ، كتغيير صفته أو قدره ، ولهذا قال : ولا تحويلا ، فذكر نكرة تعم أنواع التحويل " . مجموع الفتاوى (15/226) .

9 في المطبوع : ففي.

10 في المطبوع : يعبدهم الإنس.

قول البغوي ، لا سيما والبغوي لم يعز هذا القول إلى من يحتج[11] به .

الوجه الثالث : [أنه لو سلم][1] أن المشركين استغاثوا برسول الله[2] ﷺ فلا يسلم أن [دعاءهم][3] يسمى إغاثة ، وقد تقدم هذا .

الوجه الرابع : أنه لو سلم أن دعاء العبادة[4] يسمى استغاثة ، لكان داخلا فيما ورد من النهي عن الاستغاثة بغير الله ، والمسلمون متفقون على استحباب طلب دعائه ﷺ في حال حياته ، والتبرك بدعواته الشريفة ، فظهر[5] أن الدعاء والطلب لا يدخل في مسمى الإغاثة ، وإلا وقع التعارض بين الأدلة ، والنهي عن الاستغاثة به ﷺ [6] ثابت كما اعترف به هذا العراقي .

الوجه الخامس : أن الموصول وصلته يصدق على كل مدعو ممن جعله المشركون ندا وإلها مع الله ، وفي الموصول إبهام تكشفه الصلة. ولا شك أن منهم من عبد الملائكة والصالحين واللات – قبر رجل كان يلت السويق[7] للحاج[8]-، فدخل كل من ذكر في الموصول وصلته ، فدلت الآية الكريمة[9] على إبطال دعاء الأنبياء والملائكة والصالحين والأصنام بدلالة الصلة . يقال[10]: إن الله رضي استغاثتهم بغيره ؟

---

[11] في المطبوع : احتج .

[1] ما بين القوسين ساقط من (خ) .

[2] في المطبوع : بالرسول .

[3] في المطبوع : دعاءه لهم . وهو الصواب .

[4] في المطبوع : العباد . وهو الأصوب.

[5] في المطبوع : فظن .

[6] في المطبوع : زيادة (بعد موته) .

[7] السويق : طعام يتخذ من الحنطة والشعير بعد قليه بالسمن . انظر: لسان العرب (4/2156).

واللات : صخرة كان عندها رجل يلت السويق للحاج ، فلما مات اتخذتها ثقيف طاغوتا ، وبنت لها بيتا وجعلت لها سدنة ، وعظمته وطافت به ، وكانوا يحرمون واديه ، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة فهدماه .

انظر : النهاية (4/230) ، معجم البلدان(4/5) ، لسان العرب (7/3993) .

[8] في المطبوع : للحجاج .

[9] في المطبوع : لم يثبت (الكريمة) .

[10] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (كيف يقال ؟) وهو الصواب .

والقصة إنما تفيد أنهم طلبوا الدعاء منه والمغيث هو الله ، وقد تقدم أن الإغاثة لا تنسب إلا إلى الفاعل ، لا إلى الداعي والطالب .

وأما قوله : وهو بعد وفاته ثبت أنه يدعو – فيقال : الثابت يقتصر عليه ، ولا يتعدى[1] إلى غير ما ورد ، ولم يرد أنه يدعو لمن سأله وطلب منه عند قبره ، ومع بعده ، ولم يرد أنه يدعو لكل أحد ، وحال الوفاة ليست كحال [الممات][2] يجري فيها القياس ، ويعرف المناط والعلة[3].

وقد ثبت في الحديث أنه تبلغه الملائكة صلاة أمته عليه [4]، ولا يعلم ذلك إلا بمبلغ ، وأين الدليل أنه[5] يبلغ طلب الطالبين ، وسؤال السائلين ، واستغاثة المستغيثين ؟ فهذه الدعوى تفتقر إلى دليل يجب المصير إليه ، والتسليم له ، ودون ذلك خرط القتاد[6] .

---

[1] في المطبوع : يتعدى عنه .

[2] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (الحياة) وهو الصواب .

[3] العلة لغة : عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل ، ومنه يسمى المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف .

والعلة في اصطلاح الأصوليين : المعرف للحكم ، وقيل المؤثر بذاته بإذن الله ، وقيل الباعث عليه . و العلة الغائية : ما يوجد الشيء لأجله . و العلة الفاعلية : ما يوجد الشيء لسببه.

=المناط : من ناط ، ينوط ، نيطا ، أي علق . ومنه قولهم : نيط به الحكم : أي علق به ، وهو العلة التي رتب عليها الحكم في الأصل .

انظر : التعريفات (159-160) ، لسان العرب (8/4577) ، شرح الروضة لعلي النملة(7/40).

[4] عن أوس بن أوس رفعه في فضل يوم الجمعة : " فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي" ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ قال : " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " . رواه أبو داود [كتاب الصلاة / باب : تفريع أبواب الجمعة] (1/275) ، والإمام أحمد في المسند (4/8) ، وابن خزيمة [كتاب الجمعة/ باب : فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة](3/118) ، وصححه ، وابن حبان [كتاب الرقاق / باب الأدعية] (3/191) . ورجاله رجال الصحيح .

وأخرج أبو داود من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه : " ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام " ، [كتاب المناسك / باب زيارة القبور] قال ابن حجر في " فتح الباري " : ورواته ثقات . ورواه الإمام أحمد في المسند (2/527) . وكيفية رد الروح من أمور الآخرة ، ولا تدرك بالعقل ، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة ، والله أعلم . انظر: فتح الباري (6/488) .

[5] في المطبوع : على أنه .

[6] القتاد : شجر له شوك أمثال الإبر، وله وريقة غبراء ، وثمرة تنبت معها غبراء كأنها عجمة النوى. انظر: لسان العرب (6/3525) .

وكذلك حال القريب من قبره ﷺ لا يمكن القول بأنه يدعو لهم إلا بدليل، كيف وقد أرشدهم ﷺ إلى الرغبة إلى الله وسؤاله وحده ، كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما[1] أنه ﷺ قال له : " يا غليم[2]، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله – الحديث "[3] ، وأما حديث عرض أعمال أمته[4] فلا يفيد العموم ، وقد ثبت أنه ﷺ قال : " يؤخذ بأناس من أصحابي ذات الشمال ، ويذادون عن الحوض ، فأقول : أصحابي ، أصحابي، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول ما قال العبد الصالح : (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً[5] مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(المائدة : 117) "[6].

ثم لو فرض العموم فهو لا يتناول المشرك الذي يدعو غير الله في مهماته وملماته ؛ لأن لفظ الأمة قد يخص .

وقول العراقي: فما جاز طلبه في حياته لا مانع من طلبه بعده[7] – غير مسلم ، بل هو مردود من وجوه لا تخفى على آحاد المسلمين ، فإنه ﷺ يطلب منه في حياته إبلاغ أمته[8]، والحكم بينهم ، وإفتاؤهم ، وتعليمهم ، وأن لا يدعهم إلى الجهال[9]
واليونان[10] يتلاعبون بدينه وشرعه ، ويطلب منه من حقوق الأهل، والعيال، والأقارب، والوفود، ونصرة المظلوم، وكف يد

---

[1] في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنهما).

[2] في (خ) : يا غلام .

[3] رواه الترمذي [كتاب صفة القيامة والرقاق والورع / باب (59)] (4/667) ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو يعلى (14/430) حديث رقم (2556) ، والإمام أحمد في المسند (1/293،303،307) ، وابن أبي عاصم في السنة (1/137) ، وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث السنة .

[4] يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حياتي خير لكم تحدثون وتحدث لكم ، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم " رواه البزار (5/308) ، والديلمي في الفردوس (2/138) ، وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد 9/24) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (2/406).

[5] في (خ) وقف هنا.

[6] رواه البخاري في عدة مواضع ، منها [كتاب الرقاق / باب : كيف الحشر](4/1691) ، ومسلم في عدة مواضع ، منها [كتاب الطهارة / حديث (36،37)] (1/217) .

[7] في المطبوع : بعدها .

[8] في المطبوع : رسالته إلى أمته .

[9] في المطبوع : للجهال .

الظالم، والجهاد في سبيله، والاستغفار لأصحابه، وكل ذلك لا يقول عاقل إنه يطلب منه بعد وفاته ، ومن جاء إلى القبر يستفتي ويتحاكم ويستنصر، فهو من أضل الخلق ، وأجهلهم بالفطر، والعقل ، والسمع.

وقد ذكر شيخ الإسلام في رده على ابن الأخنائي المالكي[1]: " أن المنع من دعائه وطلب استغفاره مسألة إجماعية وفاقية المنع " .

وقوله : مع أنه قد ورد عن الصحابة الطلب منه بعد وفاته ، كما في[2] حديث الرمادة وغيره: جوابه أن هذه الدعوى كاذبة ، مفتراة على أصحاب رسول الله[3] ، ورضي[4] عن صحابته ، لم يعرف عن أحد منهم أنه أتى إلى القبر الشريف داعيا، أو مستغيثا، أو شاكيا، أو مستنصرا، [أو مستغيثا][5]، وما أشار إليه العراقي عام الرمادة : الفاعل[6] رجل مبهم ، لم يقل أحد إنه صحابي ، فنسبة ذلك إلى الصحابة كذب عليهم ، وفي الحديث المذكور: أنه أمرهم أن يذهبوا إلى عمر فيستسقى لهم ، فأرشدهم يقظة ومناما إلى سؤال الله والرغبة

---

[10] اليونان : أمة من الأمم لهم مملكة وملوك ، وعلماؤهم فلاسفتهم ، وهم على شركهم من عبادة الأصنام ، وهو دينهم الظاهر ودين آبائهم . إغاثة اللهفان (2/263) .

[1] هو : محمد بن أبي بكر بن عيسى ، أبو عبد الله ، المعروف بابن الأخنائي المالكي ، تقي الدين ، ولد سنة 660 هـ تقريبا ، اشتغل بالفقه على مذهب مالك وغيره ، ولي قضاء الديار المصرية للمالكية ، وكان الناصر يحبه ويرجع إليه في أشياء ، ومات في الطاعون العام في أول سنة 750هـ . انظر : الديباج المذهب لابن فرحون (2/321) ، الدرر الكامنة (5/145) .

[2] حرف الجر (في) مكرر في (م) .

[3] في المطبوع : الرسول .

[4] في المطبوع : رضي الله .

[5] ساقط من (خ) . وفي المطبوع : (مستفتيا) وهو الصواب لأن (مستغيثا) مكررة .

[6] في المطبوع : المنقول عنه ذلك .

إليه ، والاستغاثة به وحده[7]، وكفى بهذا دليلا على إبطال هذه الدعوى الضالة .

وأما قوله : ولم يرد نهي – فتقدم أن القرآن كله ينهى عن هذا ، ويأمر بالرغبة إلى الله[1]، وإسلام الوجه له ، والعراقي أجنبي عما جاءت به الرسل ، فلا جرم أنه لا يعرف شيئا من ذلك ، ولا يدري ما جاء به القرآن من العلم والهدى. والله المستعان.

فصــل

قال العراقي: الدليل السابع

قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال:33) .

---

[7] يشير إلى ما ذكره ابن كثير في " البداية والنهاية " ، وغيره ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل، عن جبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب : أن رجلا من مزينة عام الرمادة = سأله أهله أن يذبح لهم شاة ، فقال ليس فيهن شيء ، فألحوا عليه ، فذبح شاة ، فإذا عظامها حمر ، فقال : يا محمداه ، فلما أمسى أري في المنام أن رسول الله يقول له : " أبشر بالحياة ، إيت عمر، فأقرئه مني السلام ، وقل له : إن عهدي بك وفي العهد ، شديد العقد ، فالكيس الكيس يا عمر" . فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه : استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتى عمر فاخبره ، ففزع ، ثم صعد عمر المنبر ، فقال للناس : أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئا تكرهونه ؟ فقالوا : اللهم لا ، وعم ذلك ؟ فأخبروهم بقول المزني – وهو بلال بن الحارث – ففطنوا ولم يفطن . فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء ، فاستسق بنا . فنادى في الناس ، فخطب فأوجز ، ثم صلى ركعتين فأوجز، ثم قال : " اللهم عجزت عنا أنصارنا ، وعجز عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عن أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحي العباد والبلاد .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر ، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن مالك ، قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب ، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : " إيت عمر فاقرئه مني السلام ، وأخبرهم أنهم مسقون ، وقل له : عليك بالكيس الكيس" فأتى الرجل فاخبر عمر. فقال : يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه " . انظر : البداية والنهاية (10/72-74) ، دلائل النبوة للبيهقي (7/47) ، تاريخ الطبري (4/99) ، سير أعلام النبلاء (17/429) .

[1] في المطبوع : الله وحده.

ذكر المفسرون : " ما كان الله ليعذبهم وفي أصلابهم من يستغفر" .

فإذا كانت النطف المؤمنة يدفع الله - عز وجل-[1] بها العذاب عن الكفار ، فكيف بالذوات الفاضلة ؟

والجواب أن يقال :

من له[2] أدنى ممارسة لكلام المفسرين وأهل العلم يعلم أن جمهور المفسرين وساداتهم على خلاف هذا .

قال ابن كثير: " وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ، قال ابن أبي حاتم[3] – وساق سنده إلى ابن عباس قال : " كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك " فيقول النبي : " قد ، قد " ، ويقولون : " لا شريك لك[4] إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك "[5] ، ويقولون : "غفرانك ، غفرانك "[6] ، فأنزل الله تعالى[7]: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ، قال ابن عباس : " كان فيهم أمانان : النبي ،والاستغفار ، فذهب النبي ، وبقى الاستغفار" [8].

---

[1] في المطبوع : لم يثبت (عز وجل).

[2] في المطبوع : كان له .

[3] هو : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر ، أبو محمد التميمي الحنظلي ، الإمام ابن الإمام ، حافظ الري وابن حافظها ، سمع من أبيه ، وأبي زرعة ، قال الخليلي : أخذ علم أبيه وأبي زرعة . وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال ، صنف في الفقه ، واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار ، وكان عابدا زاهدا ، ومن تصانيفه : (التفسير المسند) ، (الجرح والتعديل) ، و(الرد على الجهمية) ، و (الزهد) ، و (الكنى) ، وغير ذلك ، توفي في شهر المحرم سنة (327هـ) . انظر: طبقات المفسرين(1/285-287) ، ميزان الاعتدال (4/315) .

[4] في المطبوع : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا .

[5] تقدم (ص188،443) .

[6] تفسير الطبري (13/511) رقم (16000) .

[7] في المطبوع : لم يثبت (تعالى) .

[8] تفسير ابن أبي حاتم (5/1691) .

ثم قال[1]: [و][2] قال ابن جرير – وساق بسنده عن يزيد بن رومان[3] ، ومحمد بن قيس[4]، قالا : قالت قريش [بعضها] [5] لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا؟ (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) – الآية . فلما [آمنوا][6] ندموا على ما قالوا ، فقالوا: غفرانك اللهم ، فأنزل الله عز وجل : (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) - إلى[7] (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) .

وقال علي بن أبي طلحة[8] عن ابن عباس- رضي الله عنهما -[9] (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يقول : " ما كان [الله] [10] ليعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم، حتى يخرجهم الله[11]، ثم قال : (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[12]، وفيهم ممن[13] قد سبق له من الله الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار. (يَسْتَغْفِرُون) : يعني يصلون ، والمعني[14]بهذا : أهل مكة " .

وروي عن مجاهد ، وعكرمة ، وعطية العوفي ، وسعيد بن جبير ، والسدي نحو ذلك .

---

[1] ? أي : ابن كثير .

[2] ساقطة من (خ) .

[3] ? هو : يزيد بن رومان المدني أبو روح ، مولى آل الزبير ، ثقة ، روى عن عروة وجماعة ، وقيل: إنه قرأ على ابن عباس ، وهو من شيوخ نافع في القراءة ، توفي (سنة 130هـ) .
انظر: تقريب التهذيب (1074) ، الكاشف (3/242) .

[4] هو : محمد بن قيس ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، توفي بالمدينة في فتنة الوليد بن يزيد ، وكان كثير الحديث عالما بالطبقات الكبرى . انظر : التقريب(890) ، المغني في الضعفاء (2/256) .

[5] في المطبوع : بعضها . وهو الصواب .

[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف ، وفي المطبوع ، وتفسير الطبري : (أمسوا).

[7] في المطبوع : إلى قوله .

[8] في المطبوع (طلحة) . وهو تصحيف . والصواب (أبي طلحة) ، وهو : علي بن أبي طلحة سالم ، مولى بني العباس ، سكن حمص ، أرسل عن ابن عباس ولم يره ، صدوق قد يخطئ ، مات سنة 143هـ . انظر: التقريب (698) ، الكاشف (2/250) .

[9] في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنه).

[10] ساقط من (خ) .

[11] في المطبوع : لم يثبت (الله).

[12] في المطبوع : زيادة (يقول) .

[13] هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع (من) وهو الأصوب .

[14] في المطبوع : (يعني) .

فقال[1] الضحاك ، [و][2] أبو مالك[3]:(مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ): يعني المؤمنين[4]. قال : وقال ابن أبي حاتم – ثم ساق السند إلى ابن عباس – قال: " إن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين ، مجارين من قوارع العذاب ما داما بين أظهرهم ، فأمان قبضة الله إليه ، وأمان بقي فيكم ، قوله: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)"[5].

وروى ابن مردويه[6] وابن جرير عن أبي موسى الأشعري نحوا من هذا، وكذا روي عن قتادة ، وأبي العلاء النحوي المقري[7].

---

[1] في المطبوع : (وقال) .

[2] ساقطة من كلا المخطوطتين . والصواب إثباتها كما في المطبوع .

[3] ? هو : غزوان الغفاري ، أبو مالك الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة . انظر : التقريب (776)، الكاشف (2/322) .

[4] في المطبوع : (المؤمنون الذين كانوا بمكة) .

[5] تفسير ابن أبي حاتم (5/1691) .

[6] ? هو : أحمد بن موسى الأصبهاني ، العالم الفاضل ، الحافظ المعروف بابن مردويه ، صنف التفسير و يعرف بتفسير ابن مردويه ، وكانت وفاته في سنة (410هـ) . طبقات المفسرين(1/94) ، العبر للذهبي (2/217) .

[7] ? هو : لعله أبو العلاء الهمذاني ، الحافظ العلامة المقرئ شيخ الإسلام ، الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن سهل العطار ، شيخ همذان ، ولد سنة (488هـ) ، وكان حافظا متقنا ، مقرئا فاضلا ، حسن السيرة ، إماما في القرآن وعلومه، يعرف القراءات والحديث والأدب معرفة تامة، إماما في النحو واللغة ، ولا تأخذه في الله لومة لائم مع التقشف في الملبس ، مات في جمادى الأولى سنة (569هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء (21/ 40) ، شذرات الذهب (4/231) .

والذي يظهر لي - والله أعلم- أن المقصود بأبي العلاء هنا ليس النحوي المقرئ ، وإنما هو ابن الشخير الذي ذكره ابن جرير في الأثر رقم (16004) في تفسير هذه الآية ، حيث قال : حدثني الحارث ، قال ثنا عبد العزيز ، قال ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عامر أبي الخطاب الثوري ، قال سمعت أبا العلاء يقول : " كان لأمة محمد أمنتان ، فذهبت إحداهما وبقيت الأخرى (وما كان ليعذبهم وأنت فيهم) ". وذلك لأنه قال (وكذا روي عن قتادة وأبي العلاء) والأثر الوارد عن قتادة برقم (16005) حيث قال الطبري : حدثنا بشر بن معاذ ، قال ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد، عن قتادة : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ، قال : إن القوم لم يكونوا يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا ، وكان بعض أهل العلم : يقول هما أمانان أنزلهما الله فأما أحدهما فمضى نبي الله ، وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم الاستغفار والتوبة . انظر : تفسير الطبري (13/514) .

قال : وروى الترمذي[1] بسنده إلى أبي موسى قال : قال رسول الله : "أنزل الله علي أمانين لأمتي (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فإذا مضيت تركت فيكم[2] الاستغفار"[3].

وقال جماعة من المفسرين : فلولا كان[4] بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين ، لأوقع الله بهم البأس الذي لا يرد ، ولكن دفع[5] عنهم بسبب أولئك ، وكذا قال ابن أبزى[6] ، وعن ابن عباس[7]: (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) ، ثم استثنى أهل الشرك فقال : (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (سورة الأنفال: 34) "[8]. انتهى.

وقال البغوي : " اختلفوا في معنى هذه الآية . قال[9] محمد بن إسحق : هذه[10] حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى ، وذلك أنهم كانوا يقولون : إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمة ونبيها[11] ، فقال الله لنبيه [12] يذكر

---

[1] هو : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل : هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن ، أبو عيسى الحافظ العالم الإمام البارع ، الترمذي الضرير، مصنف الجامع ، وكتاب العلل ، وغير ذلك ، ولد في حدود سنة 210هـ ، كان يضرب به المثل في الحفظ ، وقال الحاكم : سمعت عمر بن علك يقول : مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد ، بكى حتى عمي وبقي ضريرا سنين ، مات أبو عيسى في ثالث عشر رجب سنة (279هـ) بترمذ . البداية والنهاية(13/270) ، التقريب (886) .

[2] في المطبوع : (فيهم) .

[3] سنن الترمذي[كتاب تفسير القرآن/ باب(9)](5/270) ، وقال : هذا حديث غريب . وضعفه المناوي في فيض القدير(3/53) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (4/186) برقم (1690).

[4] في المطبوع : (ما كان) .

[5] في المطبوع : دفع الله .

[6] ساقط من المطبوع . وهو : عبد الرحمن بن أبزى - بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها زاي مقصور- الخزاعي مولاهم ، صحابي صغير ، وكان في عهد عمر رجلا ، وكان على خراسان لعلي ، عاش إلى سنة نيف وسبعين . انظر: التقريب(569) ، الكاشف (2/137-138).

[7] في المطبوع : وكذا قال ابن أبي حاتم ابن عباس .

[8] تفسير ابن كثير(3/591)

[9] في المطبوع : (فقال) .

[10] في المطبوع : هذه .

[11] في المطبوع : ونبيها معها .

[12] في المطبوع : لم يثبت .

جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم – ثم[1] قال ردا عليهم: (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) ، وإن كنت بين أظهرهم ، وإن كانوا يستغفرون[2].

ثم قال : وقال آخرون : هذا كلام مستأنف ، يقول الله إخبارا عن نفسه: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) واختلفوا في تأويلها.

قال الضحاك وجماعة : تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بمكة، بين أظهرهم[3]، ثم خرج من بين أظهرهم وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون ، فأنزل الله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[4] ، ثم خرج أولئك من بينهم فعذبوا ، فأذن الله في فتح مكة ، فهو العذاب "[5] .

وذكر البغوي أيضا القول الأول ، وذكر قول يزيد بن رومان ، وذكر عن السدي في قوله : (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي : لو استغفروا[6]، ولكنهم لم يكونوا يستغفرون . وقيل[7] هو دعاء لهم إلى الإسلام ، ووعد أن لا يعذبهم إن فعلوا . وقيل : (يستغفرون) أي : يسلمون .

وذكر قول من قال : إن المراد من سبق له من الله تعالى أنه يؤمن ويستغفر.

ثم قال : " وروى عبد الوهاب[8] عن مجاهد : وهم يستغفرون ، أي وفي

أصلابهم من يستغفر "[9] . فأخر هذا القول وقدم ما عليه جماهير السلف والمفسرين. فنسبة هذا القول إلى المفسرين خطأ

---

[1] في المطبوع : إلى أن .

[2] في المطبوع زيادة : (وهم يصدون عن المسجد الحرام).

[3] في المطبوع زيادة : (قالوا: نزلت هذه الآية على رسول الله وهو مقيم بمكة).

[4] في المطبوع زيادة : ثم قال – ردا عليهم - ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ وأنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام .

[5] تفسير البغوي (3/352) .

[6] في المطبوع : أنهم استغفروا .

[7] في المطبوع : (ثم قال : وقيل) .

[8] هو : عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي عن أبيه ، قال أحمد ليس بشيء ضعيف ، وقال البخاري : قال وكيع : يقولون لم يسمع من أبيه ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال ابن حجر : متروك وقد كذبه الثوري . ميزان الاعتدال (4/436) ، تقريب التهذيب(633).

[9] تفسير البغوي (3/354) .

وجهل بأقوال السلف، ولهذا ترك ابن كثير هذا القول، والبغوي قدم سواه وأخره . ولم يذكر له سندا يجب [إليه][1] .

وأيضا فقوله : (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يأبى هذا التأويل فإن الضمير راجع إلى من تقدم ذكرهم في قوله : (وإذ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا[2] حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(سورة الأنفال:32) ، فالضمير في الأفعال مرجعه واحد ، والنطفة ليس لها ذكر ولم يصدر منها قول، فما الذي أقحمها هنا ؟ والضمير لابد له من مرجع ، وقوله : (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فعله موضوع للحال والاستقبال ، وقد ثبت أنهم كانوا يستغفرون ؛ لعلمهم بصدقه ﷺ .

ثم لو سلم ما زعمه العراقي ، فأي دليل فيه على أن الذات الفاضلة تدعى، وتسأل، وينذر لها، ويستغاث بها، ونحو ذلك مما يفعله عباد القبور؟

وقد ذكر ابن إسحاق في مغازيه : " أن أصحاب رسول الله[3] ﷺ لما فتحوا تستر[4] ، وجدوا فيها سريرا عليه رجل مسجى عند[5] مصحف ، فكتبوا إلى عمر بذلك ، وأنهم[6] كانوا إذا قحطوا كشفوه وأبرزوه إلى السماء ، فيغاثون ، وينزل المطر، فكتب إليهم عمر: أن احفروا أحد عشر قبرا ، وادفنوه ليلا في أحدها، وأعمقوا[7] قبره عن الناس ، لئلا يفتتن به ، وذكر لهم عمر- رضي

---

[1] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (المصير إليه) .

[2] في (خ) وقف هنا .

[3] في المطبوع : الرسول .

[4] تستر : بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء ، أعظم مدينة بخوزستان ، وهو تعريب شوشتر، وقال الزجاجي : سميت بذلك لأن رجلا من بني عجل يقال له تستر بن نون افتتحها فسميت به ، وليس بشيء ، والصحيح ما ذكره حمزة الأصبهاني ، قال : الشوشتر مدينة بخوزستان تعريب شوش بإعجام الشينين ، قال : ومعناه النزه والحسن والطيب واللطيف ، وهي قريبة من البصرة ، فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر بن الخطاب .
انظر : معجم البلدان (2/29) ، معجم ماستعجم (1/281) ، المعرب للجواليقي (91) .

[5] في المطبوع : عنده .

[6] في المطبوع : وأن أهل تستر.

[7] في المطبوع : وأعموا .

الله عنه -[1]: أنه دانيال[2] النبي [3]" [4] ، فخاف عمر فتنة الشرك[5] ودعاءه مع الله ، ولم يقل ما قال المشركون : إن الذوات الفاضلة يستغاث بها وتدعى .

وقد صح عنه أنه قال : " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية "[6] .

فهذا العراقي وإخوانه من عباد القبور لم يعرفوا الجاهلية ، وما كانت العرب[7] قبل الإسلام ، بل ولا عرفوا ما كان عليه أصحاب رسول الله[8] من التوحيد ، وإسلام الوجوه لفاطرها وإلهها الحق ، فلذلك اعتقدوا أن كل من فيه فضل يتوسل به ويدعى ، وأصل عبادة الصالحين هذه العلة ، بل وأصل عبادة الأحجار أن الرجل من الجاهلية إذا[9] خرج من الحرم يستصحب

---

[1] في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنه) .

[2] ? هو : دانيال بن حزقيل الأصغر ، قال يونس بن بكير , عن محمد بن إسحق , عن أبي خلد بن دينار , حدثنا أبو العالية قال : لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال: سيركم , وأموركم , ولحون كلامكم , وما هو كائن بعد ، قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها ؛ لنعميه على الناس فلا ينبشونه ، قلت : فما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال، قلت : منذ كم وجدتموه قد مات ؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة ، قلت : ما تغير منه شيء ؟ قال: لا , إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع . وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلاثمائة سنة فليس بنبي ، بل هو رجل صالح ، لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نبي بنص الحديث الذي في البخاري ، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة , وقيل : ستمائة , وقيل : ستمائة وعشرون سنة ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة , وهو قريب من وقت دانيال , إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر , فإنه قد يكون رجلا آخر . (البداية والنهاية2/374-379)

[3] في المطبوع : عليه السلام .

[4] تاريخ الطبري (2/504-505).

[5] في المطبوع : زيادة (به).

[6] لم أجده – فيما اطلعت عليه من مراجع - .

[7] هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (كانت العرب) .

[8] في المطبوع : الرسول .

[9] في المطبوع : كان إذا .

له[1] حجرا من أحجاره، تبركا بأحجار الحرم وتعظيما لها كما ذكره الأزرقي[2] في تاريخ مكة.

---

[1] في (م) : كتب في المتن (له) . ثم كتب تحتها في الهامش (معه) كأنه تصحيحا . وفي المطبوع : معه .

[2] هو : أبو الوليد ، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ، مؤرخ ، يماني الأصل ، من أهل مكة، توفي سنة 250هـ . انظر : فهرست ابن النديم (1/124-125) ، الرسالة المستطرفة(1/134) ، الأعلام (6/222) .

فصـل

قال العراقي : الدليل الثامن

قوله تعالى : (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ) (سورة الحج:40) .

ذكر المفسرون : لولا أن يدفع الله بالمؤمن عن الكافر , وبالطائع عن العاصي .

ولا شك أن المؤمن لا يدعو للكافر ، بل لأجل ذات المؤمن في[1] ظهراني الكفار يرحمهم الله بسببه .

والجواب أن يقال :

هذا الاستدلال من نمط ما قبله , نسب إلى المفسرين مالم يقولوه ، ولم يعز ما ذكره إلى أحد حتى يعرف وينتقد ، وسياق الآية يدل على خلاف ما ذكره هذا المعترض . قال تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ[2] إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ ببعضٌ)(سورة الحج :39-40) , ذكرها[3] بعد إذنه لعباده المؤمنين بقتال من قاتلهم, إخبارا منه أنه يدفع الناس بعضهم ببعض ، فيدفع بالمؤمنين المستجيبين لله ورسوله المجاهدين في سبيله إفساد من يعاديه ويعادي رسله ممن كفر به وقتل أولياءه , ولولا هذا [الدافع][4] بالمؤمنين لوقع ما ذكر من هدم الصوامع والبيع والصلوات والمساجد, وهذا الذي عليه المفسرون، وذوات الأنبياء والصالحين إنما يدفع الله بها عمن آمن بهم واستجاب لهم ، وأما من كذب وتولى ، ولم يمتثل ما جاءوا به من الهدى ودين الحق فلا ضمان له ؛ ولذلك وقع

---

1 في المطبوع : بين .
2 في (خ) : وقف هنا .
3 في (خ) : ذكر تعالى .
4 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : الدفع . وهو الصواب

العذاب على أممهم المكذبة، وخص بالنجاة[1] من آمن بالله ورسله , والنبي ﷺ أرسل رحمة للعالمين, ودفع الله به عذاب الاستئصال ، وأما عذاب بعض المكذبين فقد وقع [منهم] [2] ما لا يحصيه إلا الله ، قال تعالى : (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ)(سورة الدخان:16) , وقال تعالى : (وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ[3] أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) (سورة الرعد:40) , وقال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا[4] تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَاَ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) (سورة التحريم:10) والآية بعدها.

فالنجاة والفلاح في الإيمان والمتابعة ، والشر والهلاك في الكفر والإعراض والمخالفة ، قال تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ[5] إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) الآية (الممتحنة: 4).
وتأخير العذاب ما دامت الرسل بين أظهرهم ليس فيه إلا كرامة الرسل ورحمتهم, ليس فيه كرامة[6] لمن كذب وعصى ، بل هو معرض للوعيد والهوان .

---

1 في المطبوع : لم يثبت (بالنجاة).
2 هكذا في كلا المخطوطتين ، وفي المطبوع : منه . وهو الصواب .
3 في (خ) : وقف هنا .
4 في (خ) : وقف هنا .
5 في (خ) : وقف هنا .
6 في المطبوع : رحمة.

فصـل

قال العراقي : الدليل التاسع

قوله تعالى : (وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ[1] لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (سورة الفتح:25). ذكر المفسرون: أن الله تعالى نهى المؤمنين[2] عن قتال الكفار؛ لأجل من معهم من المستضعفين ، ولولاهم لعذبهم[3] الله –الكفار-، [في][4] فوجود ذواتهم بركة وحفظ للكفار .

والجواب أن يقال :

اعترى هذه الآية الكريمة من تحريف العراقي وإلحاده ما اعترى نظائرها, فإن الآية ما سيقت للنهي كما قال الأحمق , والسياق لبيان حكم قدري في منع المؤمنين من دخول مكة عنوة عام الحديبية ، وأن الله لطف للمؤمنين والمؤمنات ممن كان بمكة ، والذين مع رسول الله[5] , فلم يمكنهم من الدخول لبلده[6] الحرام في ذلك العام ، لئلا يطؤوا من فيها[7] من المؤمنين والمؤمنات ، فتصيب أصحاب رسول الله[8] منهم معرة بذلك الوطء والصنيع , فهو لطف للمؤمنين والمؤمنات من الفريقين ، فالدفع لهذا المعنى ، ولذلك[9] : (لَـوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) , فلطف[10] للمؤمنين ، لا للكفار بواسطة المؤمنين .

---

[1] في (خ) : وقف هنا .

[2] في المطبوع : لم يثبت (المؤمنين) .

[3] في المطبوع : لعذب .

[4] هكذا في كلا المخطوطتين . وهي زائدة لا معنى لها .

[5] في المطبوع : الرسول .

[6] في المطبوع : دخول بيته .

[7] في المطبوع : من بمكة من المستضعفين.

[8] في المطبوع : الرسول .

[9] في المطبوع : لذلك قال .

[10] في المطبوع زيادة : الله .

قال البغوي : (وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ) يعني : المستضعفين بمكة ، (لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) أي : لم تعرفوهم ، (أَنْ تَطَئُوهُمْ) بالقتل وتوقعوا بهم ، (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ) قال ابن زيد[1]، ثم قال[2] ابن إسحاق[3] : غرم الدية.

وقيل : الكفارة ؛ لأن الله عز وجل أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية , فقال : (فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مؤمنة)(سورة النساء:92) .

وقيل : هؤلاء المشركين[4] يعيبونكم ويقولون : قتلتم أهل دينكم .

والمعرة : المشقة . يقول : لولا أن تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلمونهم فتلزمكم بهم كفارة أو تلحقكم مسبة . وجواب " لولا " محذوف تقديره : لأذن لكم , ولكنه حال بينكم وبين ذلك بغير علم[5] .

(لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) فاللام في " يدخل "[6] يتعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام ، يعني حال بيني و بينكم[7] , (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ) : في دين الإسلام . (مَنْ يَشَاءُ) : من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلها[8]، (لَوْ تَزَيَّلُوا) أي : لو تميزوا ، أي المؤمنين من الكافرين .

(لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) : بالسبي والقتل بأيديكم .

وقال بعض أهل العلم : (لَعَذَّبْنَا) جواب لكل من الآيتين : أحدهما (وَلَوْلا رِجَالٌ) ، والثاني (لَوْ تَزَيَّلُوا) , ثم (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) : يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته ، أي : في جنته .

ثم ذكر قول قتادة : إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكافرين ، كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين [من] [9] مشركي مكة .

---

1 تقدم .
2 في المطبوع : لم يثبت (قال) .
3 تقدم .
4 في المطبوع : لم يثبت (المشركين) .
5 في المطبوع : زيادة (منكم).
6 في المطبوع : ليدخل .
7 في المطبوع : بينكم وبين دخول مكة .
8 في المطبوع : تدخلوها.
9 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : (عن) . وهو الصواب .

ومراد قتادة : ما تقدم عن غيره؛ لأن[1] المقصود دفع المعرة والإثم عن المؤمنين ، ولم يرد أن الله دفع عن الكافرين لأجل المؤمنين كما يظنه هذا المفتري .

وعبارة ابن كثير وغيره من المفسرين متقاربة هنا[2]، ليس فيها أن الله دفع عن الكفار، بل فيها أن الله دفع عن المؤمنين أسباب المعرة والإثم ، ودفع عن المستضعفين من المؤمنين بمكة أن يطأهم المؤمنون بالسيف وهم لا يعلمون .

وعلى كل تقدير : فالخطأ لازم للعراقي . ثم لو سلم له أن الله دفع عن الكافرين ، وأنهم المقصود[3] بالدفع على فهمه الفاسد ، فليس فيه ما يتمسك به: أن[4] المؤمنين يدعون مع الله , ويستغاث بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله ، ويتوجه إليهم بالتعظيم, والحب, والخضوع, والذبح, والنذر, والخشية, والرجاء, والاعتكاف عند قبورهم, والطواف بها, والحلف تعظيما لها[5]، كما عليه المشركون وعباد الصليب .

فإن كانت البركة أو دفع العذاب الدنيوي بوجود النبي والصالح يبيح ما عليه عباد الأصنام والصلبان كما فهمه هذا الحيوان ، فليهن كل مشرك وزنديق ما أبداه هذا الضال من البيان والتحقيق , وما أحسن قوله[6] تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ[7] حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الأَلِيمَ) (سورة يونس:96) .

ما أوحش [ما][8] تلاعب الشيطان بابن آدم حتى يوهمه أنه من العلم والفهم بمكان رفيع ، وأنه يصلح للإبلاغ عن الله والتوقيع ، وهو في الحقيقة من الجهالة[9] والسفاهة بمكان وضيع ، وعمله وكسبه عند الله –عز وجل-[10] شر عمل وصنيع .

---

[1] في المطبوع : ما تقدم من أن .
[2] في المطبوع : مثل ما هنا .
[3] في المطبوع : المقصودون .
[4] في المطبوع : من أن .
[5] في المطبوع : والحلف بهم تعظيما لهم .
[6] في (خ) : ما قاله ، وفي المطبوع : قول الله .
[7] في (خ) : وقف هنا .
[8] ساقط من (خ) .
[9] في المطبوع : الجهاة . وهو خطأ مطبعي .
[10] في المطبوع : لم يثبت (عز وجل) .

فصـل

قال العراقي: الدليل العاشر

قوله[1] : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) (سورة البقرة:37) .

ذكر المفسرون : أن آدم لما اقترف الخطيئة قال : " اللهم بحق النبي الذي قرنت اسمه مع اسمك إلا ما غفرت لي , فغفر له "[2].

---

1 في (خ) , والمطبوع : (قوله تعالى) .

2 ? رواه الحاكم في المستدرك (2/615) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال : صحيح الإسناد ، وخالفه الذهبي فقال : " بل موضوع ، وعبد الرحمن واه " ، والآجري في " الشريعة " (3/1415) برقم (956) ، وقال محقق الكتاب : " إسناده ضعيف فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ضعيف ، وأبو الحارث الفهري وشيخه وشيخ شيخه لم أقف لهم على ترجمة " ، والبيهقي في " دلائل النبوة" (5/489) ، وقال : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ، وروا أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب " العظمة " (5/1597) . ورواه الآجري بإسناد آخر موقوفا على أبي الزناد (3/1410) برقم (950) ، وقال المحقق : إسناده ضعيف جدا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التعليق على مثل هذه الأحاديث :

" ومثل ذلك الحديث الذي رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعا وموقوفا عليه أنه لما اقترف آدم الخطيئة قال : " يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، قال : وكيف عرفت محمدا؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، قال : صدقت يا آدم ، ولولا محمد ما خلقتك " ، وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن مسلم الفهرى ، عن إسماعيل بن سلمة ، عنه قال الحاكم : وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن في هذا الكتاب ، وقال الحاكم : هو صحيح.

ورواه الشيخ أبو بكر الآجرى في كتاب الشريعة موقوفا على عمر من حديث عبد الله بن إسماعيل بن أبى مريم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم موقوفا ، ورواه الآجرى أيضا من طريق آخر من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه موقوفا عليه ، وقال حدثنا هارون بن يوسف التاجر حدثنا أبو مروان العثماني حدثني أبو عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه أنه قال : " ما الكلمات التي تاب الله بها على آدم؟ قال : اللهم إني أسألك بحق محمد عليك ، = قال الله تعالى ، وما يدريك ما محمد ؟ قال: يا رب رفعت رأسي فرأيت مكتوبا على عرشك لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه أكرم خلقك ".

قلت – شيخ الإسلام - : ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه ، فإنه نفسه قد قال في كتاب " المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم " : عبد

والجواب أن يقال :

هذا من نمط ما قبله في الاحتجاج بما ليس بثابت عند العلماء ، وليس فيه دليل على المطلوب ، بل هو على نقيض مراد المعترض أدل منه على مطلوبه.

والمعترض لم يذكر من خرجه ولا من رواه ، ولم يذكر إسنادا ينظر فيه, والأقاويل التي لم تثبت عند أئمة الحديث أهل النقد والتصحيح لا ينبغي لطالب علم أن يحتج بها.

والمشهور عند أهل العلم والمفسرين أن هذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالى : (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ)(سورة الأعراف:23) ,

---

الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه .

قلت : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرا ، ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني ، وغيرهم ، وقال أبو حاتم بن حبان : كان يقلب الأخبار، وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك.

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث .... ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح ... وهذا الحديث المذكور في آدم يذكره طائفة من المصنفين بغير إسناد وما هو من جنسه مع زيادات أخر كما ذكر القاضي عياض قال : وحكى أبو محمد المكي وأبو الليث السمرقندى وغيرهما أن آدم عند معصيته قال : " اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي" ، قال ويروى : " تقبل توبتي" ، فقال الله له من أين عرفت محمدا ؟ قال : رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، قال : ويروى : " محمد عبدي ورسولي" ، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك ، فتاب عليه وغفر له"

ومثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة ولا يحتج به في الدين باتفاق المسلمين ، فإن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا تعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي ، وهذه لو نقلها مثل كعب الأحبار ووهب ابن منبه وأمثالهما ممن ينقل أخبار المبتدأ وقصص المتقدمين عن أهل الكتاب لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين ، فكيف إذا نقلها من لا ينقلها لا عن أهل الكتاب ولا عن ثقاتعلماء المسلمين ؟ بل إنما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف لا يحتج بحديثه واضطرب عليه فيها اضطرابا يعرف به أنه لم يحفظ ذلك ، ولا ينقل ذلك ولا ما يشبهه أحد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم ، وإنما هي من جنس ما ينقله إسحاق بن بشر وأمثاله فى كتب المبتدأ ، وهذه لو كانت ثابتة عن الأنبياء لكانت شرعا لهم وحينئذ فكان الاحتجاج بها مبنيا على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا ، والنزاع في ذلك مشهور، لكن الذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه ، وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا ، أو بما تواتر عنهم ، لا بما يروى على هذا الوجه فإن هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع المسلمين أحد من المسلمين " . مجموع الفتاوى (1/254-259) ، وانظر : الرد على البكري (1/397-402) ، (1/134-135) .

وهذا مروي عن سعيد بن جبير, ومجاهد, وأبي العالية, والربيع بن أنس[1], والحسن, وقتادة, ومحمد بن كعب القرظي[2], وخالد بن معدان[3], وعطاء الخراساني , وعبد الرحمن بن زيد .

وعن ابن عباس قال : " علم شأن الحج " , وعن عبيد بن عمير[4] أنه قال: قال آدم : " رب[5] خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته علي قبل أن تخلقني ، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال : بل كتبته عليك قبل أن أخلقك , قال :

فكما كتبته علي فاغفر[6] لي , قال فذلك قوله : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) .[7]

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما -[8] : قال آدم عليه السلام : " ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له بلى . ونفخت في من روحك ؟ قيل له بلى . وعطست , فقلت : يرحمك الله ، وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل بلى[9]. وكتبت علي أن أعمل هذا؟ قيل بلى[10]. قال أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال نعم "[11] ، وكذا رواه العوفي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن معبد[12].

---

[1] هو : الربيع بن أنس البكري أو الحنفي , بصري نزل خراسان ، صدوق له أوهام ، ورمي بالتشيع , مات سنة (140هـ) أو قبلها . التقريب (318) ، الكاشف (1/234-235) .

[2] هو : محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرظي المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم من الثالثة ولد سنة أربعين على الصحيح ووهم من قال ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال البخاري : إن أباه كان ممن لم ينبت من سبي قريظة ، مات سنة (120هـ) ، وقيل قبل ذلك.
انظر : التقريب(891) ، الكاشف (3/81) .

[3] هو : خالد بن معدان الكلاعي الحمصي ، أبو عبد الله ، ثقة عابد ، يرسل كثيرا ، مات سنة (103هـ) بعد ذلك . التقريب (291) ، الكاشف (1/208) .

[4] هو : عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، أبو عاصم المكي ، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قاله مسلم ، وعده غيره في كبار التابعين ، وكان قاص أهل مكة مجمع على ثقته ، مات سنة 68هـ. التقريب (651) ، الكاشف (2/209) .

[5] في المطبوع : يارب .

[6] في المطبوع : فاغفره .

[7] تفسير الطبري (1/544) ، العظمة لأبي الشيخ (5/1549) .

[8] في المطبوع : لم يثبت (رضي الله عنهما) .

[9] في المطبوع : له بلى .

[10] في المطبوع : له بلى .

[11] المستدرك (2/594) ، تاريخ الطبري(1/85) ، تفسير الطبري (1/542-543) .

[12] هو : سعيد بن معبد الهاشمي ، تابعي ، روى عن ابن عباس ، وروى عنه القاسم بن أبي بزة .
انظر : الجرح والتعديل (4/63) ، التاريخ الكبير للبخاري (3/512) .

ورواه الحاكم في مستدركه إلى ابن عباس[1]، وروى ابن أبي حاتم حديثا مرفوعا شبيها بهذا[2].

وعن مجاهد قال : " الكلمات : [اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين][3]، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، إني[4] ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين ، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك. رب إني ظلمت نفسي، فتب علي أنك أنت التواب الرحيم"[5].

هذا ما عليه المفسرون لا ما قاله هذا الأحمق ، فإن كان بعض من لا بصيرة له قد ذكر[6]، فالحجة عما[7] ثبت عن الصحابة ، وعن سلف الأمة وأئمتها، ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث وأئمة التصحيح والترجيح .

ولما روى ابن حميد الرازي[8] الحكاية المنسوبة إلى مالك - رحمه الله - مع أبي جعفر المنصور، وفيها : أنه سأل مالكا فقال : " يا أبا عبد الله[9] ، أستقبل القبلة وأدعو ، أم استقبل رسول الله[10] ﷺ ؟ [فقال][11]: ولم تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلتك

وقيل : سعد بن معبد الهاشمي . لسان الميزان (8/350) . وقيل لأبي زرعة أيهما الصحيح سعيد بن معبد أو سعد بن معبد ؟ فقال سعيد أصح . علل الحديث للرازي (2/228-229) .

[1] رواه الحاكم [كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين /(2/545)] وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

[2] رواه ابن أبي حاتم مرفوعا عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال آدم – عليه السلام - : أرأيت يارب إن تبت ورجعت ، أعايدي إلى الجنة ؟ قال : نعم . قال فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) " (1/90) . وقال ابن كثير : غريب من هذا الوجه ، وفيه انقطاع . وكذا رواه موقوفا (1/90-91) .

[3] ساقط من (خ) ، والمطبوع .

[4] في (خ) ، والمطبوع : (ربي إني) .

[5] انظر: تفسير ابن أبي حاتم (1/91) .

[6] في المطبوع : ذكره .

[7] في المطبوع : فيما . وهو الصواب .

[8] هو : محمد بن حميد بن حيان ، أبو عبد الله الرازي ، حافظ ضعيف ، وكان ابن معين حسن الرأي فيه ، وقال البخاري في حديثه نظر ، وقال النسائي ليس بثقة ، قال الذهبي : وثقه جماعة ، والأولى تركه . انظر: تهذيب الكمال للمزي (25/97-108) ، التقريب (839) ، الكاشف (3/32) .

[9] في المطبوع : يا عبد الله .

[10] في المطبوع : الرسول .

[11] لم تثبت في كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع . وزلا يستقيم المعنى إلا بإضافتها.

ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله[1] يوم القيامة ؟ بل استقبله ، واستشفع به " . فرد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا أن إسنادها مظلم منقطع، مشتمل على من يتهم بالكذب[2] ، وقالوا : ابن حميد كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيئا ، بل روايته عنه منقطعة .

ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، ونسبه بعضهم إلى الكذب ، فقال يعقوب بن شيبة السدوسي[3] : محمد بن حميد الرازي كثير المناكير . وقال البخاري : حديثه

---

[1] في المطبوع : لم يثبت (الله) .

[2] ? قال ابن تيمية في رده على الاستدلال بهذه الحكاية : " الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : المطالبة بصحة هذه الحكاية وليس معه ولا مع من ينقلها بها إسناد صحيح ولا ضعيف ، وإنما غايته أن يعزوها إلى " الشفا " ، أو إلى من نقلها منه ، وكل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب من الأحاديث والآثار ما ليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه ، فإذا قال القاضي عياض : " ذكره فلان في كتابه ، فهو الصادق في خطابه " ، وإذا لم يذكر من أين نقله لم نتهمه ، ولكن نتهم من فوقه ، وقد رأيناه ينقل من كتب فيها كذب كثير، وهو صادق في نقله منها ، لكن ما فوقه لا يجوز الاعتماد عليهم .

الوجه الثاني : أن يقال هذه الحكاية كذب بلا ريب من وجوه :

* منها أنها مخالفة لمذهب مالك ومذهب سائر الأئمة ، فإنهم متفقون على أن من سلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أراد الدعاء فإنه يستقبل القبلة ، كما روى ذلك عن الصحابة ، وتنازعوا وقت السلام عليه ، هل يستقبل القبلة أو القبر ؟ على قولين :

فقال أبو حنيفة : يستقبل القبلة أيضا .

وقال غيره : يستقبل القبر وقت السلام عليه .

وأما وقت الدعاء فما أعلم إماما خالف في أنه يستقبل القبلة ، بل الأئمة متفقون على أن قبلة المسلمين التي يستقبلونها في جميع أدعيتهم وأمكنتهم هي الكعبة ، ويستحب لكل من دعا الله أن يستقبل الكعبة حيث كان وأين كان ، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم - يستقبلها ، فيستقبل وقت الذكر والدعاء بعرفة ، ومزدلفة ، وبين الجمرات ، وعلى الصفا والمروة ، وعقب الصلاة في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيره ، وما جعل أحد من الأئمة قبر أحد من الأنبياء قبلة للدعاء ، وإنما يستقبل قبورهم أهل الجهل عند عباداتهم ، ومن هؤلاء الغلاة من يستقبل قبورهم ويصلي إليها ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه قال : " لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها " ، ...وقد ثبت عن مالك وغيره من الأئمة أنهم جعلوا ذلك من البدع التي لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ، فعلم أن هذا كذب على مالك مخالف لمذهبه ..

* ومنها أن مالكا من قوة متابعته للسنة كره أن يقال : زرت قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا مما لا يستريب أحد في ثبوته عنه ، مع أن لفظ زيارة القبور في الجملة مما جاءت به السنة في غير قبره ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : " زار النبي - صلى الله عليه وسلم - قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال : استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت " ،

فيه نظر . وقال النسائي[1]: ليس بثقة[2] . وقال الجوزجاني[3]: رديء المذهب غير ثقة . وقال فضلك الرازي[4]: عندي عنه خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف . وقال ابن الأزهري[5] : سمعت [ابن إسحاق][6] بن منصور[7] يقول : أشهد على محمد بن حميد ، وعبيد بن إسحاق العطار[8] بين يدي الله أنهما كذابان . وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ .

والأحاديث في ذلك كثيرة " .
انظر : الرد على البكري (25- 28) .

[3] هو : الحافظ يعقوب بن شيبة السدوسي ، أبو يوسف البصري ، ثم البغدادي ، صاحب المسند الكبير، ولد في حدود 180هـ ، وتوفي سنة 262هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (12/476) ، تاريخ بغداد (14/281-283) .

[1] هو : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي ، الحافظ ، صاحب السنن مات سنة ثلاث وثلاثمائة ، وله ثمان وثمانون سنة . سير أعلام النبلاء (14/125)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (2/88) .

[2] في (خ) : ثقة .

[3] هو : إبراهيم بن يعقوب السعدي ، أبو إسحاق الجوز جاني - بضم الجيم الأولى وزاي وجيم- الحافظ ، نزيل دمشق ، ثقة حافظ ، مات سنة (159هـ) . انظر : التقريب (118) ، الكاشف (1/51) .

[4] هو : هو أبو بكر ، الفضل بن العباس الرازي ، المعروف بفضلك الرازي الصائغ ، الحافظ الناقد، أحد الأئمة ، صاحب التصانيف ، ثقة ثبت ، سكن بغداد ، مات سنة 270هـ . انظر: الجرح والتعديل (7/66) ، سير أعلام النبلاء (12/630) .

[5] هو : أحمد بن محمد بن الأزهر بن حريث ، أبو العباس الأزهري السجستاني ، قال ابن عدي يحدث بمناكير ، وقال الدارقطنى : منكر الحديث ، قال : وبلغني أن محمد بن إسحاق بن خزيمة حسن الرأي فيه ، وذكر ابن حبان أنه جرب عليه الكذب . انظر : المجروحين (1/163) ، ميزان الاعتدال (1/275) .

[6] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي المطبوع : (إسحاق) .

[7] هو : إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج ، أبو يعقوب التميمي المروزي ، ثقة ثبت ، مات سنة(251هـ) . انظر : تقريب التهذيب (132) ، الكاشف (1/65) .

[8] هو : عبيد بن إسحاق العطار ، كنيته أبو عبد الرحمن ، من أهل الكوفة ، يروي عن شريك وقيس، روى عنه العراقيون ، ويقال له : عطار المطلقات ، ضعفه يحيى ، وقال البخاري : عنده =مناكير ، وقال الأزدي : متروك الحديث ، وقال الدارقطني : ضعيف مات سنة (214هـ) . انظر : ميزان الاعتدال (5/24) ، لسان الميزان (4/561-562) ، المجروحين (2/176) .

فصـل

قال العراقي : الدليل الحادي عشر

قوله تعالى : (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) (سورة البقرة:89) .

[ذلك][1] المفسرون أن اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من مشركي العرب فتقول[2] : " اللهم بحرمة هذا النبي الذي يبعث في آخر الزمان إلا ما نصرتنا عليهم " ، فينصرون . وقد تقدم هذا عن ابن القيم .

والجواب[3]:

إن هذا العراقي حثيث السير إلى كل مكذوب أو ضعيف . والآية قد تكلم عليها أهل العلم سلفا وخلفا. ولم يذكر هذا القول أحد يعتد به ويرجع إليه في هذا العلم، أو غيره[4] من العلوم.

وعبارة ابن كثير يقول : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ[5] مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) ، يقول تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ) : يعني اليهود ، (كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) : وهو القرآن الذي أنزل على محمد ، (مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ) : يعني : من التوراة .

وقوله : (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) أي : وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ، يقولون : إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وارم ، قال[6] محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري ، عن أشياخ منهم . قال : فينا [و][7] الله وفيهم – يعني في الأنصار وفي اليهود،

---

1 هكذا في كلا المخطوطتين . وفي المطبوع : ذكر . وهو الصواب .
2 في المطبوع : فيقولون .
3 في المطبوع : زيادة (أن يقال) .
4 في المطبوع : في غيره .
5 في (خ) : وقف هنا .
6 في المطبوع : كما قال .
7 ساقطة من (خ) .

الذين كانوا جيرانهم[1] – نزلت هذه القصة:(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ[2] مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا به) قال : " كنا قد علوناهم دهرا في الجاهلية ونحن أهل الشرك[3]، وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون : إن نبيا يبعث الآن نتبعه ، قد أظل زمانه ، فنقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه ، كفروا به "، يقول الله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) . وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله: (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) قال[4] : يستظهرون ، يقولون : نحن نعين محمدا عليهم، وليسوا كذلك، يكذبون . وقال محمد بن إسحق : أخبرني محمد بن أبي محمد[5] ، أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : " أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله[6] ﷺ [قبل][7] مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور[8]، وداود بن سلمة[9] : يا معشر اليهود[10]، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مشكم[11] أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم ،

---

[1] في كلا المخطوطتين تكررت : انهم .

[2] في (خ) : وقف هنا .

[3] في المطبوع : شرك .

[4] في المطبوع : لم يثبت (قال) .

[5] ? هو : محمد بن أبي محمد ، مدني ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير وعبد الرزاق ، وعنه ابن إسحاق ، قال الذهبي : وثق ، وقال ابن حجر : مجهول . انظر : الكاشف للذهبي (3/83)، التقريب (894) ، المغني في الضعفاء (2/261) .

[6] في المطبوع : بالرسول .

[7] لم تثبت في كلا المخطوطتين ، والمثبت من المطبوع .

[8] هو : البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان ، السيد النقيب ، أبو بشر الأنصاري الخزرجى ، أحد النقباء ليلة العقبة ، وهو ابن عمة سعد بن معاذ ، وكان نقيب قومه بني سلمة ، وكان أول من بايع ليلة العقبة الأولى ، وكان فاضلا تقيا فقيه النفس، مات في صفر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر. انظر : سير أعلام النبلاء(1/267) ، الإصابة (1/282) .

[9] قال ابن حجر : " داود بن سلمة الأنصاري ، له ذكر ، فروى ابن أبي حاتم في التفسير من طريق ابن إسحاق ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج بمحمد قبل بعثته ، فلما بعث كفروا به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء ، وداود بن سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون به علينا ، فذكر الحديث في نزول الآية ، كذا رأيته في نسخة ، ووقع في نسخة أخرى: فقال لهم معاذ، وبشر بن البراء أخو بني سلمة، كذا ذكره الطبري من هذا الوجه فلعل الأول تصحيف ". انظر : الإصابة (2/383) .

[10] في المطبوع : يهود .

فأنزل الله في ذلك من قولهم : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا[1] فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) ، يقول : يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب ، يعني بذلك أهل الكتاب . فلما بعث[2] محمد ﷺ ، ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه.

وقال أبو العالية[3] : كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب، يقولون : " اللهم ابعث هذا النبي الذي نجد[4] مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمدا ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ[5]. فقال الله : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) " .

وقال قتادة : (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) ، وكانوا يقولون : إنه سيأتي نبي (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) .

وقال مجاهد : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) [هم اليهود][6] .

وقال في " الجلالين " : " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم من التوراة : هو القرآن . وكانوا من [قبل][7] مجيئه (يستفتحون) : يستنصرون (على الذين كفروا) يقولون : اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان"[8].

وقال البيضاوي : (ولما جاءهم كتاب من عند الله) : يعني القرآن ، (مصدق لما معهم) : من كتابهم ، وقرئ بالنصب على الحال : من كتاب لتخصيصه بالوصفية ، وجواب " لما " :

---

[11] هو : سلام - بتخفيف اللام- بن مشكم – بكسر الميم - رجل كان من اليهود سيد بني النضير، زوجته زينب هي التي سمت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت تحته صفية بنت حيي - رضي الله عنها - . انظر: البداية والنهاية (6/330، 8/210) ، لسان العرب (4/2084) .

[1] في (خ) : وقف هنا .

[2] في المطبوع : زيادة (الله) .

[3] تقدم (ص) .

[4] في (خ) : نجده .

[5] في المطبوع : لم يثبت (ﷺ).

[6] ساقط من (خ) .

[7] ساقط من (خ) .

[8] تفسير الجلالين (1/19).

محذوف ، دل[1] عليه [الوجوب][2] "لما" الثانية. (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) أي : يستنصرون على المشركين ، ويقولون : اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة ، أو يفتحون[3] عليهم ، ويعرفون أن نبيا يبعث منهم قد قرب زمانه ، والسين للمبالغة والإشعار بأن الفاعل يسأل ذلك عن نفسه "[4].

* * * * *

[1] في المطبوع : دال .
[2] هكذا في كلا المخطوطتين . وهو تصحيف . وفي تفسير البيضاوي ، والمطبوع : (جواب) وهو الصواب .
[3] في (خ) : يفتح .
[4] تفسير البيضاوي (1/359) .

كتب في الهامش : آخر ما وجد ، بلغ مقابلة وتصحيح بحسب الطاقة والإمكان على أصل المصنف [بيد] الفقير إلى الله : عبدالله [بن] علي بن سليم . سنة (1298هـ) .

الخــاتـمـة

الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ...وأصلي وأسلم على نبينا محمد الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك..

وبعد :

فقد أنهيت بحمد الله وتوفيقه تحقيق الجزء الثاني من كتاب " منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس " للشيخ العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ ، وقد استفدت فوائد عظيمة من تحقيقي لهذا الكتاب ودراسة بعض مسائله ، وأعترف بتقصيري في جوانب عديدة ، وهكذا عمل البشر لا يخلو من الخلل .

وأشير في نهاية هذا العمل – التحقيق والدراسة – إلى أمور منها :

1- أهمية مسائل الشرك والتوحيد ، وضرورة بيانها للناس ، وتعليمهم إياها ، إذ بتحقيق التوحيد والخلوص من الشرك النجاة من النار .

2- أن كتاب " منهاج التنزيه " من أهم الكتب التي ألفت في بيان التوحيد الخالص ، والرد على القبوريين فيما وقعوا فيه من الشرك الأكبر .

3- أن أهل البدع لا يوجد لديهم دليل صحيح صريح يستدلون به على باطلهم ، وغالب أدلتهم أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، وحكايات ومنامات ، أو ليّ لمعاني النصوص والآيات .

4- أن أهل البدع يقلد بعضهم بعضا ، فالرد على المتقدمين رد على المتأخرين ، وهو من أعظم الواجبات لحراسة الدين .

5- أن سلفنا الصالح قاموا بواجبهم في حفظ الدين وتبليغه ، والذود عن حياضه ، والرد على كل مغرض ، فلا بد من السير على نهجهم ومنهاجهم ، ولا أقل من خدمة هذه الجهود للإفادة منها .

6- أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن بعده أئمة الدعوة هي دعوة سلفية خالصة ، شهد بذلك البعيد والقريب ، والعدو والصديق .

7- يرسم لنا هذا الكتاب منهجا علميا لردود أهل السنة على المبتدعة ، والتي تتميز بالوضوح وسلامة المنهج وقوة الحجة ، والالتزام بالدليل ، والعدل والإنصاف .

8- ويقابل هذا المنهج منهج أهل البدع ، والذي تميز بالكذب على المخالف ، والظلم ، والجهل ، والتقديم بين يدي الله ورسوله ، والتناقض واتباع الهوى .

9- التوحيد الذي جاءت به الرسل هو توحيد الألوهية ، وقد أخطأ من ظن أن توحيد الربوبية كاف لدخول الجنة ، والنجاة من النار .

10- التوحيد الذي يعرفه أهل الكلام ومن شايعهم من الصوفية وغيرهم، هو توحيد الربوبية ، وهو الذي كان يقر به مشركو العرب ، وهذا الغلط في فهم التوحيد هو الذي أوقع كثيرا منهم في الشرك ووسائله .

11- التكفير حق لله تعالى فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ، ونقض توحيد الألوهية من أعظم موجبات التكفير وهو الذي وقعت فيه القبورية ، إلا أنه في هذه الأزمنة المتأخرة التي فشى فيها الجهل ، وقل العلم بآثار الرسالة ، فلا يمكن تكفيرهم حتى تقام عليهم الحجة الرسالية .

وعدم تكفيرهم لا يعني أنهم يؤجرون على أعمالهم التي خالفوا فيها الصواب ، ولا ينفي عنها مسمياتها الشرعية ، من كونها شركا أو فسقا ، أو أن فاعلها توعد بالنار أو اللعن أو غير ذلك .

12- القبورية من أعظم الناس إيذاء للرسول - صلى الله عليه وسلم – بمخالفة أمره ، والوقوع بما حذر ونهى عنه من تعظيم القبور .

13- أن تعظيم القبور ، والغلو في الصالحين ، والتبرك البدعي ، والتوسل بالجاه ، من أعظم وسائل الشرك وذرائعه .

14- أن الجهل والتقليد وإلف العوائد من أعظم الأسباب التي أدت للوقوع في الشرك .

وكذا الاختلاط بالشعوب الأخرى ، وإحياء البدع ، وإماتة السنن ، من أهم أسباب حدوث الشرك وتقبل النفوس له .

15- أن الذي أفضى بأهل البدع للوقوع في الشرك هو انحرافهم في مصادر التلقي ، فأخذوا دينهم بالأقيسة العقلية ، والرؤى ، والحكايات ، وتتبعوا زلات العلماء فضلوا عن سواء السبيل .

16- أن أهل السنة والجماعة وسط في قولهم بالأسباب بين الجبرية الغلاة ، والمعتزلة النفاة .

17- انحراف الجبرية ومن سلك مسلكهم من الصوفية والقبورية في الأسباب أوقع بعضهم بالشرك ، وجعلهم يتخذون أسبابا ما أنزل الله بها من سلطان .

18- أن الأسباب لا توجب وجود المسبب بنفسها ، وحصول الأثر في بعض الأحيان لا يدل على مشروعية السبب .

19- أن الاستغاثة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – أو بغيره من الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر ، لم يعرف عن الصحابة – رضي الله عنهم - ، ولا عن أحد من أئمة المسلمين ، وإنما فعله بعض الخلوف الذين لا يرجع إليهم في مسائل الدين .

20- التعزير والتوقير الذي أمر الله بهما ، وجعلهما مـن حقوق النبي – صلى الله عليه وسلم – المقصود منهما ما يليق بالمنصب النبوي الشريف ، وليس المقصود ما يختص بمقام الربوبية ، ويدخل في تعريف العبادة ، فإن هذا شرك بالله العظيم .

21- أن شرك عباد القبور انتهى إلى توحيد الربوبية والأفعال ، يعرف ذلك من عرف القوم وما هم عليه من الكفريات الشنيعة .

22- أن الشرك أعظم الظلم ، وأقبح المناهي ، وأشدها تحريما ووعيدا في نصوص الكتاب والسنة ، وهو من إساءة الظن برب العالمين .

23- الاعتصام بالكتاب والسنة ، والرجوع إليهما في الدقيق والجليل أفضل وسيلة لحماية حمى التوحيد ، والسلامة من الوقوع في الشرك والتخلص من أدرانه وعلائقه ووسائله .

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * * * *

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
" سورة البقرة "	7 22	216 ، 431 558

	37	704
	42	58 ،133
	45	20 ، 19
	78	278
	79	562
	89	711 ، 543 ، 18
	93	493
	102	320
	116	670
	120	292
	159	48
	163	660
	165	662 ، 658 ، 536 ، 516
	166	516 ، 413 ، 297
	167	413
	170	280
	173	451
	177	375
	186	654 ، 597
	219	319
	255	458 ، 457 ، 185 ، 61
	258	667
	270	512
	286	441
	140	501
		344
" سورة آل عمران "	7	135
	31	606 ، 248
	32	606 ، 229
	45	664
	64	176
	67	474
	79	646
	80	659 ، 655 ، 653 ، 611 ، 484
	85	659
	102	522

	128	3
	135	626
	187	626
		287 ، 288
" سورة النساء "	1	3
	10	464
	48	457 ، 503 ، 596
	59	78 ، 100 ، 482
	64	20 ، 365 ، 368 ، 680
	65	229
	80	228
	85	650
	92	701
	135	52
	141	92
	142	497
	164	371
	165	201 ، 415
	171	237 ، 604
	172	647
" سورة المائدة "	2	447
	3	464
	17	670
	35	21 ، 132 ، 136 ، 632 ، 635
	38	340
	44	473 ، 569
	55	387
	56	387
	72	596
	73	670
	77	13 ، 604
	92	484
	112	205
	113	205
	116	251 ، 240
	117	686
" سورة الأنعام "	1	516

45 497 497 241 182 680	36 53 54 59 60 103	
667 ، 682 ، 635 ، 647 ، 596 ، 310 599 ، 189 ، 178 301 377 377 652 652 ، 613 613 613 703 180 659 ، 140 342	18 31 59 62 63 66 68 69 70 96 104 106 3	" سورة يونس "
613 613 614	18 19 50	" سورة هود "
659 661، 475 ، 474 70	39 106 108	" سورة يوسف "
178 587 492-493	10 15 35-36	" سورة إبراهيم "
549 ، 547	72	" سورة الحجر "
181 338 624 ، 592 456 ، 180، 3	17 20 32 36	" سورة النحل "

	51	660
	60	599
	61	599
	62	599 ، 598
	63-64	599
	88	410
	89	665
	105	585 ، 132
" سورة الإسراء "	15	
	23	415 ، 216 ، 201
	56	454
		682، 659 ، 653، 443 ، 130
	57	655 ، 653 637 ، 636، 632 ، 134
		388
	79	667
	82	
" سورة الكهف "	85 -84	
	110	297
		514
" سورة مريم "		481
	44	647
	88-95	520
	92	
" سورة طه "	115	581
	123	601 ، 418
	124	419 ،418
" سورة الأنبياء "	22	602 ، 146
	23	417
	25	456 ، 180
	26-27	646
	28	651 ، 646 ، 61
	29	646
	52	258
	79	391
	107	669
" سورة الحج "	23	279

	31 37 39-40 67	596 454 698 528
" سورة المؤمنون "	84 89 107 117	187 ، 599 ، 661 187 122 660
" سورة النور "	52 63	241 229
" سورة الفرقان "	18 44 111	520 216 ، 466 650
" سورة الشعراء "	23 97-98 210- 211 216	510 516 ، 536 520 240
" سورة النمل "	60 62 80	343 425 421
" سورة القصص "	15 50 56	20 ، 40 ، 121 ، 133 ، 594 ، 630 ، 668 289 241 ، 626
" سورة العنكبوت "	17 56 65	598 454 188
" سورة الروم "	28 59	528 ، 607 473
" سورة السجدة "	2 4	176 646
" الأحزاب "	53 56 58 69 70 -71	235 ، 236 233 585 629 3

" سبأ "	11	205
	22	678 ، 649 ، 646 ، 490 ، 443
	23	649 ، 646
	31-33	368
	40-41	611 ، 533
" سورة فاطر "	2	647
	22	672 ، 627 ، 338
" سورة يس "	22-23	665 ، 652
	60	611 ، 534 ، 533 ، 481
	61	533
	74	670 ، 483
" سورة الصافات "	12	462
	35	660
	85-87	483، 606 ، 526
	96	671 ، 631 ، 313
	180	60
" سورة ص "	5	667 ، 483 ، 180 ، 135
" سورة الزمر "	2	65
	3	666 ،664 653 ، 597 ، 489 ، 65
	14	180
	19	626
	30	343
	38	647
	43	662
	44	36
	45	170
	67	608
" سورة غافر "	16	23
	36-37	510
	47-48	413
	60	598
" سورة فصلت "	23	606 ، 526
	40	628
" سورة الشورى "	21	642 ، 335
	26	666
" سورة الزخرف "	9	178

	23	280 ، 131
	76	415
	83	663
" سورة الدخان "	16	699
" سورة الجاثية "	21	344
	23	484
" سورة الأحقاف "	5	620
	28	652 ، 597
" سورة الفتح "	6	526
	9	482 ،231
	16	606
	25	700
" سورة الحجرات "	1-2	234
	13	477
" سورة النجم "	26	647 ، 61
" سورة الرحمن "	29	598
" سورة الحديد "	12-15	497
" سورة الحشر "	7	484
	10	62
" سورة الممتحنة "	4	699 ، 660
" سورة الصف "	14	12
" سورة المنافقون "	5	680
" سورة الطلاق "	7	205
" سورة التحريم "	10	699
" سورة الملك "	8-11	415
" سورة نوح "	23	604 ، 483 ، 375 ، 269 ، 181
" سورة الجن "	18	659 ، 277
	23	659
" سورة المدثر "	48	61
" النازعات "	21	440
" سورة الفجر "	16	204
" سورة الكافرون "	1	176
" سورة الناس "	1-3	182

فهرس الأحاديث والآثار

	مسعود	
"لما اقترف آدم الخطيئة .. "	عمر بن الخطاب	31
"انظروا قبر النبي ﷺ فاجعوا فيه كوى .."	عائشة	33
"أصاب الناس قحط في زمن .. "	مالك الدار	34
"سألت ربي أن لا نجتمع .. "	-	46
"هؤلاء كانوا قوماً صالحين .. "	طائفة من السلف	375
"لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد .. "	أبو هريرة	399
" يأتي على الناس زمان .. "	حذيفة بن اليمان	405
" إذا أنا مت فاسحقوني .. "	أبو هريرة	201
" مامن مولود إلا وهو يولد على الفطرة .."	-	411
"إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة .. "	-	411
"من دعا إلى ضلالة .. "	-	413
"أربعة يحتجون يوم القيامة .. "	الأسود	416
"كنت متكئاً عند عائشة .. "	مسروق	420
"هل وجدتم ما وعد ربكم .. "	ابن عمر	421
" العبد إذا وضع في قبره .. "	أنس	421
" رأيت ربي تبارك وتعالى .. "	ابن عباس	421
" اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد .. "	ابن عباس	439
"لعن الله من ذبح لغير الله .. "	علي	442
" ياحصين كم تعبد .. "	حصين الخزاعي	443
" لبيك لا شريك لك .. "	-	443-188
" لانذر إلا فيما يبتغى به وجه الله .. "	-	445
" من حلف بغير الله فقد أشرك .. "	-	445
" لا نذر في معصية الله .. "	-	445
" أن رجلاً نذر أن ينحر .. "	-	447
" دخل الجنة رجل .. "	طارق بن شهاب	455
" لعن الله اليهود والنصارى .. "	-	446
" من حلف بغير الله فقد أشرك .. "	-	445
" أجعلتني لله نداً "	-	456-239
" لا تتخذوا قبري عيداً "	-	457

" من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ..	-	458
" القضاة ثلاثة .. "	بريدة	473
" إنك امرؤ فيك جاهلية "	أبو ذر	476
" لعن الله الراشي والمرتشي.. "	-	477
" إنما تنقض عرى الإسلام .. "	عمر بن الخطاب	490
" إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه .. "	عائشة	494
" ألا وأمركم بالإيمان بالله .. "	ابن عباس	496
" من قال لا إله إلا الله دخل الجنة "	-	496
" آية المنافق ثلاث .. "	-	498
" أربع من كن فيه .. "	-	495
" منهم من تأخذه النار .. "	-	499
" إذا اجتهد الحاكم .. "	أبوهريرة/عمرو بن العاص	501
" الشرك في هذه الأمة .. "	-	507
" اللهم إني أعوذ بك .. "	-	507
" اللهم اجعل عملي كله صالحاً .. "	-	515
" أنزل الله علي أمانين .. "	أبو موسى الأشعري	692
" اللهم بحق النبي .. "	-	704
" قال آدم عليه السلام : ألم تخلقني بيدك .. "	ابن عباس	707
" افترض عليهم صدقة .. "	-	182
" كان رسول الله ﷺ يغير .. "	أنس بن مالك	188
" أن رجلا قال يارسول الله .. "	أنس	200
" يدرس الإسلام كما يدرس ... "	حذيفة	206
" كنت رديف النبي ﷺ .. "	معاذ	224
" من مات وهو يدعو .. "	-	227
" ثلاث من كن فيه .. "	-	230
" كنت نائماً في المسجد .. "	السائب بن يزيد	235
" يارسول الله إعدل .. "	أبو سعيد الخدري	236
" يا محمد يا سيدنا .. "	أنس	238
" إن كدتم آنفا .. "	-	239
" لا تجلسوا على القبور .. "	-	257

فهرس الأعلام

20	أحمد بن محمد بن سلامة الأرزي	الطحاوي	171
21	أحمد بن محمد بن علي	ابن حجر الهيتمي	495
22	أحمد بن موسى الأصبهاني		692
23	أزهر بن سعد السمان		623
24	إسحاق بن منصور	الكوسج	710
25	إسماعيل بن أبان الوراق		623
26	إسماعيل بن أبي بكر المقريء		453
27	إسماعيل بن عمر بن كثير		544
28	إسماعيل بن محمد الأصبهاني	قوام السنة	304
29	الأسود بن سريع		416
((حرف الباء))			
30	باذام		666
31	البراء بن معرور		713
((حرف الثاء))			
32	ثابت بن أسلم البناني		364
((حرف الجيم))			
33	جرير بن عطية		586
34	جميل صدقي الزهاوي		56
((حرف الحاء))			
35	حافظ وهبة		68
36	الحسن البصري		561
37	حسن السقاف		17
38	الحسن بن أحمد العطار		692
39	الحسين بن مسعود	البغوي	573
40	الحسين بن منصور	الحلاج	400
41	حسين بن مهدي النعمي		225
42	حصين الخزاعي		443
43	الحكم بن نافع البهراني		623
44	حماد بن سلمة		399

69	سليمان بن مهران الأسدي	الأعمش	637
	((حرف الشين))		
70	شريح بن الحارث	القاضي	462
71	شعبة بن الحجاج		622
72	شقيق بن سلمة الأسدي		635
	((حرف الصاد))		
73	صلة بن زفر العبسي		206
74	صنع الله الحلبي المكي		445
	(حرف الطاء))		
75	طارق بن شهاب		455
76	الطفيل بن عمرو الدوسي		375
77	طلحة بن عمرو		635
78	طه حسين		67
	((حرف العين))		
79	عاصم بن عمر بن قتادة		545
80	عباس بن محمد العزاوي		113
81	عبد الجبار بن أحمد الهمذاني	القاضي عبد الجبار	306
82	عبد الرحمن بن أبزى		693
83	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد	السيوطي	279
84	عبد الرحمن بن أبي حاتم		689
85	عبد الرحمن بن أحمد السلامي	ابن رجب	478
86	عبد الرحمن بن إسماعيل	أبو شامة	284
87	عبد الرحمن بن حسن		25
88	عبد الرحمن بن رزين		451
89	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم		636
90	عبد الرحمن بن عبد الله	السويدي	63
91	عبد الرحمن بن علي	ابن الجوزي	280
92	عبد الرحمن بن محمد	ابن خلدون	267
93	عبد الرحمن بن ناصر السعدي		275

94	عبد الرحمن بن هرمز		622
95	عبد العزيز بن محمد بن سعود		80
96	عبد الفتاح بن محمد	أبو غدة	184
97	عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني		380
98	عبد القادر بن عمر التغلبي		436
99	عبد الله بن الحسين	العكبري	638
100	عبد الله بن سخبرة		637
101	عبد الله بن عبد الرحمن	أبو بطين	50
102	عبد الله بن عمر الشيرازي	البيضاوي	543
103	عبد الله بن كثير الداري		636
104	عبد الله بن لهيعة		591
105	عبد الله بن محمد بن علي	أبو جعفر المنصور	367
106	عبد الله بن وهب		587
107	عبد الله بن وهب بن مسلم		622
108	عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر		694
109	عبيد الله بن محمد العكبري	ابن بطة	186
110	عبيد بن إسحاق العطار		710
111	عبيد بن عمير	أبو عاصم المكي	706
112	عثمان بن عبد العزيز بن منصور		54
113	عثمان بن عبد الله	ابن بشر	115
114	عطاء بن أبي رباح		622
115	عطية بن سعد العوفي		545
116	عكرمة مولى ابن عباس		622
117	علي بن أبي العز الحنفي		472
118	علي بن أبي طلحة		691
119	علي بن أحمد بن سعيد	ابن حزم	204
120	علي بن إدريس		380
121	علي بن إسماعيل	أبو الحسن	468

		الأشعري	
122	علي بن سليمان المرداوي		448
123 124	علي بن عبد الكافي السبكي		365
125	علي بن عقيل	أبو الوفاء بن عقيل	49
126	علي بن محمد البعلي الحنبلي	ابن اللحام	219
127	علي بن يعقوب البكري		372
128	علي محمد السمهودي		589
129	عمر بن هبة الله	ابن العديم	427
130	عمرو بن الحارث		622
131	عياض بن موسى اليحصبي	القاضي عياض	540
((حرف الغين))			
132	غزوان الغفاري		691
((حرف الفاء))			
133	الفضل بن العباس	فضلك الرازي	710
134	فضيل بن حسن أبو كامل	الجحدري	398
((حرف القاف))			
135	قتادة بن دعامة السدوسي		636
((حرف اللام))			
136	الليث بن سعد		622
((حرف الميم))			
137	مبارك الميلي		18
138	مجاهد بن جبر		635
139	محمد الأمين بن محمد المختار	الشنقيطي	28
140	محمد البهي		69
141	محمد بشير	السهسواني	55
142	محمد بن إبراهيم	ابن مرتضى	203
143	محمد بن أبي بكر	ابن الأخنائي	687

144	محمد بن أبي محمد		712
145	محمد بن أحمد السفاريني		172
146	محمد بن أحمد السمرقندي		309
147	محمد بن أحمد الطبقجلي		114
148	محمد بن أحمد بن أبي بكر	القرطبي	174
149	محمد بن أحمد بن عبد الهادي		365
150	محمد بن أحمد بن قدامة	أبو عمر	385
151	محمد بن إسماعيل الصنعاني		4
152	محمد بن النعمان العكبري		384
153	محمد بن حبان البستي		516
154	محمد بن حميد بن حيان		708
155	محمد بن رشيد رضا		59
156	محمد بن سعيد الصنهاجي	البوصيري	381
157	محمد بن صالح بن عثيمين		211
158	محمد بن عبد اللطيف		65
159	محمد بن عبد الله الأزرقي		697
160	محمد بن عبد الله بن حمدويه	الحاكم	445
161	محمد بن عبيد الله بن عمرو بن عتبة	العتبي	367
162	محمد بن علوي المالكي		14
163	محمد بن علي الشوكاني		454
164	محمد بن علي بن عربي	ابن عربي	486
165	محمد بن عمر الطبرستاني	الرازي	460
166	محمد بن عيسى بن سورة	الترمذي	692
167	محمد بن قيس		690
168	محمد بن كرد		67
169	محمد بن كعب القرظي		706
170	محمد بن محمود الجزائري		88
171	محمد بن مفلح	التلمساني	448
172	محمد بن موسى		383

173	محمد بن ناصر الحازمي		119
174	محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي		113
175	محمود بن محمد الزركلي		68
176	محمود شكري بن عبد الله الألوسي		55
177	مرعي بن يوسف الحنبلي		436
178	مسدد بن مسرهد		584
179	مسعود الندوي		71
180	مسعود بن عمر	التفتازاني	544
181	معروف بن فيروز الكرخي		432
182	منصور بن يونس البهوتي		436
183	موسى بن أحمد الحجاوي		436
((حرف النون))			
184	نفيع بن رافع		364
((حرف الهاء))			
185	هاري سانت فيلبي		88
((حرف الواو))			
186	وثيمة بن موسى		375
((حرف الياء))			
187	يحيى بن شرف بن حسن	النووي	559
188	يحيى بن يوسف	الصرصري	380
189	يزيد بن الأسود الجرشي		554
190	يزيد بن رومان		690
191	يعقوب بن شية السدوسي		710
192	يوسف الدجوي		16
193	يوسف بن إسماعيل النبهاني		15
194	يوسف بن حسن ين عبد الهادي	ابن المبرد	550
195	يوسف بن محمد بن علي	السكاكي	674
196	يوسف ين عبد الله بن عبد البر		202

فهرس الفرق والطوائف

	المتكلمة = أهل الكلام .... المتفلسفة .... عبـــــــــــدة الشـــــــــــمس .... عبـــــــــــاد النـــــــــــار .... البربر .... الـديلم .... متكلمة الصـــــــــــــــفائية .... القبط .... اليونان	

فهرس الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية

فهرس الشواهد الشعرية

التسلسل	الشطر الأول	القافية	القائل	رقم الصفحة
1	أعادوا بها معنى سواع	ودي	الصنعاني	4
2	وقد هتفوا عند الشدائد	الصمد	الصنعاني	4
3	والمستجير بعمر بعد كربته	بالنار	-	91
4	عبد اللطيف جزاه الله خالقنا	ممنون	عبد القادر البغدادي	120-362
5	حمى طريق رسول الله كمن به	مأمون		

6	ظن ابن جرجيس من جهل ومن سفه	تمكين		
7	أن ابن جرجيس برذون ذوا أسد	البراذين		
8	أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم	سدوا		195
9	فعاديتموه من سفاهة رأيكم	هدوا		
10	لله حق لا يكون لعبده	حقان	ابن القيم	222
11	لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً	فرقان	ابن القيم	
12	ولذ به في كل ما ترتجي	المعقل	البكري	245
13	دع ما ادعته النصارى في نبيهم	احتكم	البوصيري	245
14	كذا قول شيء لله قيل بكفره			345
15	فكان كعنز السوء	كثيرها	الفرزدق	487
16	رضيعي لبان ثدي أم تقاسما	يتفرق	أعشى بني ثعلبة	531-609
17	دلائل تعتلي كالشهب أرسلها	للشياطين	عبد القادر البغدادي	362
18	يا خير من دفنت في القاع أعظمه	الأكم	العتبي	366
19	روحي الفداء لقبر أنت ساكنه	الكرم	العتبي	366
20	لأنت إلى الرحمن أقوى وسيلة	تفضل	البوصيري	381
21	وتسأل رب العالمين يمينة	مبدل	البوصيري	381
22	يا أكرم الخلق مالي	العمم	البوصيري	381

	من ألوذ به			
23	يا خائفين من التتر	أبي عمر		385
24	عوذوا .... عمر	الضرر		385
25	فللكنامة أقوام لها خلقوا	أجفان		451
26	لا يعرف الشوق إلا من يكابده	يعانيها	الأبلة	475
27	وكم من عاتب قولا صحيحا	السقيم	المتنبي	565
28	إذا لم تفقه ولم تدر ما الهوى	سواء		578
29	ما أنت بالحكم لترضى حكومته	جدل	الفرزدق	586
30	جهد المغفل في الزمان مضيع	زمانه		586
31	كالثورية الدولاب يسعى وهولا	مكانه		586
32	ولكن البلاد إذا اقشعرت	الهيثم	أبو علي البصير	587
33	يوماً بجزذى ويوماً بالعقيق	الخليصاء		617
34	فدع عنك الكتابة لست منها	المداد		623
35	وليس يصح في الأذهان شيء	دليل		178
36	وباللات والعزى ومن دان دينها	أكبر	أوس بن حجر	190
37	إي ورب العزى السعيدة	سرف	درهم بن زيد	190
38	ألا كل شي ما خلا الله باطل	زائل	لبيد	190

39	لاهم إن العبد يمنع رحله	محالك	عبد الملطلب	190
40	فعاديتموه من سفاهة رأيكم	هدوا		195
41	فإن من جودك الدنيا	القلم	البوصيري	244
42	ونخدر في بعض الأحايين المد	الخدر	أبو العتاهية	337
43	على أن رجلي لا يزال اندلالها	فكري		337

فهرس الأماكن والبلدان

	بوانه .... بخارى .... حـزوى ....ـ العقيق ....ـ العذيب .... الخليصاء .... تستر ....ـ		

****

فهرس المصادر والمراجع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر	الطبعة وتاريخها
1	.... الجنان	اليافعي		
2	.... والرد	للملطي		

3	الإبانة عن أصول الديانة	أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط	مكتبة دار البيان – دمشق	الأولى / 1401هـ
3	الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة	أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري تحقيق ودراسة : رضا بن نعسان معطي	دار الراية للنشر والتوزيع	الأولى / 1409هـ
4	الإبداع في مضار الابتداع			
5	إتحاف الأذكياء	الغماري		
6	إتحاف ذوي البصائر في شرح روضة الناظر			
7	إجازة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ	الشيخ عيسى النجدي ، الشيخ راشد بن عيسى المالكي البحريني اعتنى بها : محمد بن ناصر العجمي	دار البشائر الإسلامية	الأولى / 1422هـ-2001م
8	اجتماع الجيوش الإسلامية	ابن القيم		
9	الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية ، ويليه الأجوبة الدافعة في الرد على عقائد الشيعة الزائغة	زين العابدين العلوي الحسيني		
10	أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحة (دراسة وترجيح)	سليمان بن محمد الدبيخي	مكتبة دار البيان الحديثة	الأولى 1422هـ
11	الأحاديث المختارة	ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش	مكتبة النهضة – مكة المكرمة	الأولى / 1410هـ
12	الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان	ابن بلبان الفارسي تحقيق : شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة	الأولى / 1408هـ
13	أحكام القرآن	أبو بكر محمد بن علي الرازي الجصاص الحنيفي	دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان	طبعة مصورة عن الطبعة الأولى / 1406هـ
14	أحكام القرآن	أبو بكر محمد بن عبد الله العربي تحقيق : محمد علي البجاوي	درا الفكر	بدون

15	الأحكام في أصول الأحكام	سيف الدين الآمدي	بدون	بدون
16	الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة	الإمام محمد بن عبد الله بن سالم بن قتيبة الكاتب	دار الكتب العلمية	الأولى / 1405هـ
16	الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية	اختارها الشيخ : علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد البعلي تحقيق : محمد حامد الفقي	دار المعرفة – بيروت – لبنان	بدون
17	الإخنائية الرد على الإخنائي	شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس اين تيمية تحقيق : احمد بن مونس العنزي	دار الخراز	الأولى / 1420هـ-2000
17	الآداب الشرعية المنح المرعية	ابن مفلح المقدسي الحنبلي	مؤسسة قرطبة – القاهرة	بدون
18	الأدب المفرد	محمد بن إسماعيل البخاري مع تعليق : فضل الله الجيلاني	دار المطبعة السلفية – القاهرة	1407هـ
19	الأذكار	أبو زكريا يحيى بن شرف النووي تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط	دار الهدى – الرياض	الثانية / 1409هـ
20	إرشاد العباد في الصلوات والأوراد	المأثور عن الإمام الحجة شيخ الإسلام العارف بالله أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس العلوي الحسيني جمع : ولده وخليفته المنصب السيد علي بن أحمد بن حسن العطاس		الأولى / 1379هـ-1959م
21	إرشاد الفحول			
22	الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد	الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان	الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد	الأولى / 1410هـ
23	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	الثانية / 1405هـ

24	الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار لما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار	ابن عبد البر تحقيق : د. عبد المعطي أمين قلعجي	دار قتيبة – دمشق – بيروت دار الوعي – حلب – القاهرة	الأولى / 1414هـ
25	الاستغاثة في الرد على البكري	سيخ الإسلام بن تيمية تحقيق : عبد الله بن دجين السهلي	دار الوطن	الأولى / 1417هـ-1997م
26	الاستقامة	ابن تيمية		
27	الاستيعاب في معرفة الأصحاب	أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض الشيخ عادل أحمد عبد الموجود قدم له وقرظه : أ. د. محمد عبد المنعم اليدي جامعة الأزهر د. جمعة طاهر النجار جامعة الأزهر	درا الكتب العلمية	الأولى
28	أسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الأثير علي بن نحمد الجزري تحقيق : علي محمد معوض وآخرون	دار الكتب العلمية – بيروت	بدون
29	الإصابة في تمييز الصحابة	شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر	دار الكتب العلمية	بدون
30	الأصنام	الكلبي		
31	أصول الفقه وابن تيمية	د. صالح بن عبد العزيز آل منصور		الثانية / 1405هـ-1985م
32	أصول الفقه وابن تيمية	د. صالح بن عبد العزيز المنصور		
33	الأصول المشتركة			
34	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين بن محمد المختار الجكني	عالم الكتب	

		الشنقيطي . التتمة من عمل تليذه : عطية محمد سالم	44 7 9 8	
35	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي	عالم الكتب – بيروت	بدون
36	إظهار الحق	رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي تحقيق : محمد أحمد ملكاوي	الرئاسة العامة للإفتاء	الأولى / 1410هـ
37	إعانة الطالبين			
38	الاعتصام	العلامة المحقق الأصولي النظار الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي الغرناطي . وبه تعريف : العلامة المدقق السيد / محمد رشيد رضا .		
39	الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد	البيهقي		
40	الأعلام	خير الدين الزركلي – افتخار- دنينير	درا العلم للملايين – بيروت – لبنان	السابعة
41	أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث	أحمد تيمور		
42	إعلام الموقعين عن رب العالمين	ابن قيم الجوزية تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد	المكتبة العصرية – صيدا – بيروت	1407هـ
43	الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام	محمد بن عبد الله الرشيد	دار ابن حزم	الأولى / 1422هـ-2001م
44	إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان	الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية تحقيق وتصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي	درا المعرفة	بدون
45	الإغاثة بأدلة الاستغاثة	حسن بن علي السقاف	مكتبة الإمام النووي –	الأولى / 1410هـ

			عمان	
46	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم	شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق وتعليق : د. ناصر عبد الكريم العقل	توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد	السابعة
47	الإقناع			
48	إكمال المعلم بفوائد مسلم	الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الحصيني تحقيق : د. يحيى إسماعيل	دار الوفاء	الأولى
49	الأم	محمد بن إدريس الشافعي تحقيق : محمود مطرجي	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1413هـ
50	الأمر بالاتباع	السيوطي		
51	الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة	علي بن بخيت الزهراني تقديم : الشيخ محمد قطب	دار الرسالة – مكة	بدون
52	الأنساب	الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد أبو منصور البباني السمعاني تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي	درا الفكر	الأولى
53	الأنساب	الإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني وضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا	در الكتب العلمية	الأولى
54	الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمروزي			
55	أهل السنة والجماع أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم	عمر سليمان الأشقر	دارالنفائس للنشر والتوزيع	الأولى / 1413هـ-1993م
56	إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب	أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني	مكتبة ابن تيمية –	

	الحق من أصول التوحيد	المعروف بابن الوزير	القاهرة – مكتبة العلم بجدة	
57	إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي كتب الفنون	إسماعيل باشا بن محمد الباباني البغدادي	وكالة المعارف	1366هـ
58	الإيضاح في المناسك	النووي		
59	إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان	محمد بن ناصر الحازمي . تعليق : علي بن محمد أبو زيد الحازمي.	دار الشريف للنشر والتوزيع	الأولى
60	الإيمان	محمد بن إسحاق من مندة تحقيق د. علي بن محمد الفقيهي	مؤسسة الرسالة – بيروت	الثانية / 1406هـ
61	الإيمان لابن تيمية	تحقيق : ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	1406هـ
62	الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث	ابن كثير تحقيق : علي حسن عبد الحميد	دار العاصمة – الرياض	الأولى / 1415هـ
63	باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات	محمد خليل هراس	مكتبة الصحابة – طنطا	الثانية / 1405هـ
64	بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم	يوسف بن الحسن بن عبد الهادي تحقيق : وصي الله بن محمد بن عباس	دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض	الأولى / 1409هـ
65	البحر الزخار المعروف بمسند البزار	أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار تحقيق : محفوظ الرحمن زين الدين	مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة	الأولى / 1409هـ-1988م
66	البحر المحيط في أصول الفقه	در الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي تحرير : عمر سليمان الأشقر وأخرون		
67	بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	إدارة الثقافة ولانش بجامعة الإمام	الثانية / 1411هـ-1991م

			محمد بن سعود الإسلامية	
68	بدائع الفوائد	الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية	دار الكتاب العربي	
69	البداية والنهاية	الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر		الأولى
70	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع	القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني	دار الكتب الإسلامية – القاهرة	بدون
71	البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية	الشيخ / عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن . تحقيق وتعليق : أ. محمد العارف بن عثمان الهوري الأرومي	مكتبة الهداية – الرياض	الأولى / 1410هـ
72	البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان	أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي تحقيق : د. بسام علي العموش	مكتبة المنار – الأردن	الأولى / 1408هـ
73	البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية	عبد الله بن علي النجدي القصيمي	رياض الجنة	الثانية / 1989م
74	البصائر	الداجوي		
75	بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي تحقيق : محمد علي النجار	درا الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة المكتبة العلمية – بيروت – لبنان	بدون
76	البغداديون أخبارهم	إبراهيم عبد الغني	بغداد	الثانية /

	ومجالسهم	الدروبي راجعه : أسامة ناصر النقشبندي		2001م
77	بغية الطلب في تاريخ حلب			
78	بغية المرتاد	ابن تيمية		
79	البناء على القبور	عبد الرحمن بن يحي المعلمي تحقيق : حاكم بن عبيسان المطيري	درا أطلس للنشر	الثانية / 1422هـ-2001م
80	بيان المحجة في الرد على صاحب اللجة	عبد الرحمن حسن		
81	تاج التراجم	ابن قطلوبغا		
82	تاج العروس من جواهر القاموس	الزبيدي الحنفي	دار الفكر	بدون
83	تاريخ أصبهان	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني تحقيق : سيد كسرويحسن	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1401هـ
84	تاريخ الإسلام	محمود شاكر	المكتب الإسلامي – بيروت	الثالثة / 1405هـ
85	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام	محمد بن أحمد الذهبي تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري	دار الكتاب العربي	الأولى / 1407هـ
86	تاريخ الأمم والملوك	ابو جعفر محمد بن جرير الطبري	دار الكتب العلمية	الثالثة / 1411هـ
87	تاريخ الجبرتي			
88	تاريخ العراق بين احتلالين			
89	التاريخ الكبير	أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم البخاري	مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت	بدون
90	تاريخ المملكة العربية السعودية			
91	تاريخ بغداد مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ	الحافظ أبي بكر أحمد ين علي الخطيب البغدادي	دار الباز للنشر والتوزيع – مكة دار العلمية – بيروت	بدون
92	تاريخ مدينة دمشق	أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله	دار الفكر – بيروت	الأولى / 1417هـ

		الشافعي (ابن عساكر) تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرمة الغرماوي		
93	تأسيس التقديس			
94	تأملات في حقيقة أولياء الله الصالحين	حسين أحمد أمين (مجلة العربي)		
95	تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي	وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد	بدون
96	التبرك أنواعه وأحكامه	ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع	مكتبة الرشد	1411هـ
97	تتمة النعت الأكمل			
98	التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور	الدار التونسية للنشر	بدون
99	تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال			
100	تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي	أبو العلى محمد بن عبد الرحمن المباركفوري مراجعة : عبد الرحمن محمد عثمان	المكتبة السلفية – المدينة المنورة	
101	التحفة العراقية			
102	التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة			
103	التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية			
104	تدريب الراوي في شرح تقريب النووي	جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق : نظر محمد الفاريابي	مكتبة الكوثر – الرياض	الثانية / 1415هـ
105	التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع	شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق : محمد بن عودة السعوي	العبيكان	الثالثة / 1416هـ-1995م
106	تذكرة الحفاظ	أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي	دار إحياء التراث	بدون

			العربي	
107	تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان	الشيخ إبراهيم بن عبيد الله عبد المحسن	مؤسسة النور	الأولى
108	التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة			
109	التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داوود بن جرجيس	العالم الرباني والمجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان رحمهم الله تقديم ومراجعة : الشيخ إسماعيل بن سعد عتيق	دار الهداية للطبع والنشر والترجمة	بدون
110	الترغيب والترهيب	عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ضبط أحاديثه وعلق عليه : مصطفى محمد	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1406هـ
111	تطهير الاعتقاد	الصنعاني		
112	التعريفات	علي بن محمد الشريف الجرجاني	مكتبة لبنان	الأولى / 1985م
113	تعظيم قدر الصلاة	محمد بن نصر المروزي تحقيق : د. عبد الرحمن الفريوائي	مكتبة الدار – المدينة	الأولى / 1406هـ
114	تفسير ابن أبي حاتم			
115	تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن)	عبد الرحمن بن ناصر السعدي تقديم : محمد زهري النجار	دار المدني – جدة	1408هـ
116	تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)	أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1412هـ
117	تفسير ابن كثير	الإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي كتب هوامشه وضبطه : حسين بن إبراهيم زهران	دار الكتب العلمية	الأولى
118	تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)	أبو السعود محمد بن محمد العمادي	دار إحياء التراث العربي –	

			بيروت	
119	تفسير الألوسي (روح المعاني)	نعمان خير الدين الألوسي	دار إحياء التراث العربي	الرابعة / 1405هـ
120	تفسير البغوي	الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي حققه وخرج أحاديثه : محمد بن عبد الله النمر- عثمان جمعه خبميرية – سليمان مسلم الحرش	دار طيبة	الأولى
121	تفسير الرازي	الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرمي	دار الفكر	بدون
122	تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ومعه حاشية علي بن محمد الجرجاني وكتاب (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال)	أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ابن المنير الاسكندري	مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر	الأخيرة / 1392هـ
123	تفسير الشوكاني	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	محفوظ العلي	بدون
124	تفسير الطبري	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري	دار الفكر	بدون
125	تفسير القرطبي	أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	دار الكتب العلمية بيروت – لبنان	الأولى 1408هـ
126	التفسير الكبير لابن تيمية	تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة	دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان	الأولى / 1408هـ
127	تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)	محمد رشيد رضا	دار الفكر – دا ر المعرفة	الثانية
128	تفسير النسفي	الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي	دار إحياء الكتب العربية	بدون

129	تفصيل المسألة في مجموع الفتاوى			
130	تقريب التهذيب	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق : أبو الأشبال صغير أحمد الباكستاني	دار العاصمة	الأولى / 1416هـ
131	تلبيس إبليس			
132	تلخيص الاستغاثة			
133	التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير	أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	دار المعرفة – بيروت	بدون
134	التمهيد	الباقلاني		
135	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	أبو عمر يوسف ابن عبد البر	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في المغرب	بدون
136	تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ، يليها تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين	الشيخ سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي	دار العاصمة – الرياض	الأولى في مصر 1343هـ الثانية / 1410هـ
137	تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق			
138	تهذيب التهذيب	شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	دار الفكر	الأولى / 1404هـ
139	تهذيب السنن على مختصر سنن أبي داود للمنذري	ابن قيم الجوزية تحقيق : أحمد شاكر ، محمد حامد الفقي	دار المعرفة - بيروت	بدون
140	تهذيب الكمال في أسماء الرجال	جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي	دار المأمون للتراث - بيروت	بدون
141	تهذيب اللغة	أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق : عبد السلام هارون ، مراجعة : محمد	الدار المصرية للتأليف والترجمة	بدون

		علي النجار		
142	التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل	أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة دراسة وتحقيق : د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان	دار الرشد – الرياض	الأولى / 1408هـ
143	التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد	محمد بن إسحاق بن مندة تحقيق : د. علي بن محمد فقيهي	مطابع الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة	بدون
144	التوسل	ابن مرزوق		
145	التوسل أنواعه وأحكامه	محمد عيد العباسي بحوث كتبها وألقاها محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي – بيروت	الخامسة / 1406هـ-1986م
146	التوسل حكمه وأقسامه يليه : أحاديث وآثار وقصص ضعيفة وموضوعه في التوسل	للشيخ محمد بن صالح العثيمين و محمد بن ناصر الدين الألباني جمع وإعداد : إيوانس علي بن حسين أبو نور	دار ابن خزيمة	الأولى / 1418هـ
147	التوسل والزيارة	محمد الفقي		
148	التوسل والوسيلة			
149	توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم	أحمد بن إبراهيم بن عيسى	المكتب الإسلامي – دمشق	الثالثة / 1406هـ
150	التوضيح عن توحيد الخلاف في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	دار طيبة	الأولى / 1404هـ-1984م
151	توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية ومعه الأسئلة والأجوبة المرضية على الرسالة التدمرية	محمد بن عبد الرحمن الخميس	دار إيلاف الدولية	الأولى / 1420هـ-1999م
152	التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي	محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق : محمد رضوان	دار الفكر المعاصر – بيروت –	الأولى / 1410هـ-1990م

		الداية	دمشق	
153	التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب	د. عبد الله بن عمر الدميجي	دار الوطن	الأولى / 1417هـ
154	تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد	الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بإشراف : محمد زهير الشاويش	المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان	السادسة / 1405هـ-1985م
155	الثقات	محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستي	دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد – الهند	الأولى / 1402هـ
156	جامع الرسائل	لابن تيمية تحقيق : محمد رشاد سالم	مكتبة ابن تيمية – مطابع المدني	الثانية / 1405هـ
157	الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي	أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق : أحمد شاكر	دار الكتب العلمية – بيروت	بدون
158	جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم	زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي	منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض – مطبعة الكيلاني	بدون
159	جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله	أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي	دار الكتب العلمية	بدون
160	الجامع في ألفاظ الكفر ويشمل أربعة كتب هي : 1- ألفاظ الكفر 2- الإعلام بقواطع الإسلام 3- رسالة في ألفاظ الكفر 4- رسالة في ألفاظ الكفر	بدر الرشيد الحنفي أحمد بن حجر الهيتي قاسم بن صلاح الدين الخاني تاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الخميس	دار إيلاف الدولية	الأولى / 1420هـ-1999م
161	الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع	أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي تحقيق : صلاح بن محمد	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1417هـ

		عويضة		
162	الجامع لشعب الإيمان	أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق : مجموعة من العلماء	الدار السلفية – بومباي – الهند	الأولى / 1406هـ
163	الجرح والتعديل	أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي	دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد – الهند	الأولى
164	جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام	ابن قيم الجوزية	دار الكتب العلمية	الأولى / 1405هـ
165	جلاء العينين في محاكمة الأحمدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أحمد بن حجر الهيثمي	السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الألوسي البغدادي قدم له : علي السيد صبح المديني	مطبعة المديني	1401هـ-1981م
166	الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه	عبد الرزاق بن طاهر بن أحمد معاش رسالة ماجستير بإشراف : عبد الرحمن البراك	دار الوطن	الأولى / 1417هـ-1996م
167	الجهل وأحكامه			
168	جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية	شمس الدين السلفي الأفغاني	دار الصميعي	الأولى / 1416هـ
169	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	شيخ الإسلام أبو العبا س تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق : د. علي بن حسن بن ناصر د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر د. حمدان بن محمد الحمدان	دار العاصمة	الأولى / 1414هـ
170	الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي	الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق : أبي حذيفة عبيد الله بن عالية	دار الكتاب العربي	الأولى
171	الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد	أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الحميد	مطبعة المدني	بدون
17	حادي الأرواح إلى بلاد	تحقيق : السيد صبحي	مطبعة	

2	الأفراح	المدني	المدني	
173	حاشية ابن عابدين			
174	حاشية السحب الوابلة			
175	حاشية ثلاثة الأصول / شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب	عبد الرحمن بن محد بن قاسم الحنبلي		الخامسة 1407هـ
176	حاشية كتاب التوحيد	عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي		الثانية / 1408هـ
177	الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي			
178	الحاوي للفتاوى	السيوطي		
179	الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة	أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني تحقيق : محمد ربيع المدخلي ، ومحمد بن محمود أبو رحيم	دار الراية	الأولى / 1411هـ
180	الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية	ابن سعدي ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ج/3 العقيدة الإسلامية	مركز صالح بن صالح – عنيزة	1411هـ
181	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني	دار الكتب العلمية	الأولى / 1409هـ
182	حلية البشر			
183	حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته	عبد الله بن سليمان بن منيع		الخامسة / 1405هـ-1984م
184	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته	سليمان بن عبد الرحمن الحقيل تقديم : معالي الشيخ صالح عبد العزيز محمد آل الشيخ		الثانية / 1421هـ-2001م
185	خلاصة الكلام			
186	خلق أفعال العباد	محمد بن إسماعيل البخاري	مؤسسة الرسالة	الأولى 1404هـ
18	دائرة المعارف	بطرس البستاني	دارالمعرفة	بدون

7			– بيروت	
188	دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدي	دار المعرفة – بيروت	الثالثة / 1971م
189	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	عبد الرحمن جلال الدين السيوطي	دار الفكر	الأولى / 1403هـ
190	الدر النضيد على أبواب التوحيد	سليمان بن عبد الرحمن الحمدان	المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة	الثانية / 1407هـ-1987م
191	درء تعارض العقل والنقل	ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم تحقيق : محمد رشاد سالم	مكتبة ابن تيمية	بدون
192	الدرر السنية في الأجوبة النجدية	عبد الرحمن بن قاسم النجدي	دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية – مطابع شركة المدينة	الثانية 1385هـ ج(7) الأولى 1388هـ
193	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	شهاب الدين أحمد بن عيسى بن محمد الشهير بابن حدر العسقلاني	دار الجيل	بدون
194	الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية	أبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي	مكتبة الرشد – الرياض	الأولى / 1417هـ
195	دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض	إعداد : عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف	دار الوطن	الأولى / 1412هـ
196	الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده	عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع قرأه وتفضل بالتقديم له : فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان	دار التدمرية	الثانية / 1423هـ-2002م
197	دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية	أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين تقديم : الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ	دار عالم الكتب	الطبعة الأولى / 1420هـ-1999م

198	دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومنتقديها	أبو المكرم بن عبد الجليل السلفي راجعه وقدم له : الشيخ صفي الرحمن المباركفوري	مكتبة دار السلام	الأولى / 1413هـ
199	دعوة التوحيد أصولها .. الأدوار التي مرت بها .. مشاهير دعاتها	محمد خليل هراس	مكتبة ابن تيمية	الأولى 1407هـ-1987م
200	دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة	إعداد : محمد بن علي السكاكر	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	
201	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة	أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي	دار الكتب العلمية – بيروت دار الريان للتراث – القاهرة	الأولى / 1408هـ
202	دمعة على التوحيد ، حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة	المنتدى		الأولى / 1420هـ-1999م
203	الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية دور الأحساء والعراق في استراتيجية الدولتين .	د. محمد بن سليمان بن عبد العزيز الخضيري	فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر	
204	الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب	ابن فرحون المالكي تحقيق : د. محمد الأحمدي أبو النور	دار التراث – القاهرة	
205	الدين الخالص	السيد / محمد صديق حسن	مكتبة دار التراث	
206	الذخائر المحمدية			
207	ذكر أخبار أصبهان	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني تحقيق : محمد شكوربن محمود المياديني	مكتبة المنار – الأردن	الأولى / 1406هـ-1986م
208	الذيل على طبقات الحنابلة			
209	ذيل مرآة الزمان			

210	راتب العطاس المسمى عزيز المنال وفتح باب الوصال	الإمام العارف بالله عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن سالم العطاس	دار إحياء الكتب العربية	بدون
211	رحلة ابن بطوطة			
212	رحلة ابن جبير			
212	الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي	حمود بن عبد الله بن حمود التويجري	دار اللواء	الأولى / 1403هـ-1983م
213	الرد المحكم	الغماري الرفاعي		
213	الرد على الألوسي	ابن جرجيس		
214	الرد على الجهمية			
214	الرد على المخالف من أصول الإسلام	بكر بن عبد الله أبو زيد	دار الهجرة	الثانية / 1411هـ
215	الرد على المنطقيين	ابن تيمية		
215	الرد على شبهات المستغيثين بغير الله	الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي النجدي صححها : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم		1409هـ-1989م
216	الرد على عبد الحميد طهماز في دعوته إلى طلب الشفاعة والتوسل بالرسول ﷺ بعد موته	سليمان بن صالح الخراشي	درا القاسم	الأولى / 1420هـ
216	الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية	الإمام محمد بن علي الشوكاني	دار الكتاب العربي	الأولى / 1411هـ
217	الرسالة	الشافعي		
217	الرسالة			
218	الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة المشتملة على ما لا بد منه من : العقائد والعبادات والآداب	أحمد بن زين الحبشي جمعها : الإمام الغزالي في فقه الشافعي	عالم المعرفة	الحادية عشرة 1407هـ-1987م
21	رسالة الشرك الأكبر	أسماء السلمان		1415هـ

8	حقيقته وحكمه وأنواعه	إشراف : الشيخ /عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين		
219	رسالة الشرك ومظاهره			
219	رسالة حقوق النبي على أمته	محمد التميمي		
220	رشيد رضا وعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	محمد بن عبد لله السلمان	مكتبة المعلا – الكويت	الأولى / 1409هـ-1988م
220	روضة الأفكارابن غنام			
221	روضة الناظرين			
222	الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية	زيد بن عبد العزيز الفياض		1378هـ
223	الرياض النضرة في مناقب العشرة			
224	زاد المسير في علم التفسير	الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي	المكتب الإسلامي	الثالثة
225	زاد المعاد في هدي خير العباد	ابن القيم تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة – بيروت – مكتبة المنارالإسلامية – الكويت	الرابعة عشرة / 1407هـ
226	زغل العلم	الشيخ بكر أبو زيد		
227	الزهد	عبد الله بن المبارك تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي	دار الكتب العلمية – بيروت	بدون
228	الزواجر عن اقتراف الكبائر ويليه الإعلام بقواطع الإسلام	ابن حجر الهيثمي	دار الفكر	1403هـ
229	السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد	أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي تحقيق : محمد بن مطر الزهراني	دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض	الأولى / 1402هـ
230	السبب عند الأصوليين	عبد العزيز الربيعة		1399هـ

231	السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد	محمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكي حققه وقدم له وعلق عليه : بكر بن عبد الله أبو زيد في مدينة النبي د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين في مكة	79 84 44 7 9 8	الأولى
232	السراج الوهاج لمحو أباطيل الشلبي عن الإسراء والمعراج	حمود بن عبد الله بن حمود التويجري	مكتبة المعارف	طبعة جديدة 1406هـ
233	سعادة الدارين في الرد على الفرقتين	السمنودي		
234	سعة رحمة رب العالمين	سيد بن سعد الدين الغباشي		
235	السعوديون والحل الإسلامي	محمد كشك		
236	سلسلة الأحاديث الصحيحة	محمد ناصرالدين الألباني	مكتبة المعارف	الثانية / 1407هـ
237	سلسلة الأحاديث الضعيفة	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف – الرياض	الأولى/ 1408هـ
238	سلسلة النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك	الشيخ حمد بن علي بن عتيق مراجعة : إسماعيل سعد بن عتيق	دار الإفتاء	السادسة 1408هـ
239	السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	د. علي بن عبد الحليم محمود	مكتبات عكاظ	الأولى / 1401هـ-1981م
240	سمة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين وبيان عموم العذر في الدارين لأصول وفروع الدين مع ذكر الدلة واتفاق جمهور الأئمة من الأولين والمتأخرين والرد على شبهات الخالف المخالف مع بيان جهله وتلبسه	سيد بن عز الدين الفياشي أقره وأذن بطبعه : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة	دار المسلم	الأولى / 1415هـ-1995م
241	السنة	أبو بكر أحمد بن محمد الخلال	دار الراية	الأولى / 1410هـ

		تحقيق : عطية الزهراني		
242	السنة	عبد الله بن أحمد بن حنبل تحقيق : محمد بن سعيد القحطاني	دار ابن القيم – الدمام	الأولى / 1406هـ
243	السنة	محمد بن نصر المروزي تحقيق : سالم أحمد السلفي	دار الكتب الثقافية – بيروت	1408هـ
244	السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة	أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك	المكتب الإسلامي – بيروت	الأولى / 1400هـ
245	سنن ابن ماجة	أبو عبد الله محمد بن يزن القزويني تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي	دار الحديث	بدون
246	سنن أبي داود	مراجعة : محي الدين عبد الحميد	المكتبة الإسلامية – استانبول	
247	سنن الترمذي	تحقيق : أحمد شاكر	دار الكتب العلمية	الثانية
248	سنن الدار قطني المطبوع مع التعليق المغني لشمس الحق العظيم آبادي	أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني	دار المعرفة	بدون
249	سنن الدارمي	تحقيق : عبد الله هاشم يماني	حديث أكاديمي – فيصل أباد – باكستان	1404هـ
250	السنن الكبرى وفي ذيله :الجوهر النقي	الحافظ أبي بكر البيهقي	دار المعرفة - بيروت	بدون
251	سنن النسائي الكبرى	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق :عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن	مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة	الأولى / 1414هـ
252	سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي	اعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة	مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب دار البشائر الإسلامية	الثانية 1406
25	السنن والمبتدعات			

3			79 84 44 7 9 8	
254	سير أعلام النبلاء	الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة	السادسة
255	السيرة النبوية	ابن هشام حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها : مصطفى السقا – إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي	درا الكتب العلمية	بدون
256	سيف الله على من كذب على أولياء الله	صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي تقديم : الشيخ صالح الفوزان تحقيق : علي رضا	دار الوطن للنشر	الأولى / 1420هـ-1999م
257	السيف المسلول على عابد الرسول	رد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي على محمد الرشيدي الجزائري		
258	شأن الدعاء	أبو سليمان حمد الخطابي البستي تحقيق : أحمد يوسف الدقاق	دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت	الأولى / 1404هـ
259	شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة دراسة علمية واسعة في نقد أوهام الحبشي والتحذير من انحرافات الفرقة الحبشية	عبد الرحمن دمشقية	دار الجاري	بدون
260	شذرات الذهب في أخبار من ذهب	المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي	المكتب التجاري للطباعة والنشروالتوزيع – بيروت – لبنان	بدون
261	شرح أسماء الله الحسنى			
26	شرح أصول اعتقاد أهل	الشيخ الإمام العالم	دار طيبة	الثانية

2	السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم	الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي تحقيق : د. أحمد سعد حمدان	للنشر والتوزيع	
263	شرح الأبي على صحيح مسلم			
264	شرح السنة	البغوي تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط	المكتب الإسلامي	الثانية / 1403هـ
265	شرح العقيدة الأصفهانية	أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية قدم له وعرف به : حسنين محمد مخلوف		
266	شرح العقيدة الطحاوية	علي بن علي بن أبي العز الحنفي تحقيق : عبد الله التركي و شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة	الخامسة / 1413هـ
267	شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبي العز الحنفي		
268	شرح العقيدة الواسطية	محمد خليل هراس مراجعة : عبد الرزاق عفيفي	دار الإفتاء	1403هـ
269	شرح الفقه الأكبر	ملا علي القاري	قديمي كتب خانة – كراتشي	بدون
270	شرح القصيدة النونية المسماة (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)	محمد خليل هراس	دار الكتب العلمية	الأولى / 1406هـ
271	شرح الكوكب المنير			
272	شرح كشف الشبهات	ابن عثيمين		
273	شرح كلمة الإخلاص وتحقيق معناها	الحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق : زهير الشاويش ، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	الرابعة / 1397هـ
274	شرح مسائل الجاهلية	محمود شكري الألوسي		

275	شرح مشكل الآثار	أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة طحاوي تحقيق : شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة – بيروت	الأولى / 1415هـ
276	شرح معاني الآثار	أبو جعفر الطحاوي تحقيق : محمد زهري النجار	دار الكتب العلمية – بيروت	الثانية / 1407هـ
277	الشرك ومظاهره	مبارك بن محمد الميلي أمين مال	الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – مركز شئون الدعوة	
278	الشريعة	أبو بكرمحمد بن الحسين الآجري تحقيق : محمد حامد الفقي	دار السلام – الرياض	الأولى / 1413هـ
279	شريعة الله الخالدة دراسة في تاريخ تشريع الأحكام ومذاهب الفقهاء الأعلام	محمد بن علوي بن عباس المالكي	دار الإنسان	الأولى / 1402هـ-1982م
280	شفاء السقام في زيارة خير الأنام	الفقيه علي بن عيد الكافي تقي الدين السبكي الشافعي	حيدر أباد الدكن – الهند	بدون
281	شفاء السقيم في أحاديث المنقذ العظيم ﷺ	جمع أحاديثه : محمد الهرار	عالم المعرفة	الثانية / 1407هـ-1987م
282	شفاء الصدور	النجمي الحنبلي		
283	شفاء الصدور في زيارة المشاهد و القبور	زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي تحقيق ودراسة : جمال بن حبيب صلاح تقديم : مفتي عام المملكة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الإدارة العامة للطبع – الرياض	الأولى / 1418هـ-1997م
284	شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية	دار الكتب العلمية – بيروت		الأولى / 1407هـ-1987م

285	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى وقد ذيلناه بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء	للعلامة أبي الفضل عياض اليحصبي للعلامة أحمد بن محمد الشمني	دار الكتب العلمية – بيروت	بدون
286	شواهد الحق	النبهاني		
287	الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه	الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي صححه : الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله -		1419هـ-1999م
288	الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عش المفترى عليه ودحض تلك المفتريات	أحمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي		بدون
289	الصارم المسلول على شاتم الرسول	الشيخ ابن تيمية تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد	عالم الكتب	1403هـ-1983م
290	الصارم المنكي في الرد على السبكي	الحافظ أبي عبد الله بن عبد الهادي صححه وعلق عليه : الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري	مكتبة ابن تيمية	بدون
291	صبح الأعشى			
292	صحيح ابن حبان	أبو حاتم بن حبان البستي ترتيب : ابن بلبان، تحقيق : شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة	الأولى / 1406هـ
293	صحيح ابن خزيمة	تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي	المكتب الإسلامي – بيروت	الأولى / 1395هـ-1975م
294	صحيح البخاري	الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظه وجمله وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ، ووضع فهارسه : د. مصطفى ديب البقا	دار ابن كثير – اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع	الرابعة

295	صحيح الترغيب والترهيب	تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف	الثالثة / 1409هـ
296	الصحيح الجامع			
297	صحيح الجامع الصغير وزيادته	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	الثانية / 1406هـ
298	صحيح سنن ابن ماجة	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع	الأولى/ 1417هـ
299	صحيح سنن أبي داود	محمد ناصر الدين الألباني	مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض	الأولى / 1409هـ-1989م
300	صحيح كتاب الأذكار وضعيفه	أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي	مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة	الأولى / 1413هـ
301	صحيح مسلم	أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي – بيروت	بدون
302	صحيح مسلم بشرح النووي		توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد	
303	الصراع بين الإسلام والوثنية	عبد الله علي القصيمي		الثانية / 1403هـ-1982م
304	الصفدية	ابن تيمية تحقيق : محمد رشاد سالم	مكتبة ابن تيمية – القاهرة	الثانية / 1406هـ
305	صلح الإخوان	داوود أفندي النقشبندي الخالدي بن السيد سليمان أفندي البغدادي	مطبعة نخبة الأخيار –	بدون

			بمبي	
306	الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية			
307	الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة	ابن القيم تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله	دار العاصمة – الرياض	الأولى / 1408هـ
308	صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسواني الهندي	مكتبة ابن تيمية	الرابعة 1410هـ
309	ضعيف الترمذي	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي – بيروت	الأولى / 1411هـ
310	ضعيف الجامع الصغير وزيادته	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي – بيروت	الثالثة / 1410هـ
311	الضوء القرآني على كتابة العلوي حول النبهاني	عبد القادر بن حبيب الله السندي		
312	الضوء اللامع			
313	ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة	عبد الله بن محمد القرني	مؤسسة الرسالة	الأولى / 1413هـ
314	الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق	الشيخ سليمان بن سمحان تحقيق : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم	دار العليان – دار العاصمة	الرابعة / 1412هـ-1992م
315	طبقات ابن سعد	محمد بن سعد	دار الفكر	بدون
316	طبقات الحفاظ	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1403هـ-1983م
317	طبقات الحنابلة	القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى	دار المعرفة	بدون
318	طبقات الشافعية	تاج الدين أبي نصر عب الوهاب بن علي بن عيد الكافي السبكي تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو – محمود محمد الطناحي	دار إحياء الكتب العربية	الرابعة
319	طبقات الشافعية الكبرى	تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي	دار إحياء الكتب العربية	بدون
32	الطبقات الكبرى لابن سعد	أبو عبد الله محمد بن	مكتبة	الثانية /

0	القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم	سعد بن منيع تحقيق : زياد محمد منصور	العلوم والحكم - المدينة المنورة	1408هـ-1987م
321	طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها	أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بأبي الشيخ الأنصاري دراسة وتحقيق : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي	الأولى	
322	طبقات المفسرين	الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداوودي راجع النسخة وضبط أعلاها : نخبة من العملاء بإشراف الناشر	درا الكتب العلمية	بدون
323	الطحاوية			
324	الطرق الحكمية			
325	طريق الهجرتين وباب السعادتين	الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى
326	عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي			
327	عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ . حياته ، وآثاره ، وطريقته في تقرير العقيدة ، مع دراسة وتحقيق كتاب : البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية	إبراهيم بن عثمان الفارس إشراف :الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك .		
328	العبر	الذهبي		
329	العبر في خير من (.........)			
330	عجائب الآثار			
331	العذر بالجهل مع توضيح وبيان لموقف شيخي الإسلام ابن تيمية وابن	شريف محمد فؤاد هزاع	دار ابن تيمية – القاهرة	الثانية / 1410هـ

	عبد الوهاب من العذر بالجهل وتكفير المعين			
332	العظمة	لأبي الشيخ		
333	عقد الدرر	ابن عيسى		
334	العقود الدرية في مناقب ابن تيمية			
335	العقيدة التدمرية وشرحها	فالح آل مهدي		
336	عقيدة التوحيد في القرآن الكريم	محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي	منشورات دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام	الأولى / 1405هـ-1985م
337	العقيدة السلفية في كلام رب البرية	عبد الله بن يوسف الجديع	دار الإمام مالك – دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض	الثانية / 1416هـ
338	عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	د. صالح العيون		
339	العقيدة المحمدية			
340	عقيدة الموحدين والرد على الضلال والمبتدعين	جمع وترتيب : الشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي تقديم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	مكتبة الطرفين	الأولى / 1411هـ-1991م
341	عقيدة أهل السنة والجماعة			
342	علم أصول البدع	علي بن حسن		
343	علم أصول البدع دراسة تكميلية مهمة في علم أصول الفقه	علي بن حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري	دار الراية – الرياض	الأولى / 1413هـ-1992م
344	العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ	العلامة صالح بن مهدي المقبلي	دار الحديث للطباعة	الثانية / 1405هـ-1985م

345	علماء نجد خلال ستة قرون	الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام	مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة – مكة	الأولى
346	عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير	اختصار وتحقيق : أحمد محمد شاكر	دار المعارف	بدون
347	عمدة القاريء	العيني		
348	عمل اليوم والليلة	أبو بكر أحمد بن محمد الدنيوري المعروف بابن السني تحقيق : بشير عيون	مكتبة دار البيان – دمشق	الأولى / 1407هـ
349	عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد	إبراهيم فصيح صبغة الله بن أسعد الحيدري البغدادي تحقيق : العلامة : كوركيس عواد ، الشيخ / ياسين باش أعيان .	الدار العربية للموسوعات – بيروت	الأولى / 1999م
350	عنوان المجد في تاريخ نجد			
351	عون المعبود شرح سنن أبي داود	أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي	دار الفكر	الثالثة / 1399هـ
352	غاية الأماني في الرد على النبهاني	العلامة أبي المعالي محمود الشكري الألوسي		بدون
353	غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام	الشيخ محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	الأولى / 1400هـ
354	فتح الباري بشرح صحيح البخاري	ابن حجر العسقلاني تحقيق : فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	دار الفكر	بدون
355	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير	محمد بن علي الشوكاني	دار إحياء التراث العربي – بيروت	بدون
356	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي حققه : عبد القادر الأرنؤوط	مكتبة دار البيان – دمشق – بيروت	الأولى / 1402هـ-1982م
357	فتح المعين			

358	فتح المنان			
359	الفردوس بمأثور الخطاب	شيرويه الديلمي تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1406هـ
360	الفرق بين الفرق	عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد	دار المعرفة – بيروت	بدون
361	الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	ابن تيمية تحقيق : زهير الشاويش	المكتب الإسلامي	الثالثة / 1405هـ
362	الفروع	الإمام شمس الدين المقدسي أبي عبد الله محمد بن مفلح	عالم الكتب	الرابعة
363	الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم	عبد الله بن علي النجدي القصيمي	مكتبة رياض الجنة	الثانية / 1989م
364	فصل الخطاب	سليمان بن عبد الوهاب		
365	الفصل في الملل والأهواء والنحل	أبو محمد علي بن حزم الظاهري تحقيق : محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة	دار الجيل – بيروت	1405هـ
366	الفقه الحنفي في ثوبه الجديد	عبد الحميد طهماز		
367	الفهرست	ابن النديم	دار المعرفة – بيروت	بدون
368	الفوائد	ابن القيم تحقيق : عبد السلام شاهين	دار الكتب العلمية	الأولى / 1403هـ
369	الفوائد البهية في تراجم الحنفية	محمد عبد الحي اللكنوي	قديمي كتب خانة – كراتشي	بدون
370	فوات الوفيات	الكتبي		
371	فيض القدير شرح الجامع الصغير	محمد عبد الرؤوف المناوي	دار المعرفة – بيروت	الثانية / 1391هـ
372	قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة	العلامة ابن تيمية راجعه وعلق عليه وقدم له : السيد الجميلي	دار الكتاب العربي	الأولى / 1405هـ-1985م
37	القاموس المحيط	الشيخ محمد بن يعقوب	دار الفكر	1403هـ

3		الفيروز أبادي		
374	القدرية والمرجئة	العقل		
375	قصيدة البردة / ضمن مجموعة أمهات المتون			
376	القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه	عبد الرحمن بن صالح المحمود	دار النشر الدولي	الأولى / 1414هـ-1994م
377	قضية الألوهية بين الدين والفلسفة	د. محم السيد الجليند	دار قباء للطباعة	2001م
378	قطر الوالي على حديث الولي	الشوكاني تحقيق : إبراهيم إبراهيم هلال	دار الباز- مكة المكرمة – دار إحياء التراث العربي	
379	قواعد الفقه			
380	القواعد الكلية للأسماء والصفات	د. إبراهيم بن محمد البريكان	دار الهجرة للنشر والتوزيع	الأولى / 1414هـ
381	القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى	فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين تحقيق : أشرق بن عبد المقصود	مكتبة السنة – الدار السلفية لنشر العلم – القاهرة	الأولى 1411هـ
382	القواعد والفوائد الأصولية	ابن اللحام		
383	قواعد وضوابط التكفير والعذر بالجهل	خالد فوزي عبد الحميد	مكتبة أضواء المنارة بالمدينة المنورة مكتبة لينة للنشر والتوزيع	الأولى / 1412هـ-1991م
384	القول السديد في مقاصد التوحيد	العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي	مطبعة المدني	بدون
385	القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داوود بن جرجيس	الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد	دار الهداية	1405هـ

		الوهاب بن سليمان رحمهم الله تقديم : فضيلة الشيخ إسماعيل بن سعد ين عتيق	79 84 44 7 9 8	
386	القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ	فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري	الرئاسة العامة لإدارت البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الإدارة العامة للطبع والترجمة – الرياض	1405هـ-1985م
387	الكاشف في من له رواية في الكتب الستة	عثمان بن أحمد الذهبي	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1403هـ
389	الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف ، المطبوع مع الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري	الحافظ ابن حجر العسقلاني	دار الريان للتراث – القاهرة دار الكتاب العربي – بيروت	الثالثة / 1407هـ
390	الكامل في التاريخ	علي بن محمد بن الأثير	دار صادر- بيروت	الأولى / 1402هـ
391	كتاب التفسير			
392	كتاب التوحيد	الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب	مطبعة المدني	بدون
393	كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمر الشيباني ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	الثانية 1405
394	كشاف اصطلاحات الفنون	الشيخ العلامة محمد علي بن محمد التهانوي الحنفي	منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية	الأولى / 1418هـ-1998م

395	كشاف القناع عن متن الإقناع	منصور بن يونس البهوتي	عالم الكتب	بدون
396	كشف الأسرارعن أصول فخر الإسلام البزدوي	الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ضبط وتعليق وتخريج : محمد المعتصم بالله البغدادي	دار الكتاب العربي	الأولى / 1411هـ-1991م
397	كشف الشبهتين	سليمان بن سحمان		
398	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	حاجي خليفة	دار سعادت	الأولى / 1311هـ
399	كلمات في كشف الأباطيل			
400	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية	أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكنوي قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش-محمد المصري	مؤسسة الرسالة	الأولى/ 1412هـ
401	الكواشف الجلية عن معاني الواسطية	عبد العزيز المحمد السلمان	رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-إدارة الطبع والترجمة	بدون
402	اللباب في تهذيب الأنساب	عز الدين ابن الأثير الجزري	دار صاد – بيروت	بدون
403	لسان العرب	ابن منظور تولى تحقيقه : نخبة من العاملين بدار المعارف وهم الأساتذة : عبد الله الكبير- محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي	دار المعارف	بدون
404	لسان الميزان	الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دراسة وتعليق وتحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد	دار الكتب العلمية	الطبعة الأولى

		الموجود- الشيخ علي بن محمد معوض شارك في تحقيقه : الأستاذ عبد الفتاح أبو سنة	44 7 9 8	
405	اللوامع			
406	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية	العلامة محمد بن أحمد السفاريني	المكتب الإسلامي – بيروت مكتبة أسامة – الرياض	الثانية / 1405هـ-1985م
407	مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها	ناصر بن عبد الكريم العقل	دار الوطن	الأولى
408	المبسوط	السرخسي		
409	المتناهية			
410	مجلة المنار			
411	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	أبو بكر الهيثمي تحرير الحافظين : العراقي وابن حجر	مؤسسة المعارف – بيروت – لبنان	1406هـ
412	مجمل اعتقاد السلف	التركي		
413	المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث	الأصفهاني تحقيق : عبد الكريم الغرباوي	مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى	الأولى / 1406هـ
414	المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد	محمد بن عبد الرحمن الخميس	دار أطلس للنشر والتوزيع	الأولى / 1418هـ-1997م
415	مجموع أمهات المتون			

416	المجموع شرح المهذب	أبو زكريا يحيى بن شرف النووي	دار الفكر	بدون
417	مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فتاوى العقيدة	تقديم وإعداد : عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز	دار الوطن	الطبعة الأولى / 1416هـ
418	مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية	جمع وترتيب : عبد الرحمن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة – تحت إشراف وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية	بدون
419	مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين .	فهد بن ناصر السليمان		الأخيرة / 1413هـ
420	مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب			
421	مجموعة التوحيد	كتب ورسائل للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وبعض أبنائه وأحفاده وغيرهم من العلماء	مطابع العبيكان	
422	مجموعة التوحيد تشتمل على ستة وعشرين رسالة	شيخا الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب	دار الفكر	بدون
423	مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام	أشرف على إعادة طبعه : عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم	دار العاصمة	الأولى/ 1349هـ مصر الثانية/ 1409هـ

				بيروت
424	مجموعة الرسائل المنيرية		دار إحياء التراث العربي	بدون
425	محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع	عبد الرؤوف محمد عثمان	وكالة الطباعة والترجمة برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء	بدون
426	محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين			
427	محق التقول	الكوثري		
428	محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه	مسعود الندوي ترجمة وتعليق : عبد العليم عبد العظيم البستوي	مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الثانية / 1411هـ-1990م
429	مختصر السيرة			
430	مختصر الشمائل المحمدية	أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي صاحب السنن حققه : محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف	الأولى/ 1405هـ الثانية/ 1406هـ الثالثة/ 1410هـ
431	مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة	ابن القيم اختصرها : محمد بن الموصلي	دار الندوة الجديدة – بيروت	1405هـ
432	مختصر زاد المعاد	ابن قيم الجوزية	دار القاسم	الأولى / 1421هـ-2000م
433	مختصر طبقات الحنابلة			
434	مدارج السالكين	الإمام ابن قيم الجوزية تحقيق : محمد حامد فقي	دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء –	بدون

			المغرب	
435	المدخل	ابن الحاج		
436	المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل	عبد القادر بن بدران		
437	مرآة الجنان وعبرة اليقظان	أبو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي وضع حواشيه : خليل منصور	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1417هـ
438	مسائل الجاهلية	الشيخ / محمد بن عبد الوهاب		
439	المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين	محمد العروسي عبد القادر	دار حافظ	الأولى / 1410هـ-1990م
440	المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة	جمع وتحقيق ودراسة : عبد الإله ابن سلمان بن سالم الأحمدي	دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض	الأولى / 1412هـ
441	مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة	القفاري		
442	المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص	أبو عبد الله الحاكم النيسابوري للحافظ الذهبي	دار المعرفة	
443	المستصفى	الغزالي		
444	المسك الأذفر	الألوسي		
445	المسند وبهامشه كنز العمال	الإمام أحمد	المكتب الإسلامي	
446	المسند	للإمام أحمد بن حنبل ، شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر	مكتبة ابن تيمية	بدون
447	مسند ابن الجعد	أبو القاسم البغوي تحقيق : عبد المهدي عبد الهادي	مكتبة الفلاح – الكويت	الأولى / 1405هـ
448	مسند أبي عوانة	يعقوب بن إسحاق الإسفراييني	دار المعرفة – بيروت	بدون
449	مسند أبي يعلى	أحمد بن علي بن المثنى تحقيق : حسين أسد	دار المأمون للتراث –	الأولى / 1404هـ

			دمشق	
450	مسند الشهاب	القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي تحقيق : حمدي السلفي	مؤسسة الرسالة	الثانية 1407هـ
451	مشارق الأنوار على صحاح الآثار	القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي	مكتبة العقيقة – تونس – دار التراث – القاهرة – مكتبة ابن تيمية	بدون
452	المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية	المعصومي		
453	مشاهير علماء نجد وغيرهم	عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ	دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر	الأولى / 1392هـ
454	مشكاة المصابيح	محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	الثالثة / 1405هـ
456	مصباح الأنام	الحداد		
457	مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة	الشهاب أحمد بن أبي بكر البوصيري تحقيق : موسى محمد علي ، عزت علي عطية	دار الكتب الحديثة – مصر	بدون
458	مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة	أحمد بن أبي بكر البوصيري تحقيق : موسى محمد علي ، عزت علي عطية	دار الكتب الحديثة	بدون
459	مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام	العالم العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تقديم : الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق	دار الهداية	بدون
460	المصباح المنير	العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقريء	مكتبة لبنان	بدون
461	المصطلحات الأربعة في القرآن	أبو الأعلى المودودي	دار الفرقان	بدون

462	المصنف	ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة تحقيق : عبد الخالق الأفغاني	دار القرآن للعلوم الإسلامية	1406هـ
463	المصنف	عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي	المكتب الإسلامي – بيروت	الثانية / 1403هـ
464	معارج الألباب	النعمي		
465	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد	الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر بن محمود	دار ابن القيم	الثالثة / 1414هـ-1993م
466	معالم السنن شرح سنن أبي داود	أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد	دار الكتب العلمية	الأولى / 1411هـ
467	المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها	عواد بن عبد الله المعتق	دار العاصمة	الأولى / 1409هـ
468	المعجم الأوسط	الطبراني تحقيق : د. محمود الطحان ، طارق بن عوض الله بن محمد ، وآخرون	مكتبة المعارف – دار الحرمين – القاهرة	الأولى / 1405هـ 1415هـ
469	معجم البلدان	الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي	دار إحياء التراث العربي	بدون
470	المعجم الجغرافي لبلاد السعودية	حمد الجاسر	دار اليمامة	بدون
471	المعجم الصغير	أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق : محمد شكور محمود الحاد أمرير	المكتب الإسلامي – بيروت	الأولى / 1405هـ
472	المعجم الفلسفي	جميل صليبا	دار الكتاب اللبناني- بيروت دار الكتاب المصري – القاهرة	بدون

473	المعجم الكبير	أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق : حمدي السلفي	مكتبة ابن تيمية	بدون
474	معجم المؤلفين	عمر رضا كحاله اعتنى به وجمعه وأخرجه : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة	مؤسسة الرسالة	الأولى
475	معجم المصطلحات والألقاب التاريخية			
476	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الدعوة	بدون
477	معجم قبائل العرب القديمة والحديثة	عمر رضا كحالة	مؤسسة الرسالة	الخامسة 1405هـ
478	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع	الوزير الفقيه أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي حققه وقدم له وصنع فهارسه : د. جمال طلبه	دار الكتب العلمية – بيرت – لبنان	الأولى
479	معجم مصنفات الحنابلة			
480	معجم مقاييس اللغة	أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون	دار الجيل – بيروت	الأولى / 1411هـ-1991م
481	المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم	أبي منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر تحقيق وشرح : أبي الأشبال أحمد محمد شاكر	مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة	الأولى
482	المغني في الضفاء	الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي كتبه : نور الدين عنز	إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر	بدون
483	المغني	ابن قدامة تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي د عبد الفتاح محمد الحلو	هجر للطباعة والنشر – القاهرة	الثانية
484	المغني في أبواب العدل والتوحيد	القاضي عبد الجبار		
485	المغني في الضعفاء	أبو عبد الله محمد طاهر بن علي الهندي	دار الكتاب العربي –	1399هـ

			بيروت	
486	المغني والشرح الكبير على متن المقفع في فقه الإمام أحمد بن حنبل	الإمامين : موفق الدين وشمس الدين ابني قدامة	دار الفكر	الأولى
487	مفاهيم يجب أن تصحح	محمد علوي المالكي المكي الحسني	دار الإنسان	الأولى / 1405هـ-1985م
488	مفتاح العلوم	الإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ضبطه وشرحه : أ. نعيم زرزور	بيروت دار الباز – مكة المكرمة	الطبعة الأولى / 1403هـ
489	مفتاح دار السعادة ومنشور ولا ية العلم والإرادة	ابن القيم	مكتبة الرياض الحديثة	بدون
490	المفردات في غريب القرآن	أبي القاسم الحسين بن محمد تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني	شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر	الأخيرة / 1381هـ-1961م
491	المفردات في غريب القرآن	أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق : محمد سيد كيلاغن	مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر	الأخيرة / 1381هـ
492	المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات	محمد بن عبد الرحمن المغراوي	دار طيبة	الأولى / 1405هـ
493	مفيد المستفيد			
494	المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة	محمد بن عبد الرحمن السخاوي صححه وعلق حواشيه : عبد الله محمد الصديق	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1407هـ
495	مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين أو التبيان في العبادات " إنما الأعمال بالنيات "	عمر سليمان الأشقر	دار النفائس – مكتبة الفلاح	الثانية / 1411هـ-1991م
49	المقالات			

6				
497	مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين	الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تصحيح : هلموت ريتر	فرانز شتايز – ألمانيا	1400هـ
498	مقالات التجوي			
499	مقدمة ابن خلدون			
500	مقدمة التحقيق لكتاب التوحيد لابن مندة	علي بن محمد فقيهي		
501	الملل والنحل	أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تصحيح وتعليق : أحمد فهمي محمد	دار الكتب العلمية – بيروت	الثانية / 1413هـ
502	منار السبيل			
503	مناهج الجدل في القرآن الكريم			
504	مناهج السنة النبوية	ابن تيمية		الأولى / 1406هـ-1986م
505	المنتظم في تاريخ الأمم والملوك	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية	الأولى / 1412هـ
506	المنحة الوهيبة			
507	المنهاج			
508	منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس	عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ	دار الهداية	الثانية / 1407هـ
509	منهاج السنة النبوية	ابن تيمية تحقيق : محمد رشاد سالم		الأولى / 1406هـ
510	منهاج أهل الحق والاتباع			
511	المنهج الأحمد			
512	المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد	أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي	عالم الكتب – بيروت	الثانية / 1404هـ

		تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد		
513	منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة	عثمان بن علي حسن	مكتبة الرشد – الرياض	الثانية / 1413هـ-1993م
514	منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى	خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور	مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة	الأولى / 1416هـ-1995م
516	المهذب في علم أصول الفقه المقارن	د. عبد الكريم النملة		
517	موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان	الهيثمي تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة	دار الكتب العلمية	
518	الموافقات في أصول الشريعة	أبو إسحاق الشاطبي	دار المعرفة - بيروت	بدون
519	الموسوعة العربية الميسرة		دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشروالتوزيع- المنصورة – القاهرة	بدون
520	الموطأ	الإمام مالك بن أنس بعناية : محمد فؤاد عبد الباقي	دار الحديث – القاهرة	بدون
521	موقف ابن تيمية من الأشاعرة	عبد الرحمن صالح بن صالح المحمود	مكتبة الرشد	الأولى / 1415هـ-1991م
522	موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة			
523	ميزان الأصول	السمرقندي		
524	ميزان الاعتدال	شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد	دار الكتب العلمية	الأولى

		الموجود شارك في تحقيقه : أ. د. عبد الفتاح أبوسنة		
525	النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين	حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر تحقيق : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم	دار العاصمة	الأولى / 1409هـ
526	النبوات	ابن تيمية	دار الكتب العلمية – بيروت	1405هـ
527	نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار	أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي	مكتبة المثنى – بغداد	1406هـ-1986م
528	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي علق عليه : محمد حسين شمس الدين	دار الكتب العلمية – بيروت	الأولى / 1413هـ
529	النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل	محمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري تحقيق وجمع : محمد مطيع الحافظ ، ونزار أباظة	دار الفكر	1402هـ-1982م
530	نفح الطيب			
531	النفحات الأقدسية	البيطار		
532	النقشبندية – عرض وتحليل	عبد الرحمن دمشقية	دار طيبة – الرياض	الثالثة / 1409هـ
533	نقض التأسيس			
534	نهاية الإقدام	الشهرستاني		
535	النهاية في غريب الحديث والأثر	الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزدي ابن الأثير تحقيق : طاهر أحمد الزاوي محمود الطناحي	دار الفكر – لبنان	بدون
536	نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند	محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي	دار المسلم للنشر	الأولى / 1416هـ-

	السلف		والتوزيع	1996م
537	نواقض الإيمان القولية والعملية	عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف	دار الوطن	الأولى / 1414هـ
538	نيل الابتهاج بتطريز الديباج على هامش الديباج المذهب لابن فرحون	التنابكي	دار الكتب العلمية – بيروت	بدون
539	نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار	الإمام محمد الشوكاني تخريج : عصام الدين الصبابطي	دار الحديث – القاهرة	الأولى / 1413هـ
540	هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى	ابن القيم	دار الكتب العلمية	
541	الهدية السنية			
542	هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين	إسماعيل البغدادي	مكتبة ابن تيمية – القاهرة	بدون
543	هذه مفاهيمنا	صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ رد على كتاب مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد بن علوي المالكي		1406هـ
544	هذه هي الصوفية	عبد الرحمن الوكيل	دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان	بدون
545	الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب	تحقيق : الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري	رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء – مطابع النصر الحديثة	بدون
546	الوافي بالوفيات	صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي	فرانز شتايتر – فيسبادن	1381هـ
547	واقعنا المعاصر	محمد قطب		
548	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان تحقيق : د. إحسان عباس	منشورات الشريف الرضي	الثانية

549	وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم	عبد العزيز الجليل		

فهرس الموضوعات

	7 9 8 ....

****